L'UNIVERS A PARIS

1900

الدنيا في باريس

أو

أيامي الثلاثة في أوروبا

وهي الرسائل التي كتبها

احمد زكي بك

سكرتير ثاني مجلس النظار

على معرض باريس العام

سنة ١٩٠٠

مزدانة بالصور والرسوم

اذا فاتك استطلاع دنيا التي والذي تضمنه في باريس معرض
فخذ بدلا هـــذا الكتاب فانه يمثـــل ما قد فاتنا ويعوض
على رواته

طبعت هذه الرسائل في ملحقات لمجلة طبيب العائلة

L'UNIVERS A PARIS
1900

الدنيا في باريس

أو

أيامي الثالثة في أوروبا

وهي الرسائل التي كتبها

احمد زكي بك

سكرتير ثاني مجلس النظار

على معرض باريس العام

سنة ١٩٠٠

مزدانة بالصور والرسوم

اذا فاتك استطلاع دنيا الذى … تضمنه فى أنق باريس معرض
فخذ بدلا هــذا الكتاب فانه … يمثل ماقد فاتنا ويعرض
على رطاعه

تنبيه للقارىء

رأينا تقدم العصر، في الكتابة والفكر، يوجب اتحاف ابناء العربية، بالاشارات المستعملة في اغلب اللغات الاوروباوية، لارشاد القارىء على مواقع الوقوف القليل والمستطيل ومواضع التعجب والحيرة والاستفهام ونحو ذلك. لا جرم ان هذه الاشارات خير موسد له في حسن التلاوة وعدم خلط الجمل مع بعضها، كما هو حاصل في اغلب المطبوعات العربية، بحيث يضطر الانسان كثيرًا لمراجعة نفسه واعادة القراءة لمعرفة اول الجملة من آخرها.

وهذا بيان الاشارات بغاية الاختصار:

— هذه العلامة في اول السطر تدل على دوران الكلام بين متكلم ومخاطب. وفي وسط الجمل، تدل على كلام معترض خارج عن الموضوع، ولكن يزيده وضوحًا او يوجب على القارىء مزيد الالتفات ونحو ذلك.

. النقطة تدل على آخر الجملة او انتهاء الكلام في الموضوع.

؟ هي علامة الاستفهام.

! للتعجب والحيرة والقسم والنداء والتحذير ونحو ذلك.

، هذه العلامة للوقف القليل في الجملة الواحدة.

؛ هذه العلامة للوقف المستطيل في الجملة الواحدة، او لفصل الجمل المستطيلة المتتابعة التي ترتبط بمعنى واحد او بموضوع واحد

... هذه النقط تفيد انقطاع الكلام او حذف جملة او التوقف والارتباك.

: تدل على المقول والاستشهاد والبيان والتفصيل وما يدخل في هذا الباب

« » توضع بين هذه الاقواس آيات مقتبسة او احاديث مشهورة او امثال متواترة او حكم مأثورة ونحو ذلك. وقد توضع بينها الكلمة المعربة او العامية او نحوها.





او

ايامي الثلاثة في اوروبا



اليوم الاول

الجمعة ١٢ ابريل سنة



*

* *

— هل للقلم أن يبري ويباري ويجري في ميادين القرطاس ويجاري ،

— لست أدري ولا المنجم يدري ·

— إذن دعني وشأني وكن طوع أمري فان املى عليك الفؤاد وحدثك الضمير وناجاك الوجدان · فسر بالبركة الربانية على صفحات الطروس وأجر باسم الله مجراك ومرساك حتى باريس · وقبل

ان تصل الى وصف باريز لا بأس ان تسير قليلاً في الدهليز وتمثّل الخاطر وتنقل للقرّاء ما عندي من المشاعر · ولو أن الفائدة فيها قليلة ولكن ما الحيلة وليس امامك ما تصف غير الهواء والماء بل ليس أمامك ارض حتى اقول الارض والسماء ·

بينما انا أُشاغل القلم وهو يشاغلني اثناء خروج السفينة من المينا اذ لاحت مني التفاتة فرأيت ثلاثة من الطير قد ظهرت من الصخر واقتفت أثرنا : نحن في الماء وهي في الهواء ·

حقّقت النظر وأرجعت اليها البصر فاذا هي ثلاثة نوارس قد شغلتني عن نفسي ···· وعن القلم ·

— أتدري ما هي النوارس ؟

— ؟ ؟ ؟

— اعلم وفقّك الله ان النوارس جمع تكسير واحدهُ نورس وهو طائر بحري : له صوت كريه ولحم كريه ومنظر كريه والله أعلم ·

رأيت النوارس الثلاث تحلّق في الجوّ ولا تستعلي تتقارب من الباخرة ولا تستدني · تنشر أجنحتها في الهواء وتلبث ساكنة بلا حراك · كأنها معلّقة في القبّة الزرقاء بأسلاك يا لها من أسلاك : أسلاك تحملها الاملاك فلا تراها العيون ولا تحوم حولها الظنون ·

والطير مع هذا السكون — الظاهر — تتبع الباخرة في سرعتها بحركة خفيفة تصدر من رأسها · فيا لهذا الطائر الصغير يتابع الباخرة في المسير · لعمري ؟ ان اثنين منها عبارة عن عائلة قائمة بنفسها لاقتراب احدها من

الآخر وتحاورهما مع تجاورهما واصطحابهما مع اقترابهما ٠

أما الثالث فلا أدري وجه اقترابه منهما ؟ أهو رابطة القرابة او حق من حقوق الارتفاق ؟ ربما كان دخيلاً او خليلاً وعلى كل حال فان الطيور على اشكالها تقع ٠

ذلك لانه كان يطير بعيداً عنهما بمسافة لا تزيد ولا تنقص حتى اذا رآهما انقضا على غنيمة في جوف الماء وقف متربصاً في مكانه وبقي لهما بالمرصاد ٠ فاذا قضيا لبانتهما في الماء وعادا للابصار حام حولهما : كأنه متحكك او متجسس متلصص ٠ اما اذا سنحت له الفرصة في سمكة فقلّ ان ينتهزها : كأنما هو يسعى لغاية لست أدركها ٠

ومهما كان الأمر فقد بقيت النوارس تتلاعب في الهواء ٠ وما أعجب منظر الواحد منها : يحلّق في الجو ويحملق بالعين وإذا مال بجناحه قليلاً هوى جسمه الى الماء فيطوف عليه طافياً حتى يقضي وطره ثم يعود الى طبقات العلاء فيتهادى ذات اليمين وذات الشمال ٠ ولكنه مع كل ذلك ملازم للأدب والكمال ٠ فلا يعلو عن « الصواري » والأدقال في اي حال ٠

بقيت أُلاحظ النوارس وهي كأنهـا تلحظني حتى تجسّم وهمي وظنّي : فتخيلت انها من حمام الزاجل قد أتت لي ببعض الرسائل ٠ فتلهّيت بالنظر اليها عن انقباض كنت أجده في نفسي وضيق استولى على صدري واضطراب لازم فكري ٠

وأعلم من نفسي ويشهد الله ان هذا الاكتئاب لم يكن مصدره

فراق الاوطان والاصحاب · بل كنت بعيداً عن معاناة هذه اللوعة لان هذه المرة ليست اول غربة · فقد بارحت مصر في سنة ١٨٩٢ ثم في سنة ١٨٩٤ وهذه هي الثالثة ·

اما الشوق والفراق والبحر والماء فقد كتبت عنها بعض الشيء في المرة الاولى حينما كنت ابعث من اوروبا بالرسائل المعروفة بـ « السفر الى المؤتمر » · فلم أَجد في نفسي اليوم حاجة للضرب على هذه النغمة · اذ قد طالما نقّر عليها أَرباب الاقلام وانشحذت في تنويعها وتجنيسها القرائح والافهام ·

وقد طبع الباريسي هذا المخلوق الضعيف القوي على حب الاثرة والميل للأَنانية · ولذلك لم اتعدّ الناموس العام : فخصصت سفرتي الثانية لنفسي ولشخصي ·

اما اليوم فقد قضى عليّ واجب الجنسية والوطنية أَن أَخدم الناطقين بالضاد في هذه الرحلة الثالثة : ومن حسن الحظ حصولها في اثناء المعرض العام · وهكذا يكون العهد بيني وبينهم : عامٌ لي وعام لهم · فمرّة أُتعبهم وأَتعب نفسي · ومرّة أُروح بشرط ان أُريح واستريح ·

أَخذت الآن أُسائل نفسي عن سبب الكآبة وموجب الانقباض لعل السبب ان السفر هو في يوم الجمعة · وزيادة على ذلك في يوم ١٣

سحقاً لهذا التشاؤم المزدوج وتعساً لهذا النحس المثنىّ ·

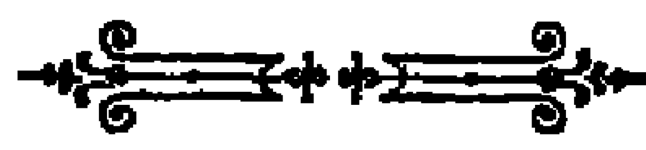
نعم ان المشارقة يعتبرون يوم الجمعة من ايام النحس فيمتنعون فيه عن اعمال كثيرة : اخصها السفر .... فما الذي اضطرني لمبارحة القاهرة الى الاسكندرية ومغادرة هذه الى مارسيليا : اعني ركوب باخرة البرّ وماخرة البحر وكل ذلك في يوم الجمعة .... الله اكبر من هذه الجرأة !!!

أَلم يلح عليَّ كثيرون من ذوي ودّي وقرباي بتأخير السفر ليوم السبت او اي يوم آخر ؟ فلما علموا بان الباخرة ليست مثل وابور البر في القيام كل يوم وانها لا تنتظرني أَشاروا باختيار باخرة اخرى . فكان جوابي ان شركة الميساچيري ماريتيم أَرادت ان تعاكس العكوس وتعاند النحوس وقرّرت سفر بواخرها في ايام الجمعة دون سواها . فاشاروا عليّ بالتوجه عن طريق آخر الى مينا اخرى على باخرة شركة ثانية . ولكن ماذا ينفع الحذر من القدر ؟ وقد سبق السيف العذل إِذ كنت قطعت التذكرة . ونقدت الثمن ....

اما نحس العدد ١٣ عند الافرنج فأَشهر من ان يذكر . ولا حاجة لبيانه سوى ان عقلاءهم مهما تعالوا وفضلاءهم مهما ارتقوا لا يزالون يتوجسون شرًّا منه ويتوقعون السوء فيه . ولذلك تراهم يتوقّونه بكل الوسائط فما ظنك بالسوقة والاوساط .

ما هذا الاقدام أَيجمع الشرق والغرب على التشاؤم من السفر في مثل هذه الظروف وانا لست مضطرًّا . فما بالي اتجشّم هذا المركب الخشن ؟

وبينما انا غارق في بحر هذا الفكر المختلط والباخرة ماخرة في البحر الابيض المتوسط واذا بتسابيح من السماء ونغمات في الفضاء وزفرات من صميم الماء وخفقان على اجنحة الهواء تقول كلها بلسان واحد : «لا تثريب عليك اليوم دعها سماوية تجري على قدر ان الشؤم عند التشاؤم» فسرّيت عني هذه الافكار وتركت المقادير تجري في اعنّتها ·



اليوم الثاني

السبت ١٤ ابريل

*

* *

صفاءٌ في البال وفي البحر · وراحة في الجسم وفي الفكر · منظر جميل ينشرح له الصدر ·

هذه حالتي في اليوم الثاني ·

تيقظت عند أذان الفجر · بل والحق يقال عند صياح الديك · اذ اصبحتُ شتان شتان وقد حيل بيني وبين الأذان لا بين العير والنزوان · اما سيد الدجاج فها هو أراه بعيني · وهو ايضاً ينظر ني · صعدت على سطح السفينة فلم ابصر سوى النوتية والملاّحين · فرميت بالنظر الى الجهات الخمس فما رأيت سوى ماء في ماء · وفوق رأسي سحاب يتبعه سحاب · حتى كأني (ولا تشبيه) مظلل بالغمام · وكانت

الشمس قد اخذت في الاشراق · فارسلت طلائعها في الآفاق · نخشيت من عبوس الجو وزمجرة الريح ووميض البرق ودمدمة الرعد ولذلك رضيت من الغنيمة بالاياب · وعدتُ أتعثر في اذيالي طالباً النجاة من هول هذا الموقف ·

غير اني في ساعة النزول لم أتمالك من ارسال نظرة خلفي كأني اريد التحقق من نجاتي · فاذا بالنوارس الثلاث تخفق حول السفينة · كأن لها فيها نصيباً او غريماً · فنزلت الى مخدعي وقلت في نفسي : « لا بد ان اشكوها الى شركة البواخر في مارسيليا بالاصالة عن نفسي وبالنيابة عن سائر الركاب · فان انصفت · والاَّ استأنفت الدعوى في باريس وعرضت الامر على المعرض العام · لانها لا بد ان تكون قضت ليلتها على ادقال الباخرة بغير اجرة ولو بنصف تذكرة »

ولبثت في مضجعي حتى نادى لسان الحال :

« الا ايها النوام ويحكمو هبُّوا »

فاهرعوا كلهم وهرولت خلفهم ميممين شطر قاعة الطعام · ثم صعدت الى ظهر الوابور ومعي بعض الاصحاب من افرنج واعراب كي نستنشق نسيم الصبا والصباح · واذا بالنوارس كأنها تطالبنا بتركة ابيها · فنظرت اليهـا واخذت اتوعدها وهي لا تبالي بتهديدي ولا بمقالي · حتى ارسل علينا المتفرد بالعدل سحاباً فيـه طل بل وبل · فبقيت اتحمله على ام رأسي حتى عرتني رعدة وهزة فاصبحت كالعصفور بلَّله

القطر . واما الطيور فكانت في حرز حريز كانها تقول : « اللهم حوالينا ولا علينا » .

فعنـد ذلك لزمت الصمت والادب وقلت لنفسي « دع الخلق للخالق » .

اليوم الثالث

الاحد ١٥ أبريل

*
* *

اسمع ؟ اليك فائدة مجرّبة صحيحة تلقيتها عن احد الاشياخ من الدراويش وقد ثبتت صحتها عندي الآن : ذلك اني اتردد في بعض الاوقات الى درويش اعتقد فيه الخير وأسأله الدعاء . فلما علم بسفري الى المعرض العام قال لي : « يا بنيّ سمعت انك قد تشكو من اضطراب البحر فما الذي أعددته لاتقائه ؟ فقلت لا شيء يدرأ عني الدوار وقد جربت كل ما وصفه الواصفون فما اجدى نفعاً . فقال لي : ان شئت ان لا تضطرب في جوفك الامعاء ولا تعاندك الصفراء فتوكل على الله وكلْ شيئاً من الفول المدمّس في صباح يوم الرحيل . وعليك بالاعتقاد التام واليقين الصحيح واياك ! اياك ! من الشك والارتياب فتندم .

فصادفت هذه النصيحة هوى في فؤادي . ولذلك عملت بها

وقضيت من الفول مرادي · فلما وصلت الاسكندرية في ظهر يوم الجمعة الماضي دعاني صديق حميم لتناول الغذاء · وكان معه شيخ لا من الدراويش ولا من البهاليل وانما تمشيخ وحشر نفسه في الطائفة طمعاً في تقبيل اليد ونوال الرفد والعيش الرغد · وقد زاد الصديق في كرمه ولطفه فانه استحضر نوعاً من السمك المملَّح ليس في مصر أحد لا يعرفه بل يكاد المصري لا يُعرف الاَّ به ·

فأخذ المُتَمَشيِخ يكثر من الاطناب في فوائده والتنويه بفضائله حتى حرَّك النهم وأجرى اللعاب في الفم · فأقبلت عليه مودعاً ومتزوداً حتى بلغت حد النصاب اوكدت بل جاوزتهُ وزدت · أما البصل فقد كنا في ميناه وقد ذهبت ساعة النحس بانقضاء وقت الصلاة · ولذلك نلت منه ونال مني حتى صرت ابتعد من كل من أتى ليودعني · فبهذا أجرى القلم : اللذة يتبعها الألم ·

اليوم الرابع

الاثنين ١٦ أبريل

*

* *

أشعة النهار وطلائع الانوار تساقطت من السماء وتسابقت في الفضاء حتى رست على وجه الماء · فبدا الاشراق على جبين الآفاق

وظهرت غرة الصباح على رؤوس الجبال · فحياها الضياء بالثناء والسناء · ثم حيّاها فأحياها · ووافاها بعد ان كان جفاها فخجلت السحب في علاها فظهر على هاماتها الاحمرار · وثبتت فلول جيوش الليل في ثنايها فسالت منها الدماء كالانهار · وفي اثناء ذلك بزغ قوس من النار في ثنايا السحاب ·

فنظرت الى القمر واذا به قد علاه الاصفرار · ثم ابيضّت عيناه من الحزن بل وجهه من الانكسار · وحينئذٍ ازداد الحريق في صياصي السحاب واستمر الاشتعال في الازدياد والانتشار · حتى انصبغت دائرة الافق بل ميدان القتال · ثم علا لسان النار بلا دخان وازداد حجم ذلك القوس فصار كالقرص وكله أنوار في أنوار · وعند ذلك لم يقرّ للقمر قرار بل جنح الى الفرار وولّى الادبار · وترك الحكم والسلطان لرب النار والنور والنهار ·

فلما تبددت كتائب الظلماء وانتشرت رايات الضياء في سائر الارجاء وتمّ شروق الغزالة وطلع النهار سبّحت جميع العناصر بأسم الواحد القادر وعنت الوجوه للحي القيوم وابتسمت الثغور وانشرحت الصدور لعودة الحياة الى الوجود ·

هذا قليل من الشعر مقلوبًا في قالب النثر · ألهمه الاشراف على الاشراق فأملاه لسان الوجدان على صفحات الجنان فحرك كهرباء البنان فخط هذا البيان على وجه القرطاس ليبيضّ وجه الكاتب عند الناس · وهذا وحقّ أمرىء القيس والمتنبي ! منتهى ما وصل اليه طوقي ·

فان أعجب حفني وشوقي فذلك قرّة عيني وغاية قصدي ٠



اليوم الخامس

الثلاثاء ١٧ ابريل

*

* *

— من ذا الذي قال ان البحر له أمان ؟ ومن ذا الذي غرّه منه ظاهر الصفاء ؟

الا رحم الله صاحب نفح الطيب ! حينما هاجر ديار الاندلس العزيزة قاصداً ربوع مصر المحروسة ٠ فقد أملى هذا البحر عليه :

البحر صعب المرام جدّاً   لا جعلت حاجتي اليه

بل أليس البحر كالدهر في الغدر ؟ حبذا اليوم السعيد نستغني فيه عن هذا البحر وأهويته بل أهوائه ٠ اذ يعمّ العمران شمال افريقية فنذهب أو ابناؤنا او احفادنا او أعقابنا بطريق السكة الحديدية من الاسكندرية الى رأس السلوم الى برقة الى طرابلس فتونس فالجزائر حتى نقف عند طنجة بالمغرب الاقصى ٠ ومن هنالك نجتاز البوغاز مثل طارق بن زياد فتستقرّ أقدامنا في اوروبا !!!

بيني وبين البحر الابيض المتوسط قصة واقعية بل قضية يا لها من قضية !

في اليوم الاول عند خروجنا من المينا صفَّق لنا الهواء فرحاً واستبشاراً ولعب الماء اختيالاً واستكباراً · فتهادت بينهما السفين ترقص ذات الشمال وذات اليمين · وبعد قليل انتهى التشخيص والتمثيل فعاد السكون الى الكون والسكينة الى النفوس والانشراح الى الصدور ·

وكان الأمر كذلك في اليوم الثاني والثالث واما اليوم الرابع فعليه مني الف تحيَّة وسلام : إستأنسنا في بكرته برؤية شواطىء ايطاليا عن يميننا وشواطىء صقلية العزيزة عن يسارنا · وكانت الجزائر تتلو بعضها وتجلو نفسها وقد تخللتها صخور جسام دفعت بها قوة البركان الى اعماق الماء فبقيت قدمها في القاع ورأسها في الهواء ·

اما البحر فكان سكونه لا يكاد يخطر على الاحلام ولا في الاحلام · ما رأيت في عمري فسقية في قاعة حرمية اكثر منهُ صفاءً واستواءً · بل كان مصقولاً كأنه المرآة او على التحقيق ان الصانع رآه فاحتذاه في صقل المرآة ·

لا غرو ان برزت القافلة من اوكارها وسراديبها واحتشدت كلها على سطح الباخرة تعجب من هذا الصفاء وذلك البهاء · وبلغ السرور فينا منتهاه حتى قال بعضنا لبعض هكذا يكون السفر يوم الجمعة ويوم ١٣ فحسدَنا الدهر وحقق قول الشعر :

اذا تم شيءٌ بدا نقصه ترقب زوالاً اذا قيل تم

صدق الشاعر في هذه المرة وان كان غير كذلك في الف مرة ومرة · نعم فقد حسدنا انفسنا على هذا النعيم · بل ان ايطاليا هي التي

حسدتنا . لا شك في ذلك . فقد اشتهرت في اهلها « الاصابة بالعين » حتى نحتوا لها اسماً غريباً وهو (Jettatura) وقالوا لمن اشتهر بها (Jettatore) اي الموقع او الملقي . وهذا يوافق ما جاء في الحديث الشريف : اتّقوا العين فانها تدخل الرجل القبر والجمل القدر .

وما المانع من انتقال كهرباء الاصابة بالعين من السكان الى المكان وحدوث تأثيرها من ارضهم على مركبنا وبحرنا ؟

قمت في فجر اليوم كعادتي لمشاهدة الشروق . فاذا في الجو سحائب متراكمة متتابعة متلاحمة وكلما حاولت الشمس التخلص منها والظهور للأعين من ثلمة بينها انضمت صفوفها والتصقت ببعضها فتغيب الغزالة عن الابصار .

وعندئذٍ أرسل ملك الرياح بلاغه الاخير الى ملك المياه فقامت الحرب على قدم وساق .

فنظرت الى أقصى الافق من جهة الغرب واذا بالرشاش يتطاير من الماء والرذاذ يتساقط من السماء . ثم انجلى البخار وبان عن جيوش من الهواء انقضّت من السماء فرأيت الماء فغرلها فاه واسكنها اياه وادخلها في معاه ثم اضطرب اضطراباً شديداً وأرغى وأزبد لاشتعال نار الحرب في جوفه . ولذلك لم نشاهد شيئاً سوى ان السفينة صارت تعلو على جبال فوق جبال ثم تهبط الى هاوية ليس لها قرار ثم يصدمها الماء والهواء فتكاد الجبال تنطبق عليها فيجأر اهلها بالدعاء الى رب العلاء فيتداركهم بلطفه الخفي . ثم تصطف الامواج وتخفق رايات الرياح فتعود الحرب بشدة تكاد تكون فيها الطامة الكبرى وانقضاء الحياة الدنيا .

مسكينةٌ الباخرة ومسكينٌ من فيها ! كأَنها قفص تلاعبت به الزعازع وفيه أَطيار لا تستطيع الى النجاة سبيلاً · فنحن محبوسون فيها وهي رهن الماء والهواء · ثم تعالى الموج حتى بلغ الأَوج ووثب على السفينة فتعدَّاها من جانب الى جانب · ثم لطمها الهواء على وجهها وأَجرى الماء من مقدمها الى مؤَخرها · فكانت في بحر وقد صار فيها بحر ·

عندئذ استعددنا لملاقاة خالقنا والمحاسبة على ما قدمت أَيدينا في حياتنا · وأَعرف رجلاً من تجار الشوام المتوطنين بالمنصورة صار يتضرع الى النوتية بأَن يرموه في البحر حتى ينتهي من عذاب الزوبعة وانهُ لشديد · فلم يلتفت اليه احدٌ منهم لانهم التهوا عنه وعن طلبه بأَخذ اهبتهم الكبرى ·

فتركناهم وشأْنهم يتصرفون في مركبهم كما يشاؤُون · ونزلنا بكل صعوبة الى اوكارنا في بطن الباخرة ونحن نهتف بذكر اللطيف الخبير · وما هو إِلا ان شممتُ رائحتهـا من الداخل حتى اعتراني غثيان فاضطراب في الرأْس والامعاء وكان ما خفت ان يكون ·

وما زلنا بين الموت والحياة حتى مالت الشمس للغروب فاذا بالسحب تبددت والمياه ركدت وشواطىء فرنسا بدت · فعاد الينا الأَمل تتبعه القوة والنشاط ونسينا كلنا التسابيح والتهليل لان خطر الغرق قد فات ·

قُتل الانسان ما اكفره



اليوم السادس

الاربعاء ١٨ ابريل



*
* *

الحمد لله أنزل السكينة على السفينة حتى دخلت المينا بالهيبة . فما هو إلا أن لاح الفجر الكاذب وظهر النبأ الصادق من المنار والانوار بانها استوت على جودي السلامة . والسلام!

فما صدقت بوصولي الى الفندق حتى طالبت الحمّام وبعد ان انتهيت منهُ طفت بمارسيليا وما العهد بيننا ببعيد وهي ككل المدائن البحرية المتجرية مكوّنة من خليط عظيم من كافة الامم والشعوب . واول شيء وجهت اليه همي وهمتي التوجه الى مطعم مشهور بصناعة البويّابيس (La Bouillabaisse) . وهي عندهم كالملوخية مثلاً عندنا وكالكبيبة عند الشوام . ولكن الحق يقال شتان بين الذي اخترناه واختاره جيراننا وبين الذي اشتهرت مارسيليا واهلها به فان طعامهم هذا فاخر لذيذ مغذ خفيف سريع الهضم . وهو عبارة عن ثريد في شوربة السمك وعن أسماك متنوعة مطبوخة بطريقة مخصوصة . وكان بودّي ان أصف لك ذلك ايها القارئ العزيز حتى تتلذذ وتتشهى و «يجري منك الريق ويسيل» ولكنني بكل أسف غير ماهر في هذا النوع من الوصف . وقد اقتصرت مهارتي في هذا الموضوع على الاجادة في

اكل هذا الصنف من الطعام · فلك بل عليك ان تقلدني فهذا الضرب من التقليد ممدوح ·

اما المدينة واحوالها وشوارعها ومنازهها ونحو ذلك فقد ذكرت بعض الشيء عنها في السفر الى المؤتمر كما ان كثيرًا من اخواننا الذين يقولون انهم كتبوا رحلتهم ووصفوا ما لاقوا فيها وما تأثر به وجدانهم وشعورهم قد ترجموا عن كتب الارشاد (Les Guides) المخصصة للاغراب وعن بعض التواريخ وغيرها كل ما تهم معرفة عنها ويقدر الانسان على تبيانه والعلم به وهو في بلده من غير اغتراب ولا فراق · وحينئذٍ « فالاعادة ليس فيها إفادة » ·

والأحسن عندي لمن يحضر هذه المدينة في بكرة النهار ان يرحل عنها بعد ان يطوف فيها قليلاً · ولكن لي عليه شرط واحد وهو : ان يبذل قصارى جهده في اكل البويابيس · وفيما عدا ذلك فانه يوفر درهمهُ ووقته ويعلم انني له من الناصحين أما انا فقد لبثت بها يومًا واحدًا وليلة واحدة على نية الرحلة منها ·

اليوم السابع

الخميس ١٩ ابريل

*

* *

مهما أُوتي الانسان من الاقدام وكان في عزيمته من المضاء وفي

فؤاده واسمه من الذكاء فلا شك انهُ يكون عرضة للتردد في بعض الاحيان . وذلك ينشأُ عن اضطراب الجسم أو الفكر . وكان هذا الاضطراب بنوعيه متوفّرًا عندي حينما اصبحت قاصدًا باريس .

وذلك ان القطار السريع (Le Rapide) يقوم من مارسيليا في الساعة التاسعة من الصباح ويصل العاصمة عند تمام الساعة العاشرة من المساء . و يقوم بعده قطار اكسبريس في الساعة العاشرة من الصباح ويصل مدينة الانوار في الساعة الثامنة من صباح اليوم الثاني : فتكون مدة الاقامة في هذا القطار ٢٢ ساعة . ومع ذلك فبعد التردد والتروي فضّلت الاكسبريس على السريع .

— لماذا ؟

— لانني كنت لا أَزال مهنوك الجسم من تأْثير البحر . فما أردت ان أَصل باريس وبي ضعف على ضعف . ولانني ما شئت ان أدخل مدينة الأنوار في غير النهار . ولكن لكي لا اقضي الليل في القطار فتفوتني بعض المناظر الشائقة المجبة عقدت النية على قسمة الطريق حتى يكون مسيري في هذه المرة باوروبا بغير إدلاج . فتتمتع العين و ينشرح الخاطر برؤية الخلوات والمزارع وما فيها من الخضرة اليانعة مفرّشة على بسيط الدأماء او واصلة الى عنان السماء .

رأيت على يميني الجبال قد اعتدى عليها الانسان (كعادته) حتى « جاب الصخر بالواد » فهدّ منها مربعات تكاد تقاس بالاشبار وحرث بعضها للزراعة وغرس اكثرها بالاشجار . وكلها اشجار فاكهة متناسقة على مثال واحد

وطولٍ واحدٍ وبعدٍ واحدٍ · نعم ان الارض مستوية ممهّدة مطمئنة وخطوط المحراث فيها منتظمة معتدلة مستقيمة ولكن وجهها كله حصباء وأحجار صغيرة متفتتة منتشرة بين رمل غليظ أصفر فتتكون من هذا الخليط قشرة الأرض الظاهرية · وأما الذي تحتها فأدهى وامرّ اذ هو عبارة عن طبقات متراكبة من الصخر والحجر ! أليس هذا يناقض على خط مستقيم ما نعهدهُ في وادي النيل السعيد ؟ أليس ان الانسان يسير من مصب المحمودية عند الاسكندرية او من ملتقى النهر بالبحر عند رشيد ودمياط حتى يصل الى الشلال بالقرب من اسوان فلا يجد حجرًا صغيرًا يضرب به حدأةً او غرابًا ؟

لله ما اسرع هذا الخاطر خصوصاً اذا كانت الارض تُطوى امام الانسان والجبال تأوّبُ معه والأشجار لا تلبث ان تبدو حتى تختفي فكيف لا يطير الفؤاد الى البلاد ويطوف في وديان الخيال ويقف السائح بلا حراك يقارن بين ما هنا وبين ما هناك ؟



اليوم الثامن

الجمعة ٢٠ ابريل



*

* *

يقتصر اغلب المصريين والشرقيين عند حضورهم الى ديار اوروبا

على زيارة العواصم الكبيرة والمدائن الجامعة فيفوتهم ولا شك شيء كثير من معرفة الحياة البسيطة الساذجة المعتادة في الارياف والخلوات. لذلك ارجوهم ان يحذوا حذوي ويزيدوا عني . فقد وجدت في هذا البندر الريفي المعروف بڤيلفرانش (Villefranche) راحة في الجسم وارتياحاً في النفس . خصوصاً وان المآكل فيها (كما هي في الارياف كلها) خالية من معالجات الكيمياء مجرّدة من تدبير الصناعة . فالزبدة فيها زبدة والجبن جبن والنبيذ نبيذ واللحم غضّ (طازجه) وهكذا الباقي من الاصناف . بخلاف الحال في المدائن الكبيرة إذ لا يكذب القائل ان لعلماء الكيمياء ولاهل المعامل فضلاً كبيرًا عليها في تكوين الزبدة والجبن والنبيذ . واما اللحوم فالغش فيها معلوم . (وقد وصلت طلائع هذا التمدن والحمد لله ! الى القاهرة والاسكندرية ! . . . أليس كذلك ؟) . بل ألم تسمع ايها القارىء بانهم قد توصلوا في امريكا لاصطناع بيض يشابه بيض الدجاج بالتمام ؟ اذا كنت لا تعرف ذلك فاعلمه . واذا كان بلغ مسامعك فتحقق مني صحته . واني أجيز لك رواية ذلك .

قمت مبكرًا فاذا كاني في احد بنادر الارياف بمصر : من صياح الديكة واضطراب الدجاج وخوار البقر وتغريد الاطيار فوق الاشجار . أما سلطان الطبيعة فتركنا في الانتظار . نعم فان الحياة الآدمية بقيت مستكنة حتى انتصفت الساعة السابعة من الصباح . فابتدأ القوم في النشور من الدور وفي مقدمتهم صعاليكهم من الرجال والنساء مبكّرين لأعمالهم والسعي على أرزاقهم .

ومما استوقف نظري واستغرق فكري ان ذوي المتربة منهم يحتذون بجزم كلها او نعالها فقط من الخشب . فترى بل تسمع الواحد منهم كانه يمشي في موكب حافل . ومع ما هو فيه من الأطمار والأسمال تراه يسعى بين الطنين والرنين كأنه ملك عظيم او ملك كريم : يرفع رأسه اختيالاً واستكباراً ويهزّ كتفَيه فرحاً واستبشاراً مرحاً وافتخاراً .

لم لا يكون كذلك ؟

أليس ان كل واحد منهم يعتقد ان له حصة في ملك فرنسا ؟ أليس انه فوق ذلك قد تصور الاماني والاوهام انه ربما ساعده الزمان على الارتقاء الى هذا الملك فصار رئيس الجمهورية في يوم من الايام ؟ كيف لا والشاهد أمام عينيه قريب ؟ فهـا هو المرحوم فلكس فور رئيس الجمهورية السابق قد ارتقى هذه المنصة العالية وتربّع في هذا الدست الفخيم مع انه كان في اول امره عاملاً عند الجلاّدين والدبّاغين . وها هو الموسيو دومر (Doumer) الوالي الحالي للمستعمرة الفرنساوية الكبرى المعروفة بالهند الصينية دخل قبل الآن في سلك الوزارة ناظراً للمالية . وقد حجز احد المحضرين قبل ذلك ببضعة ايام على منقولاته لتسديد ما عليه للمتعهد له بتوريد الخبز في كل صباح . فأمدّه صديق حميم ورفع الحجز عنه . وقد نال فيما بعد وسام الافتخار لان هذا الصديق من اهل الجدارة والاستحقاق ولكن لم يكن احد يدري به لولا هذه اليد التي اصطنعها والمأثرة التي قدمها . فلما وُلّيَ الرجل ناظراً للمالية أوصت زوجته على فستان لتحضر به الحفلات الرسمية .

فلما احضرته الخياطة اليها طالبتها بنقد الثمن اوّلاً والا رجعت بضاعتها من حيث أَتت · ويقولون ان هذا اكبر برهان لحد الآن على عفة الرجل ونزاهته واستقامته · وعلى كل حال فالامر الذي لا ريب فيه انه انما وصل الى هذه المراكز السامية بهمته وجده وفضله ·

فكيف تتصور بعد ذلك ان قصة الغسالة من الاساطير الموضوعة او الحكايات الملفقة ؟ ان كنت تعرفها فقد كُفي والاَّ فاسأَل عنها او أَرح نفسك منها او انتظر عودتي وكل آتٍ قريب ·

قلت انني اصبحت في هذا اليوم مبكرًا · فبعد ان شاهدت ما ذكرت رايت ان اسير في البندر واطوف شوارعه على الاقدام · فاوصيت صاحبة الفندق بارسال امتعتي الى المحطة مع عربة الفندق · غير اني لم اجد في هذا البندر شيئًا يستحق الالتفات فقصدت المحطة وركبت الاكسبريس في الساعة الثامنة من الصباح · فلما مضى على الظهر ساعتان نزلت الى مدينة سنس (Sens) وهي مشهورة بكنيستها الجامعة شهرة طبقت الآفاق · فتركت امتعتي بالمحطة وهرولت الى الكنيسة فاذا هي نخيمة شاهقة من الطراز القوطي كغالب او كل الكنائس في بلاد الاندلس · ومن الغريب في تفشي الكفر بفرنسا ان ثوار الكومون (La Commune) او (Les Communnards) قد تشفوا من الدين واهله فنزلوا بالمعاول على تماثيل القديسين التي على باب الكنيسة وفي اسفل جدرانها فقطعوا رؤُوسها كلها · انظر الى اين وصلت الحماقة والغفلة !

ومن الغريب ايضاً في تفشي الكفر بفرنسا الان ان رجال الحكومة مهما كان مشربهم او صبغتهم يعملون على معاكسة الدين واهل الدين بكل ما في وسعهم ٠ وقد اتفق مؤخرًا ان مجلس البلدية في احدى القرى راعى أميال الاهالي فقرر انشاء مدرسة يديرها رجال من الاكليروس فدخلها ٦٠ تلميذاً ٠ فلما علمت الحكومة بهذا القرار اصدرت امرها بابطاله حالاً ٠ ولكيلا تكون عقبة في طريق التعليم انشأت مدرسة اهلية غير دينية فانتظم في سلكها تلميذان اثنان !

نرجع الى الكنيسة ٠ فقد رأيت في مخزن تحفها وكنوزها اشياء كثيرة ليس لها كبير قيمة ٠ ومما استوقف نظري علبة اسطوانية من العاج مخروطة في قطعة واحدة من سن الفيل وعليها نقوش بديعة وابيات عربية جميلة لم اتمكن من نقلها وانما وقفت على ترجمة العلامة ده ساسي لها باللغة الفرنساوية ٠ وهي من صنع البغاددة ولا شك ان احد الصليبين احضرها من المشرق الى هذه البلد ٠ ورأيت ايضاً صليبين يقولون انهما من تاج الشوك الحقيقي ٠ وقد رأيت قبل الآن صلباناً كثيرة من هذا القبيل في كنائس متعددة اثناء اسفاري وعلمت بوجود اكثر منها في مدائن اخرى لم يتيسر لي زيارتها ٠

ثم خرجت من الكنيسة وطفت المدينة وصعدت الى أعاليها فاذا هي في نظام كبير ولها رونق جميل ٠

حتى اذا حان الميعاد ذهبت الى المحطة وركبت القطار فوصلت باريس في آخر النهار ٠

اليوم التاسع

السبت ٢١ ابريل

*

* *

أَصبحت في هذا اليوم بمدينة باريس ·

اكثرت من وصف باريس في رسائل « **السفر الى المؤتمر** » بما أَرى فيه الكتابة · فليراجعها من اراد فقد يجد فيها حاجته وزيادة ·

نعم · لست أُنكر ان هذه المدينة يستغرق وصفها الدفاتر والمجلدات وتقف دون استيعاب ما فيها القرائح والافهام · ولكني قد اديت إتاوتي فيحق لي اذن ترك هذا المجال لغيري عساه يزيد ويُجيد ويفيد فيصدق المثل السائر : « **كم ترك الاول للاخر** »

وانما اتحفك الآن ايها القارئ بنباء مستغرب بل مستنكر بل مستكره · ومن باب الاخلاص اتقدم اليك بانذار ودادي لتكون على بصيرة : ان كنت من الذين يتقززون فاترك السطور التالية وشأنها · ولك ان تمر عليها مرّ السحاب او مرّ الكرام · ولك ايضاً ان تمر عليها باسفنجة ولك ان تمزق هذه الورقة او تحرقها او تلاشيها باية طريقة اخرى وتتركني وحدي أُعاني همي في يومي · وان كان هذا يناقض العهد المعنوي الذي بينك وبيني وهو انك تتبعني حيثما وضعت قدمي · غير اني اجعلك الآن في حل من العهد شفقة عليك وحناناً بك · واياك ومخالفتي !

توجهت في ظهر هذا اليوم الى احد المطاعم الكبيرة في شارع الاوبرا

(لا يزال باب الخلاص مفتوحاً ولا يزال للقارىء مندوحة في ترك التلاوة · والاّ فان اصرّ على مخالفتي واتباعي في خطواتي كان ذلك بمثابة تجديد العهد الوثيق في استيعاب الحكاية لاخرها ·)

طلبت قائمة المأكولات فرايت اسم صنف من الالوان · فاشمأزت نفسي حتى وقعت القائمة من يدي · ثم تشجعت وتغابت على طبعي وعاودت النظر الى القائمة فعاودني التقزز والنفور · فخادعت نفسي وأدخلت عليها المحال وقلت لها : « لعل الباصرة اخطأت » فارجعت البصر أولى وأخرى فارتدت العين حسرى · وحينئذ قطعت جهيزة قول كل خطيب وعرفت ان الصنف الذي في القائمة هو طعام مطبوخ من

أبو هبيرَة أو امُّ هبيرَة

لانه يجوز ان يكون من الذكور كما يجوز ان يكون من الاناث · اظن القارئ لم يفهم مرادي بهذه الكنية و يطالبني بتسمية الشيء باسمه المعلوم · فهو:

العلجوم

« اني اسمع وانا هنا همساً يجيش في صدر القارىء : ما زاد البيان الاّ اشكالاً بذكر الذكر فهلاّ وجبت التثنية بالمؤنث ليستوي كافة القراء في الادراك » · وهو كذلك فهي :

(التالي للتالي)

«تابع» **اليوم التاسع**

السبت ٢١ ابريل

*
* *

اما اذا كان أحد المتفرنجين يتكرم بقراءة هذه الرسالة او يسمع بها فربما لا يفهم غرضي ويطالبني بالاسم الفرنساوي (Grenouille) او الانكليزي (Frog) او الطلياني(Rana) او الاسباني(Rama) فقد أجبته على سؤاله مقدماً ٠

حقًا ! لم يبق بعد ذلك مجال للشك والارتياب ٠ وقد فهم الناس أجمعون مرادي بل مراد القائمة بالتمام ٠ والحمد لله على كل حال ٠

فوسوس لي ابليس بالتجربة وانضمت اليه النفس الخبيثة (وهي أمارة بالسوء) ٠ ولكن طبعي بقي مصرًا على العناد والنفور ٠ فاشتبكت المحاورة والمناظرة بين الطرفين واشتدّ الجدال واللجاج بين الفريقين ٠ وانت تعلم ان « ضعيفين يغلبان قوياً » فما بالك اذا كانا من القوة والبأس بمكان ابليس والنفس وكان خصمهما من الضعف بدرجة الطبع وان كان غلاباً فها هو قد اصبح مغلوباً ٠

الخلاصة انني طلبت الخادم وأمرته باحضار هذا الطعام ٠ نعم نعم طلبت هذا اللون وأعني به ابا هبيرة او العلجوم ٠ فأحضر لي طبقاً في وسطه

شيء مشتبك مرتبك يشبه العقرب سوى انه ابيض . عظام دقيقة صغيرة تكسو أطرافها لحوم خفيفة مستديرة وكلها على شكل مختلط مختبط يزيد في الكراهة والنفور . فاصطكّت أسناني وانطبقت أجفاني وحوّلتُ وجهي برعدة في رأسي . فجاء ابو مرة وقال لي « جرّب هذه المرة ولك بعدها الخيار في الترك او معاودة الكرة » . وتآمرت معه نفسي فجاءت من الجهة الاخرى تدفعني وتصيح في أُذني « قد وجب عليك الثمن فما بالك لا تمتحن . وانت تعلم أنه عند الامتحان يكرم الضفدع او يهان » . وما زالا ينقّان على هذا المنوال حتى أعدتُ صفحة وجهي بالتدريج الى جهة الصحفة . ثم أغمضتُ عيني ومددت يدي وأخذتُ قطعة منها وانا افكر في الالوان الشهيّة التي اسمع عنها . ثم رميت بالقطعة من الضفدعة في فمي . وصرت آكل قليلاً قليلاً وانا أُفكر في أصناف لذيذة قرأتُ أسماءها في الكتب . صرت آكل من الضفدعة بصفتها ضفدعة حتى أتيت على كل ما في الطبق والحمد لله اولاً وآخراً .

(فصل فلسفي) . . . . قد اعتاد القراء على اني اكاتبهم اولاً فاولاً بكل ما يتأثر به الخاطر في وقته . وأقول لهم انني بالخصوص في وقت أكل الضفدع كنت أجهز اللقمة وأخطّ الكلمة وهكذا حتى انتهيت من الازدراد والتحرير .

أما الان وقد استقرّ هذا الطعام في جوفي وفي جوف . . . . من جازف بنفسه وقرأ هذه السطور فقد خطرت عليّ هذه الاسئلة :

١ — ما هو المانع العقلي او الشرعي من اكل الضفدع (وهو صنف مخصوص) ؟

٢ — أليس البدوي يتلذّذ بالتهام الجراد ؟
٣ — أليس الرفاعية وطائفة كثيرة من بني آدم يأكلون الثعابين؟
٤ — أليس الرشيدي يتفكّه باكل أُم الخلول ؟
٥ — أليس الاسكندري يهيم غراماً ببراغيث البحر (الجمبري) وهي اشبه شيء بالديدان الكبيرة ؟
٦ — أليس ساكنو السويس لهم تجارة كبيرة بالسرطان الذي يسمونه « ابو جلمبو » ويبدأون في أكله بانفسهم ثم بمن يحبون ثم يفكّرون في الفائدة التي تعود عليهم من بيعه ؟
٧ — أليس الفلاح في صعيد مصر يتحيّل بكل وسيلة لاصطياد فأر الغيط حتى اذا أصابه انقلب به الى اهله فرحاً مسروراً وصنع وليمة للاولاد والعيال والجيران ويكون في القرية عيد مشهور؟
٨ — أليس أهل مصر عموماً مغرمين باكل الفسيخ غراماً قد يصل بهم الى درجة الهيام ؟
٩ — أليس بعض النساء في الاسكندرية وغيرها من مدائن مصر يبحثن عن صغار الكلاب طلباً للبسطة في الجسم؟ بل ألست تعلم مثلي ومثل كل الناس انهنّ يتأنقنَ في صنع مربىّ مشهورة عندهنّ وهي المسماة « بالمفتقة » ولا تصح الا اذا كانت فيها تلك الحشرة التي لم يخلق الله أَسود ولا أنتن ولا أبشع منها ؟
١٠ — أليس الناس كلهم يتفاخرون باكل الدجاج المحمَّر وهم يعلمون من أي مادة غذاؤه الخصوصي غالباً ؟

فلماذا لا ياكلون كلهم الضفدع ايضا

ومهما كان الامر فانني أكلت منه · نعم نعم اكلت الضفدع · فان سمعت نصيحتي وأسعدك الزمان بالحضور لباريس فتطلبه او تطلب على الاقل مرقته (حتى اذا فاتك التوت لم يفتك شرابه) · وحينئذ يصح لك ان تقول انك تلذذت مثلي بنعيم الدنيا كما يقولون هنا ·

غير اني مع كل ذلك أجد ضميري ينبهني الى التمثل امام القارىء بقول ابن الفارض:

نصحتك علماً بالهوى والذي أرى * مخالفتي فاختر لنفسك ما يحلو

اليوم العاشر

الاحد ٢٢ ابريل سنة ١٩٠٠

*

* *

افتح عيناً واغمض الاخرى ؟

نظرت بعيني جميعاً الى جهة الركز والهمس فلم أر أحداً · وحينئذ لم أعبأ بالامر وبقيت مستمراً في طريقي · · ·

— افتح عيناً واغمض الاخرى ؟ وأطع ·

في هذه المرة سمعت الصوت واضحاً وأحسست بلكزة آلمتني فتلفت حولي فلم أجد شيئاً فتعوذت بالله وبسملت وحوقلت وسبحلت وهيللت ·

وسرت الى مقصدي من هذه الرحلة ٠٠٠٠

— افتح عيناً واغمض الاخرى ؟

عزيفٌ مرعب شديد خرق آذاني مع ما بها من الوقر. صحبَتهُ رعدة قوية في جسماني مع ما به من الثبات. فداخلني الخوف والاضطراب فرأيت وجوب الامتثال وأغمضت العينين.

اذا بي في مدينة النحاس او غيرها من مدائن الجان التي وصفها صاحب ألف ليلة وليلة. أسير بين قصور فاخرة شاهقة وأشجار زاهرة باسقة ومياه زاخرة دافقة وغرائب وعجائب وتماثيل وأنصاب ومراكب في البحر وركائب في البر وخلائق لاتحصى بأشكال لاتستقصى ودخان يرتفع الى عنان السماء ونقيع يثور في الفضاء وأصوات بكل اللغات وازدحام عام وعجيج وضوضاء كأنه قد نُفخ في الصور فبُعثر من في القبور وسيق الناس الى المحشر بل الى المعرض المنتظر.

هذا هو المنام الذي رأيته في اليقظة حينما قصدت المعرض في هذا اليوم فانني بمجرد ما تجاوزت ميدان الائتلاف (بلاس دولا كونكورد) ورأيت الابواب والبروج والاعلام والبنود ودخلت الدور والقصور وشاهدت ما فيها من الغرائب والبدائع ابتهجت النفس وقرّت العين وهام الفؤاد في وادي الخيال.

وقد كنت قبل مبارحتي القاهرة بشهر واحد توفّرت على قراءة «ألف ليلة وليلة» و «قصة سيف بن ذي يزن» لعلي أتوصل الى معرفة مؤلفي هذين الكتابين او عصرهما او البلاد التي صنّفاها فيها وغير

ذلك من المباحث التحقيقية الوافية وقد ظفرتُ بالمراد وربما نشرتُ خلاصة هذا البحث فيما بعد · فبقي في النفس أثر من هذه الخوارق ولا زال الخاطر متشبثاً بما مرّ عليه من تلك الغرائب فكان ذلك سبباً في حلُم المستيقظ الذي لا يكاد يراه النائم الاّ اذا حضر باريس · فقد صحّت فيها الاحلام وأضغاث الاحلام ·

غير ان الكمال لله وحده فان المعرض لم يتم للآن ولا بد له من شهر او شهرين حتى يكون حقيقة أعجوبة باريس بل اعجوبة الدنيا وآية العصر بل آية الاعصار · فعلى المصري ان يتربّص في بلاده حتى ينتهي الميعاد الذي حدّدته له فيجيء باريس ولا يذهب منه الوقت سدى · طفت في المعرض بين القصور التي هي منتهى الجمال والابداع تحف بها المعارج والاخشاب ويعلوها الغبار والتراب · وصرت انتقّل بين انجاد ووهاد وطرق معوجة وأخرى صاعدة هابطة مدة ساعة وزيادة حتى وصلت الى القسم المصري · فوجدته للان مثل بقية الاقسام بعيداً عن التمام · ولكن القوم فيه وفي كافة أقسام المعرض يبذلون قصارى الجهد ومنتهى العناية للاتمام في أقرب وقت ·

والخطاء كل الخطاء ناتج من أفتتاح المعرض قبل الاستعداد فكان من اللازم تأخيره المدة الكافية حتى لا يضيع على الغريب وقته ودرهمه نظير هذا التسرع الذي يستحق من التاريخ اللوم الشديد ·

نعم ان بعض الاقسام قد انتهى تمثيلها للانظار ولكنها من الملاهي التي أجتهد أصحابها في إتمامها حتى لا تفوتهم دقيقة واحدة في اقتناص الدرهم

والدينار .

فلهذه الاسباب حكمت محكمة التميز بوجوب الانتظار وإعادة النظر لاستيفاء التحقيق حتى تصبح الدعوى صالحة للحكم ويتيسر لكاتب المجلس ان يستحضر كافة الاوراق والمستندات ويشرح المسألة عن تحقيق وتدقيق ومعرفة ويقين . وحكمت ايضاً بتأجيل ذلك مدة اسبوع والزمت المعرض بالمصاريف الرسمية وغير الرسمية .

اليوم الحادي عشر

الاثنين ٢٣ ابريل سنة ١٩٠٠

*
* *

هذا هو يوم شم النسيم في مصر ولكن ليس له أثر في باريس وسائر بلاد الافرنج . ولكوني لا زلت حافظاً لصفتي المصرية وصبغتي الشرقية لابد للقراء من أن يمنحوني الراحة حتى أُشاركهم في نعيمهم كما أشركتهم في كل أحوالي . فواحدة بواحدة سواء

لذلك قصدت الخلاء فذهبت الى قرية صغيرة تبعد بالاكسبريس مسافة ساعة واحدة عن باريس . وان كانت المسافة بينهما اطول مما هي بين القاهرة وبنها والاجرة لا يمكن ان تُذكر بجانب ما نغرمه في مصر بل أَخجل اذا قلت انها عبارة عن اربعة فرنكات ونصف اي أَقل من

ثمانية عشر غرشاً صاغاً بيضعة ملاليم وذلك عن الذهاب والاياب في الدرجة الثانية • وهذه القرية تسمى ترِيل (Triel) فلله ما أبدع هذه المناظر الشائقة ولله ما أجمل تلك الاشجار والازهار والجبال والقيعان كلها بساط من السندس النضير قد نقَّطوه بالدنانير •

ونحن في مصر لا يمكننا ان ندرك جمال هذه الخلوات لان أرضنا منبسطة وليس فيها أشجار ولاغابات ولاجبال برقشتها يد العناية على أجمل مثال • فلما وصلت هذه القرية شاقتني و راقتني وعزمت على الاقامة فيها والاستراحة من ضوضاء باريس وملاهيها • وسأصفها وأصف خلواتها وكل آت قريب •

اليوم الثاني عشر

الثلاث ٢٤ ابريل سنة ١٩٠٠

*
* *

أصبحت بباريس منقبضاً منها عقب ما رأيته من جمال الريف • فقصدت زيارة المعارف وتعهد المعاهد • ولكبر المدينة وضخامتها انقضى النهار بين دفعتين من الذهاب او ثلاث • وغرمت ما غرمت من اجرة العربة ولله الامر من قبل ومن بعد في القرب وفي البعد •

اليوم الثالث عشر

الاربعاء ٢٥ ابريل سنة ١٩٠٠

*
* *

اضطرتني بعض الاشغال لتمضية هذا النهار في باريس ·

كنت قبل مبارحتي مصر يلومني كثيرون من اخواني واصدقائي على تبكيري بالسفر خوفاً من البرد واشتداده في اوروبا · فلما ركبت الباخرة من الاسكندرية هبط ميزان الحرارة في اليوم الثاني الى درجة ١٢ فوق الصفر · ثم صار يعلو وينزل متراوحاً بين ١٤ و١٧ حتى وصلنا مارسيليا · فاستقرّ على ١٩ · ولما وصلت الى باريس كان يتهادى بين ١٨ و٢٠ وبقي كذلك لحد هذا اليوم · فاستغرب الناس كلهم من هذه الحرارة غير المعتادة باوروبا وتخوفوا شرّ العقبى · فقام العلامة الفلكي المحقق المشهور الموسيو فلاماريون (Flammarion) ونشر عليهم جواباً آتي هنا على خلاصته ليتحقق اصحابي انني لم اهلك من البرد وانما اهلكني الغلاء وغير الغلاء وخصوصاً عدم تمام المعرض · وهذه خلاصة الجواب نقلاً عن بعض الجرائد الكبرى :

« الى هذا اليوم بقي الحر لطيفاً معتدلاً لا يشوبه برد حتى داخلت الدهشة اهل اوروبا واستفهموا من عمدة علماء الفلك بباريس وهو العلامة فلاماريون عن سبب هذه الحرارة الصيفية التي خرجت عن

الناموس المعتاد في شهر ابريل فقال :

« ان التوازن من مستلزمات الطبيعة · فكما هو ضروري في اغلب الكائنات كذلك لا بد منه في انتظام حوادث الكون والفساد · فقد كان البرد قارساً في شهر مارس وحينئذٍ فلا بد من موازنته بحرّ استثنائي يحصل في ابريل لينتظم التوازن في الطبيعة · ومن الخصائص التي انفردت بها هذه السنة والتي تقدمتها ان يناير كان فيها اشد برداً من فبراير وان مارس كان اصقع من فبراير · وليس في احوال الجو الحالية دليل ينبئنا عن المستقبل من حيث الحرارة والبرودة · فان التغيّرات في الجو تحدث عن تيّارات هوائية يستحيل على اهل العلم والتحقيق الانباء عن مجاريها مقدماً · وغاية ما يقال ان اعوام ٩٧ و ٩٨ و ٩٩ كانت درجة الحرارة فيها شديدة ونظام الكون يستدعي وجود التوازن فلا بد حينئذٍ من ازدياد البرودة في سنة ١٩٠٠ او سنة ١٩٠١ · ولكننا لا يمكننا تعيين واحدة منها فان ذلك من مكنونات الغيب ولا يتكفّل بكشفه الاّ المستقبل »

ولا بد لي في هذا اليوم من ان اترك القارىء في وديعة الله لانني سأزور بعض المتاحف والمكاتب والمطابع والمدارس · وليس له فائدة في اتباعي فيها او في جرّي اياه اليها · وفي غدٍ تكون المقابلة معه ان شاء الله



اليوم الرابع عشر

الخميس ٢٦ ابريل سنة ١٩٠٠

*
* *

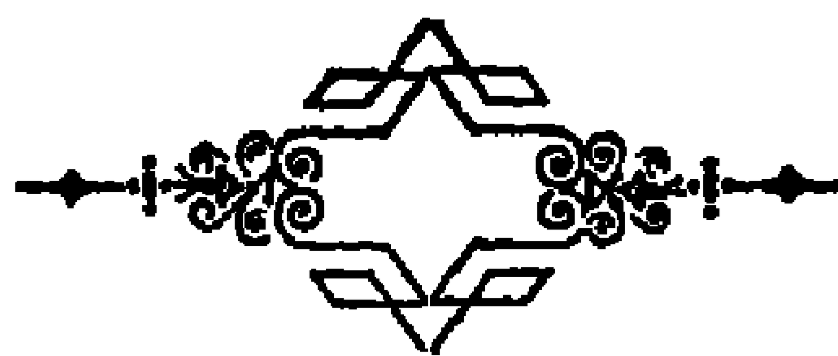
باريس مثل سائر عواصم اوروبا ومدائنها الكبرى لها في العادة حركة هائلة يذهل امامها العقل ويحار فيها الفكر فكيف بها في ايام المعرض العام . لا جرَم انها تستدعي زيادة الخفة ونهاية النشاط . فاذا اراد الماشي ان ينتقل من احدى حافتي الطريق الى الاخرى اي من رزوق الى آخر أَو (بالتعبير المتعارف في مصر الآن) من تلتوار الى تلتوار (كذا) وجب عليه الاسراع في العدو والوثب والقفز مع الاحتراس الشديد والالتفات التام الى الخلف والى الامام واليمين والشمال لئلا تصدمه العربات المتعددة الانواع والاشكال مما لا يدخل تحت حصر ولا يضبطه احصاءٌ .

اما اذا كان يجري على طريقة الشرقيين في التماهل والتكاسل والنفخة والفخفخة والعظمة والابهة فالافضل له في رأْيي ان يريح ويستريح .

— وكيف ذلك وهو يريد ان ينعّم نفسه برؤْية عظمة باريس او ينعم على باريس برؤْية عظمة نفسه ؟

— اذا كان ولا بد فليكن دائمًا في عربة مترفعًا عن العامة ففي ذلك السلامة .

ولكن ورد في الحديث « الدين النصيحة » ولذلك اشعر في سريرتي باهتزاز كرقاص الساعة يدفعني الى تحذيره من ذلك كل التحذير · فانه اذا ركب العربة لاجل مسافة واحدة واجب عليه دفع فرنك ونصف طالت المسافة او قَصُرت على شرط ان لا ينزل منها فان فعل ثم عاودها حُوسب على اجرة ساعة وهي فرنكان بالتمام ولو كانت مدة ركوبه لم تزد على خمس دقائق · هذا خلاف الحلوان او الهبة او··· البقشيش (Pourboire) فانه امر مقدّس يجب التفكر فيه قبل الاجرة القانونية وهو بالاقل عبارة عن قرش صاغ (٥ صلدي) عن المسافة الواحدة ونصف فرنك اي ١٠ صلدي عن الساعة · وهذه هي التعريفة المعتادة · اما ايام المعرض فانها تزيد بحسب هوى الحوذي فهو الخصم والحكم ويا ويل من ركب عربة على غير اتفاق فيقع بين يديه وهو يجور عليه ولا يبالي · فلينظر صاحبنا مقدار ما يلزمه من النفقات في الركوب وحده واما بقية المصاريف في الاكل والشرب والنوم والمشتريات واللوازم وغير ذلك فربما تكلمت عنها في يوم آخر متى توفرت لدى المعلومات الكافية بعد التجربة المرّة المرّة بعد المرة · وأمري لله واليه أُنيب ·



اليوم الخامس عشر

الجمعة ٢٧ ابريل سنة ١٩٠٠

*
* *

انتقلت الى الريف وهو عندي النعيم فلست ارضى تكدير نفسي بالتحرير والتحبير · بل اتفرغ للاستعداد للاقامة مدة شهر في ترِيل (Triel) وانزل الى باريس عند شروق الشمس واعود منها عند الغروب ·

اليوم السادس عشر

السبت ٢٨ ابريل سنة ١٩٠٠

*
* *

توجهت الى المعرض فاذا القوم في اهتمام زائد بانجازه فعدت بعد ان دوّنتُ بعض المعلومات مما ادّخره لك في المستقبل ان شاءَ الله· ومن يعش يره ·

اليوم السابع عشر

الاحد ٢٩ ابريل سنة ١٩٠٠

*

* *

هو يوم الراحة في بلاد الافرنج . ولذلك قصدت بعض الخلوات والغابات على سبيل النزهة والرياضة . ونمت ليلتي في هناء وصفاء حتى تنفس الصبح فتيقظت على الحان البلابل في الاشجار فلله ما احلاها وما اشجاها . وان لم تصدقني فتعال اسمع معي .

اليوم الثامن عشر

الاثنين ٣٠ ابريل سنة ١٩٠٠

*

* *

أَلم يصدق الاقدمون . نعم ان العجلة معها الندامة . واي ندامة بل ايُّ شؤْم تنفطر له القلوب وتذوب منه المرائر اكثر من الحادثة القارعة والمصيبة الجامعة التي وقعت بالامس في المعرض .

انهدمت قنطرة اوممشى معلق في الهواء للتوصيل بين المعرض وبين القبة التي صنعوها تمتالاً وتقريباً للسماء ذات البروج .

لا بد انَّ التلغراف طنَّ ورنَّ وأنَّ ونشر الشجن والحزن في كل مسكن ووطن ؟



مظر القنطرة بعد سقوطها

في هذا الصباح دوى خبر هذا الحادث الاليم في كل الارجاء · فتنبهت من نومي بين اشجان البلابل وبلبال الشجون وتغريد الطيور وانهار الدموع واشراق الشمس وظهور اليأس على كل نفس ·

فسألت عن الخبر فعلمت بهذه الفاجعة · ويا لها من فاجعة ! اقامت قيامة الامة كلها على الحكومة فأكثرت من تعنيفها ولومها على افتتاح المعرض قبل تمامه · مع ان الحادثة وقعت خارج دائرة المعرض ولا ذنب فيها للقائمين بتنظيمه ·

وتحرير الخبر ان الجماهير تقاطرت بالامس بكثرة زائدة على المعرض لكون اغلب الناس في فراغ من الاعمال في يوم الاحد وكانت دائرة المعرض تموج بهم كانها البحر الزاخر فانهم كانوا يعدون بمئات الالوف حتى بلغ عددهم ١٦٠ر٢٣٠ نفساً · وقد اقامت احدى الشركات المالية قبة سماوية هائلة تمثل فيها الكواكب والنجوم والبروج باكبر شكل وابهى مثال · ولكنها خارجة عن دائرة المعرض ولذلك طلبت الاذن باقامة قنطرة هوائية ترتفع عن الارض سبعة امتار وتمتد على مسافة ١٠٠ (بثقل ١٨٠ كيلو عن كل متر مربع) حتى لا يضطر زائرو المعرض للخروج منه لاجل الدخول فيها ثم العودة الى المعرض ودفع الاجرة مرتين ·

وقد أتمت هذه الممشى لكن الحكومة لم ترض به وظهر لها خلل فيه واوعز مهندسوها الى الشركة المذكورة بتلافيه · ولذلك يحمد القوم هذه العناية الربانية فلولاها لكان الخطر اكبر والمصيبة مضاعفة · اذ كان الناس يزدحمون عليها ازدحاماً فوق العادة كما هو شأنهم في الاقبال على كل جديد خصوصاً في باريس وعلى الاخص في المعرض · فكان عدد القتلى يعدُّ حينئذٍ بالالوف من فوقها ومن تحتها · فالحمد لله الذي لطف بعباده في قضائه المحتوم ·

فلما انتصفت الساعة الرابعة من النهار انتشر صوت مريع بين الناس وجهر الناعون على رؤوس الجماهير بخبر هذه الفاجعة المحزنة وانها قضت على حياة الكثيرين وجرح فيها جم غفير · ثم جاءت الانباء الرسمية مؤيدة بصحة هذا النعي · فتبدلت الافراح وبكت

العيون ، وساد الحزن ، وانفطرت القلوب · وهرع القوم الى مكان الحادث ينتحبون و يبحثون على ذوي قرباهم ومودتهم ·

كان هذا الممشى مقاماً على دعائم من خشب ؛ فلما تمّ نزعوا الدعائم من تحته ، فلم يلبث الاّ اربع ساعات حتى انهار ؛ فكان له قصيف يشبه هزيم الرعد ، ودوي المدافع · فتساقطت على المساكين المارّين ، كُتَل كبيرة من الاحجار والاخشاب والحبال المعدنية والقضبان الحديدية · فعلا الصياح والصراخ الى عنان السماء حتى انفطرت القلوب وانشقت المرائر ، وطلب الناس الفرار فترك الرجل زوجته ، والام ابنها ، والاخ شقيقته · وكان كل انسان يطلب النجاة لنفسه وهو لا يصدق بها · ولذلك انتشر هول الفزع ، في دائرة كبيرة حول مكان الحادثة ، حتى تصور الناس ان النار اخذت في التهام المعرض بما فيه وبمن فيه ·

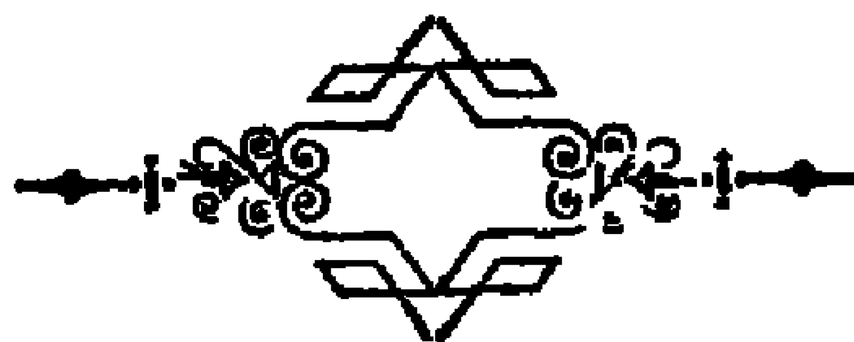
فبادر رجال المطافئ والعملة ، لانقاذ الناس من الردم ، فلاقوا المشاق التي لا توصف و بادر الاطباء لاسعاف المجروحين والمحتضرين · وفي كل لحظة كانوا يسمعون الانين والحنين والزفير والشهيق والحشرجة والكرير ، فيرتفع العويل والنحيب ، بين الحاضرين · ثم استحضروا جميع الفعلة الذين يشتغلون في كافة اقسام المعرض وشغلوهم طول الليل في ازالة الردم والبحث عن بقية القتلى و الجرحى · ولا تسل عن اخلاص رجال الانقاذ ، والقائهم بانفسهم في مهاوي الاخطار الاكيدة ، والهلاك المحقق ، لتخليص الارواح والاشباح ؛ حتى استوجبوا الثناء العام ، كما هي عادتهم على الدوام · وامروا بابطال الزمور والطبول في تلك الليلة في المعرض ، اشعاراً بالحداد العام ·

ثم حضر رجال النيابة والقضاء وشرعوا في التحقيق ·

ثم اتى المحافظ وشاهد اخلاص بعض العملة في الانقاذ ، فنقد الفقراء منهم في الحال ١٠٠ فرنك ، لكل واحد ؛ وحرر قائمة يطلب بها وسامات الامتياز لهم ولغيرهم ·

وقد بلغ عدد القتلى ١٢ · واما الجرحى فكثيرون جدًّا ، ذهب معظمهم الى منازلهم ؛ والذين بهم جراح جسيمة نقلتهم الحكومة الى المستشفى ، بعد ان اسعفهم الاطباء بالعلاجات المستعجلة ، في مكان قريب من ميدان الحادثة ·

هذه هي خلاصة ما سمعتهُ ممن رأَوا الحادثة ، وشاهدوا أَعمال الانقاذ · فعساها لا تتجدد · والحمد لله الذي جعلني افضّل في يوم الاحد الماضي النزهة في الخلوات والرياضة في الغابات ! ولو كنت أُوتيت العلم بحصولها ، لحضرت الى مشهد الواقعة ، ووقفت بعيدًا عنها ، حتى اذكر للقرَّاء ما تأَثرت به الباصرة والبصيرة · أَو كنت أَخبرت القوم بالاحتياط والاحتفاظ ، ولو انهم ما كانوا يسمعون قولي ، ولا ينفعهم نصحي ، ولكن كنت اتسلى بقول من قال : « انَّ المحبَّ عن العذَّال في صممِ »



اليوم التاسع عشر

الثلاثاء اول مايو سنة ١٩٠٠

*

* *

تجددت بالمعرض حادثة أُخرى ، مثل التي وقعت بالامس ، وهي من حسن الحظ أخف وطأة ، واقل ضررًا . ولكنها فتكت باربعة من الفعلة النقاشين مات اثنان منهم والآخران على آخر رمق . ومن سوء الحظ ايضاً ان احد العملة المصريين اصيب اثناء اشتغاله بالقسم المصري وقد نقلوه الى المستشفى وهو في حالة الخطر . ولما كان هذا اليوم رأس السنة الهجرية ، وهو عيد عام ، عند اهل الاسلام ، رأيت مشاركة اهل ديني في الراحة والرياضة ، خصوصاً وان الحر شديد لا يطاق ، بدرجة لا يتصورها المتمتعون بهواء القاهرة . فليقبل القراء هذا العذر الواضح المزدوج ، فانهم كرام

اليوم المتمم للعشرين

الاربعاء ٢ مايو سنة ١٩٠٠

*

* *

في مساء هذا اليوم ، يقوم البريد من باريس الى مارسيليا ومنها الى

الاسكندرية . وقد وردتني في الساعة الثالثة بعد الظهر، رسائلُ وكتبٌ من مصر، فأَجبتُ اصحابها، بعد ان اشتغلت طول الصباح بتجهيز هذه الرسائل على عجل؛ ولكن الحرّ لا يزال شديداً لا يطاق، بل هو آخذ في الازدياد؛ فكيف يكون الحال، في اغسطس . وقانا الله واياك! آمين!

اليوم الحادي والعشرون

الخميس ٣ مايو سنة ١٩٠٠

*

* *

الكمال لله وحده! فهذا المعرض قد فتحوه رسمياً، ودعوا اليه كافة الامم والشعوب . ولكن شتان بين الرسمي والواقعي! فانه لا يزال للآن غير مستوفىً؛ وأينما سار الانسان فيه، وجد في طريقه آلافاً وأَصنافاً من الفعلة والعمال، وكلهم مجدٌّ في إِنجاز عمله وإِبداعه على أَبدع مثال . واني أُنصح القراء الذين يستطيعون سبيلاً الى هذا الحج المدني المختلط، ان يتربصوا قليلاً بل طويلاً، حتى يستكمل المعرض معداته، ويبرز للعيون في اكمل حالاته .

ولقد طُفته مرارًا عديدة، لترتسم صورته العمومية في مخيلتي، ولكن كان يحول دون المرام، وجود السقائل والاخشاب، وارتفاع الغبار والتراب، وانسداد الطريق المستقيم، واحتجاب أغلب المعروضات

عن العين . فكنت بعد التعب والنصب ، أؤوب بصفقة المغبون ، واقول : ان غداً لناظره قريب

اليوم الثاني والعشرون

الجمعة ٤ مايو سنة ١٩٠٠

*

* *

ربما شكر القراء سعيي . في هذا اليوم ، لجمع شذرات تاريخية على المعارض بوجه عام . فتكون بمثابة التمهيد لما تتوق اليه نفسي من التوصل لاحاطتهم علماً بتفاصيل هذا المعرض العام ، الذي ربما لا يتجدد نظيره ولا بعد مائة عام ، وبه سيكون حسن الختام في هذا القرن التاسع عشر من الميلاد .

انتقل الانسان في اوائل التاريخ ، من طور البداوة والبساطة ، الى مبادىء الحضارة والاجتماع . ثم اخذ يرتقي قليلاً قليلاً حتى ملك عنان الطبيعة بأسرها ، واصبح سلطان الوجود ، يتصرف فيه وبه كما وكيف يشاء ، ويستخدم قواه الظاهرة والكامنة ، لقضاء اغراضه المتجددة المتوالية اللاّ متناهية ، الى ان وصل هذا المخلوق الضعيف الى درجة جعل فيها المستحيل من اقرب الممكنات . فهذه عيوننا ترى ، وآذاننا تسمع ! أليست متولدات الليالي والايام ، لا تكاد تخطر على

الخيال ، ولا تدخل في دائرة الاوهام ؟

لعمري /لا أدري متى يقف هذا التيار ؟ ولا الى اي حد يصل الانسان ، وها هو قد فاق آلهة الاقدمين ، في الايجاد والاختراع ، وإظهار الخوارق والمعجزات . ان هذا لشيء عجاب

. . . .

اشتغل الانسان في اول امره بالفلاحة . فاضطرته الى الصناعة . ثم دخل في غمار التجارة . وفي اثناء ذلك ، تقدم في انواع المعارف . ثم اشتبكت معاملاته ، وكثرت حاجاته ، فاستخدم معلومه ومعقوله في سبيل التقدم والارتقاء . فقامت حينئذٍ اسواق التجارة . وكانت ولا تزال المحور الذي يدور عليه دولاب المدنية والحضارة .

ثم أشرك المعقول بالمصنوع .

فكان ابو التاريخ هيرودوت يتلو كتابه على قومه اليونانيين ، وهم مجتمعون في الاسواق يتعاطون البيع والشراء . فاعجبتهم رواياته عن اسفاره في مشارق الارض ومغاربها ، وراقتهم اخباره عن الامم الغريبة واحوالها . فكانوا يجودون عليه ببعض ما كسبوا ، حتى أصبح وله من قراءة التاريخ في الاسواق ، ثروة هائلة طائلة ، يحسده عليها اكبر الآخذين باسباب الاخذ والعطاء .

وهكذا كان الشأن عند جميع الامم القديمة ، حتى وصل الدور الى العرب . فكانت عكاظ مجتمعهم الاكبر في الجاهلية ، والمربد في الاسلام . وهما سوقان عظيمتان ، كان القوم يشتغلون فيهما بالبيع

والشراء ، والمناظرة والمفاخرة ، وانشاد الاشعار ، واظهار البراعة والاعجاز ، في سائر انواع المعقول والمفهوم . وكان لهم في ذلك نظام بديع وترتيب عجيب ، لا محل لذكره في هذا المقام .

وانت خبير بان السواد الاعظم من الذين رفعوا منار العرب والعربية ، ووضعوا قواعد الفخر الباقي لهذه الامة المجيدة ، كانوا من اهل السياحة والتجارة . ولست في حاجة ايضاً لزيادة الاطناب في هذا الباب .

استمر الحال على هذا المنوال ، عند امم الشرق القديم والحديث ، حتى دالت الامور لاوروبا ، وصارت السيطرة لاهلها والثروة في يد ابنائها . فحفظوا هذا التراث المجيد ، الذي انتقل اليهم او اغتصبوه ، واخذوا في انمائه ، حتى بلغوا ما بلغوا ، والله بالغ امره !

والظاهر ان اول معرض يصح وصفه بالصناعي حقيقة ، هو الذي اقيم بمدينة پراج (Prague) عاصمة بوهيميا في سنة ١٧٩١ . فكان من ورائه مكسب عظيم وربح عميم ، للقائمين به والمشتركين فيه . فدبت الغيرة في اهل پاريس . فأقاموا في ايام حكومة المشيخة (Le Directoire) معرضاً في سنة ١٧٩٨ . واحتفلوا بافتتاحه احتفالاً شائقاً . وكان عدد العارضين فيه ١١٠ من اهل التجارة والصناعة والمعارف . فذاقت الامة لذة المعارض ، وعرفت فائدتها . فاقبلت عليها إقبال الجياع على القصاع . وهذا شأن الامة الفرنساوية في كل جديد ومستظرف .

ولكن الانكليز فاقوا الامم الاوروباوية التي تقدمتهم في هذا السبيل . فانهم اخذوا النظرية عنهم ، ولكن سبقوهم بمراحل في العمل والتطبيق ، واجتناء الثمرات المادية اولاً والمعنوية ثانياً . فقد اقاموا في سنة ١٨٥١ اول معرض عمومي اشتركت فيه الامم كلها . انشأوا لهذا الغرض الدار الرحيبة المعروفة الى الآن بقصر البلور . وكانت مساحة هذا القصر وملحقاته عبارة عن ٧٣,١٥٠ متراً مربعاً . وقد اثبت الانكليز للعالم اجمع ، فائدة المعارض العامة ، حيث يتلاقى فيها اهل الابحاث والاشغال والملاهي ، فترتبط الامم ببعضها ، وتزيد المناظرة بين افرادها . فيتقدم المجموع ، ويرتقي الانسان .

ولم تنشط امة من اوروبا لتقليد الانكليز في هذا العمل العظيم ، خوفاً من مسابقة الاجانب لابنائها ونيل قصب السبق عليهم . مع ان نجاح معرض البلور كان ظاهراً للعيان ، ولا ظهور الشمس في رائعة النهار . فقد بلغ عدد زائريه ٦,٠٠٠,٠٠٠ من النفوس ؛ والشركة التي اقامته ربحت ما يزيد على ٢١١,٥٣٠ جنيهاً مصرياً .

فلما رأى الانكليز هذا السكون من اوروبا واهلها ، اقاموا معرضاً عاماً ثانياً في دوبلين ، حاضرة ايرلندة ؛ ونجحوا ايضاً نجاحاً عظيماً دعا الامم الاخرى للاقتداء بهم . ولكن كان السبق في هذا المضمار لامريكا : فانها اقامت معرضاً عاماً بمدينة نيويورك كان له دوي عظيم في الخافقين . ثم تنبهت اوروبا القديمة من سباتها ، فأقامت معرضاً عاماً ، بمدينة مونيخ ، عاصمة باڤاريا بالمانيا .

وحينئذ هبّت فرنسا ايضاً من رقدتها ، ودخلت في غمار هذه الحركة الجليلة . فاقامت معرضاً عاماً في سنة ١٨٥٥ . وقد قامت شركة تجارية بانشاء القصر المعروف بقصر الصناعة في ميدان شان دومارس (اي ميدان إله الحرب) . وكانت مساحة هذا القصر وحده ٣٢٠٠٠ متر مربع ، واما مسطح المعرض كله فكان ١٦٨٠٠٠ متر مربع . ولكن الشركة لم تربح مثل اختها بلوندرة ؛ وبقي هذا القصر كلاً عليها ، حتى رأفت الدولة الفرنساوية بحالها ، فاشترته منها لاقامة المعارض الاهلية السنوية فيه . وبقي كذلك حتى هدموه منذ بضعة اعوام ، واستبدلوه بقصرين فاخرين هما المعروفان بالقصر الكبير والقصر الصغير وسنأتي على وصفها بالتفصيل .

ثم اقامت لوندرة معرضاً عاماً ثانياً في سنة ١٨٦٢ في قصر كنسنتون (Kensington Park) وهذا القصر هو الان عبارة عن متحف جميل في عاصمة الانكليز . وقد وصفته في رسائل « السفر الى المؤتمر » .

فتابعتها باريس في سنة ١٨٦٧ وكانت مساحة المعرض عبارة عن ٦٨٧،٠٠٠ متر مربع .

ثم تفنن الانكليز ، حتى يكون لهم السبق في الابداع والاختراع فابتدؤا في سنة ١٨٧١ في عمل سلسلة معارض عمومية سنوية ، بحيث يكون كل واحد منها خاصاً بنوع واحد او بطائفة معينة من الاعمال والمعروضات . ولكن النتيجة المالية التي يسعون دائماً وراءها لم تأت وفق الحساب . فرأوا من الصواب العدول عن اكمال السلسلة ، بعد اربع سنوات .

وقد رأوا من الاوفق لصالحهم ان يجيبوا الدعوة الى المعارض العمومية الاخرى ولا يقيموها في بلادهم ، فتوفرت عليهم كثير من المغارم ، وعاد عليهم هذا الاسلوب الجديد بكثير من المغانم ·

وفي سنة ١٨٧٣ اقامت ويانة عاصمة النمسا معرضاً عاماً ، كان لقسم التربية والتعليم النصيب الاكبر فيه · ثم دخلت امريكا في الميدان ، واقامت معرضاً عاماً بمدينة فيلادلفيا سنة ١٨٧٦ · فلما كانت سنة ١٨٧٨ اقامت فرنسا معرضاً عاماً كبيراً ، وبقي منه الى الآن قصر التروكاديرو الجميل · وقد وصفته بالايجاز في رسائل « السفر الى المؤتمر » وبلغ عدد زائريه اكثر من ١٦ مليون من النفوس · ومع هذا النجاح الباهر كانت نتيجته خسارة على الحكومة وعلى بلدية باريس · وبلغ مقدارها ٣٧ مليون فرنك ·

ووصل التيار الى اوستراليا · فاقامت في مدينة سدني (Sidney) سنة ١٨٧٩ وفي مدينة ملبورن (Melbourne) معرضين عامين · ثم عادت المياه الى مجاريها في اوروبا · فاقيم معرض عام بامستردام بهولاندة (سنة ١٨٨٣) ثم في انفرس ببلجيكا (١٨٨٥) ثم في برشلونة باسبانيا وفي بروسل ببلجيكا (سنة ١٨٨٨) · حتى كانت سنة ١٨٨٩ فاقامت فرنسا معرضها الاكبر ، ولا يزال الناس يذكرونه للآن · واكبر اثر بقي منه في عاصمة الفرنسيس برج ايفل الذي لا يزال يشرف على المدينة وعلى معرضها الحاضر ·

ثم جاء الدور لبلاد الروسيا ، فاقامت في مدينة موسكو سنة ١٨٩١

معرضًا روسيًا فرنساويًا · ثم اقامت شيكاغو بامريكا سوق العالم في سنة ١٨٩٣ ، وقد بلغ مسطحه ٢،٦٩٤،٦٣٦ مترًا مربعًا اي ان مسطحه يزيد كثيرًا عن ضعف مسطح معرض باريس سنة ١٩٠٠ ؛ ولكن هذا المعرض الحاضر يزيد على الذي تقدمه بكثير من الغرائب والعجائب كما يمتاز بجودة الابداع وسلامة الاختراع ·

اليوم الثالث والعشرون

السبت ٥ مايو سنة ١٩٠٠

*

* *

هذا اليوم قضيته في جمع معلومات اجمالية عن المعرض · وهي لازمة لمن يريد — وهو بعيد — ان تتجلى امام بصيرته ، هذه المظاهر الانيقة ، وهذا النظام البديع ·

المعرض يشغل مساحة عظيمة قدرها ١٠٨ هيكتارات اي ١٠٨٠،٠٠٠ مترًا مربعًا [1] منها ٤٦٠،٠٠٠ مترًا مربعًا اقيمت عليها المباني الفاخرة ،

---

(١) لكي يقف القارئ على جسامة المعرض الحالي أورد له مسطحات المعارض السابقة في باريس ليتمكن من المقارنة

سنة	١٨٥٥ :	١٦٨،٠٠٠	مترًا مربعًا منها	١٢٠،٠٠٠	مشغولة بالمباني
«	١٨٧٦ :	٦٨٧،٠٠٠	« « «	١٦٦،٠٠٠	« «
«	١٨٧٨ :	٧٥٠،٠٠٠	« « «	٢٨٠،٠٠٠	« «
«	١٨٨٩ :	٩٦٠،٠٠٠	« « «	٢٩٠،٠٠٠	« «

والعمائر المتناهية في الجمال ·

عدد ابوابه ٤٥ واكبرها البوابة الاثرية الفخيمة (PorteMonumentale) الموجودة بقرب ميدان الائتلاف (Place de la Concorde) وقد وصفت هذا الميدان في رسائل « السفر الى المؤتمر » · وسأصف هذا الباب الفخيم فيما يلي بالتفصيل الكافي ، مع وضع رسومه الباهية الباهرة ، ومناراته الشائقة الشاهقة ، حتى يتخيله القراء كما اراه ، في اجلى مظاهره ، وابدع مشاهده ·

بداخل المعرض زيادة عن ١٥ مطعماً (لوكاندة) كبيرًا ، غير القهاوي والبارات ودكاكين المشروبات ، فانها لا تكاد تحصى وفيها يتناول الانسان بعض المأكولات · وذلك خلاف الكشكات الكثيرة التي في قسم المواد الغذائية حيث يباع النبيذ والجعة وشراب التفاح ·

وفيه عدد عظيم من المصارف (النبوكة) : منها مما هو في بعض الاقسام الاجنبية ، ومنها هو مقام في كشكات جميلة حول برج ايفل · وكلها تشتغل بكافة العمليات المالية ·

وقد اقاموا فيه كثيرًا من المستشفيات الوقتية ، للقيام بلوازم الخدمة الطبية المستعجلة ، خلاف محال الاسعاف الموجودة بقره قولات البوليس ·

اما نظام الضبط والربط ، فيقوم به جنود متنوعة هذا بيانها :

اولا — ٣٠٠ فارس حول الابواب } من الحرس الجمهوري
٥٠٠ داخل حومة المعرض }

ثانيًا — ٦٠ مفتشًا من الضباط انتدبتهم مصلحة الضبط والربط

لهذا الغرض

ثالثاً — ١٢٠٠ حارس في الاقسام المتنوعة ، تحت اوامر المفتشين المذكورين

رابعاً — ١٢ فرقة من جنود المستحفظين تحت رئاسة ٥٠ اونباشي فوقهم ٤ من المفتشين ٠ والكل تحت أوامر ٤ من ضباط الامن العام

وزيادة على ذلك توجد علامات (سمافورات) موضوعة على ابعاد معلومة ، لاستخدامها في إخطار رجال الحفظ ورؤساء الامن العام ، باية حادثة او حريقة تحصل من غير ادنى تأخير ؛ ولتنبيههم ايضاً على شدة الازدحام في بعض الجهات والطرقات ، حتى يتخذوا الاحتياطات اللازمة ، لتسهيل المرور ومنع الحوادث والاخطار ٠

وفوق هذا كله ، قد وضعوا في داخل حومة المعرض وحوله ، رجالاً من العسس يركبون الدرّاجات ٠ فيدورون بالليل بصفة « طوف » ويسارعون الى طلب النجدة والمعونة عند الحاجة ٠

وبما ان المعرض قائم على حافتي نهر السين ، فللافاة الاخطار التي ربما تحدث في النهر ، جعلوا فرقة من جنود السباحة مخصصة لخفر الماء ومراقبة الحوادث فيه ٠ ولهم لباس خفيف بشكل ممتاز ، فيسارعون لانقاذ الغرقى عند اقل اشارة ٠

الكمرك والدخولية في المعرض — اعتبروا المعرض كمينا حرة لاتجري فيها احكام الرسوم ، وذلك لتسهيل الورود اليه وزيادة الاقبال عليه ٠ ولكن اذا خرجت البضاعة منه ، وجب على صاحبها « المشتري » دفع

الرسوم كما هي مقررة في الاتفاقيات الكمركية بين فرنسا والدولة التي خرجت البضاعة من معرضها ٠

البوسطة والتلغراف والتلفون — يوجد في حومة المعرض وملحقاته ، تسعة مكاتب مستوفاة ، تتعاطى كافة اعمال البريد والتلغراف والتلفون ٠ ولكن الاميركان ارادوا ان يمتازوا في كل شيء بكل شيء ٠ فنالوا الاذن بادارة اعمال البريد في قسمهم بواسطة عمال من بني وطنهم ، لزيادة التسهيل في اعمالهم ٠ ولكن ادارة المكتب على حساب مصلحة البوسطة الفرنساوية ٠ وخلاف ذلك ، يوجد في المعرض ٧٦ علبة توضع فيها الرسائل والمكاتبات ٠ و يأتي سعاة البوسطة في ساعات معينة لنقلها ٠

اما التلغراف فله مكتب واحد في الدور الثالث من برج ايفل ٠ وفي كل دور من ادوار هذا البرج توجد غرفة تلفونية مخصصة لخدمة الجمهور ٠ و يوجد في مساحة المعرض ٥٦ غرفة تلفونية ، لاينقطع الزحام منها لكثرة المخابرة بها في نفس المعرض او بينه و بين باريس او بينه و بين العواصم الكبرى المرتبطة باسلاك التلفون بعاصمة فرنسا ٠

وسائط الانتقال — بداخل المعرض سقائل متحركة ، يبلغ عددها ٢٨ ٠ والرصيف المتحـرك ٠ والسكة الحديدية الكهربائية التي يسير القطار عليها مرة واحدة في كل دقيقتين ٠ وسنشرحها بالتفصيل عند استخدامنا لها ٠

المدة من ٧ الى ٣٠ مايو

*
* *

هذه اربعة عشر يوماً ، لاتشبه ايام السعادة التي اشار اليها الخليفة الاندلسي عبد الرحمن الاكبر (١)

لما تحققت بان المعرض لم يتم للآن . رايت ان الافضل تأجيل الكتابة عليه ، حتى يتم جلاؤه وانجلاء العملة عنه . وحينئذٍ يتجلى للناظر بابدع شكل واجمل نظام ، ويكون للكاتب حينئذٍ مجال وأي مجال . فيتمكن من « تمثيل الحس ، وانفعال النفس ، اذ الباصرة تمقل ، والخيال ينقل ، والمفكرة تخبر ، والضمير يملي ما يسبر » (٢)

ولذلك عقدت النية على الاستفادة من هذه المدة بالرياضة في بعض المدائن الخلوية في اقاليم من الشمال واخرى من الجنوب وخصوصاً في الصقع الجليل المعروف باسم « هضبة الذهب » (Côte d'Or) ولقد لقيت في اهله من اللطف والايناس ، واكرام الغريب والاقبال عليه والحفاوة بشأنه ، ما كاد ينسيني باريس ومعرضها العام . ولكنني لا انسى فضل عائلة بتي جان (Petitjean) الكريمة فلها مني على هذه الصفحات اجمل شكر واكبر امتنان .

---

(١) وقد نقلتها عن الفرنساوية في كراسة صغيرة طبعت منذ اعوام

(٢) عن مقدمة السفر الى المؤتمر

وبما ان هذه الرسائل مخصصة للعرض العام فلا وجه لوصف ما لاقيته اثناء هذه السفرة الصغيرة اللطيفة ·

اليوم الرابع والعشرون

الاثنين ٢١ مايو سنة ١٩٠٠

*
* *

رجعت الى باريس ·

واول شيء توجهت اليه هو المعرض · بالطبع ! واني احمد الله اذ وجدته الآن قد قارب الكمال وان كانت الاحتفالات لا تزال تتوالى فيه بمناسبة افتتاح هذا القسم او ذلك السرادق او غيرها من المعروضات ·

وهل انا في حاجة لتنبيه القارئ اللبيب الى انني اكتب هذه الرسائل بصفة سائح صادق يسطّر ما يرى ويخبر بما يشعر · لادخل له في الدين ولا السياسة · ولا يد له في الاميال الخصوصية او العمومية · ان رأى حسنة سجلها وبالغ في اظهارها والتنبيه اليها ، حتى يترتب عليها في بلاده الاثر المحمود ، وينتج عنها الغرض المطلوب · واذا مرّ على سيئة تشبه بالكرام فاغضى عنها واغفل ذكرها · فاذا اشار اليها فانما يكون بطرف خفي وبعبارة قصيرة عسى ان يكون من وراءها مزدجر ·

فدعني الآن ادخل هذا الميدان بالترتيب والانتظام ، وسر خلفي بسكينة وسلام حتى امثل لباصرتك وبصيرتك هذا المعرض العام ·



الموسيو الفريد بيكار

مدير عموم المعرض

منظر عموم المعرض

كل مصري يفارق معاهده في بلاده ، يندهش من رؤية المدائن في اوروبا . اذ يرى المنازل مبعثرة على سطوح الاكام وسفوح الجبال ، وهي متناثرة بغير انتظام — تقريباً — بين الصخور والزروع : وكلها في

في صعود وهبوط . وقد راعني هذا المنظر حينما قدمت الى اوروبا في المرة الاولى ، وخصوصاً عند زيارتي سويسرا في المرة الثانية (سنة ١٨٩٤) حتى كاشفت بعض العارفين بهذا الاندهاش فروى لي اسطورة لطيفة اوردها للقراء الآن، لوجه الشبه وتمام الارتباط :

« صعد ابو مرة (ابليس اللعين) في بعض الايام ، على جبل عال . »
« وكان يحمل زكيبة كبيرة ، أودع فيها منازل كثيرة ، ودوراً متعددة . »
« فبينما هو في الطريق انخرقت الزكيبة من ثقل المباني التي فيها ، »
« والشيطان لا يدري ، فصارت المنازل تتناثر منها وتتساقط في الطريق »
« خلفه ، حتي وصل الى قمة الجبل . فاستشعر هنالك بما حصل فداخله »
« غيظ شديد ، فالقى بالزكية وبما فيها من المنازل فاستقرت في مكانها »
« الى الآن . »

على هذا المثال اقيمت مدينة لوازن (Lausanne) وسائر الامصار في سويسرا وفي اغلب البقاع باوروبا . والظاهر ان الطاغوت الخناس قد لحقته الغيرة ، ودبت في قلبه عقارب الحسد من رؤية الدنيا في بهرجتها الفائقة ، والعالم في جماله الرائع . فذهب الى كل بقعة في الارض ، واختار أطيبها وأحلاها ؛ ووضع هــذه الطرائف والظرائف ، وتلك الغرائب والعجائب ، في زكيبة هائلة سار بها الى حيث لا ادري . حتى اذا وصل الى باريس ، تقطعت أوصال الزكيبة ، وتلاشت خيوطها كلها مرة واحدة : فتساقطت منها عجائب الدنيا واجتمعت كلها في صعيد واحد .

نعم . فان الناظر الى هذا المعرض يندهش ويندهل — ويحق له

الاندهاش والانذهال — من مجموع هذا العمل واتساع نطاقه ، ومن كثرة هاتيك العمائر وتنوّع اساليبها وطرازاتها . فقد اشتغلت فيه امم الارض كلها ، وجمعوا تحائفهم وعجائبهم في هذه القصور الفخيمة ، وتلك الجواسق التي تتجلى امام العيون كاجمل ما يكون . وقد تسابقت الشعوب في اظهار مقدرتها وعظمتها ، فقامت بينها الحرب العوان ، ولكنها حرب امان وسلام : اذ هي حرب التقدم والارتقاء .

وكانما طاف على هذه البقعة في باريس ، طائف من السعالي او مردة الجان ، او ملك من الملائكة الكرام . فضرب الارض باقدامه : فخرجت منها هذه المدينة المسحورة ، فتنة للعقول ، وعجباً للابصار . بل هي مدائن عجيبة ابرزها الانسان ، الذي فاقت اعماله الآن ، خرافات اهل الطلاسم والارصاد . كل واحدة تختال ، في ابهى حلل الجمال ، وتمثل لنا عجائب خاصة بها ، منفردة فيها ، مجتمعة بداخلها . وقد اجتهد اهل كل قرية في مجاراة الجيران ، واحراز قصب السبق في هذا المضمار ، فابدعوا واغربوا في إنشاء العمائر واقامة الاثار ، ورفع العمدان ونحت الانصاب ، وزخرفة النقوش بباهي الاصباغ ، وتزويق الجدران ، بما لا يكاد يخطر على البال . كل ذلك مع العناية التامة بتنسيق الازهار والاشجار ، والاكثار من الرياحين في البساتين ، ليجعلوها قرة للناظرين .

اول مرة قصدت المعرض ، يممت شطر الجهة التي فيها القسم المصري — بالطبع .

فدخلت من باب التروكاديرو ، وسرت في المعرض حتى وقفت

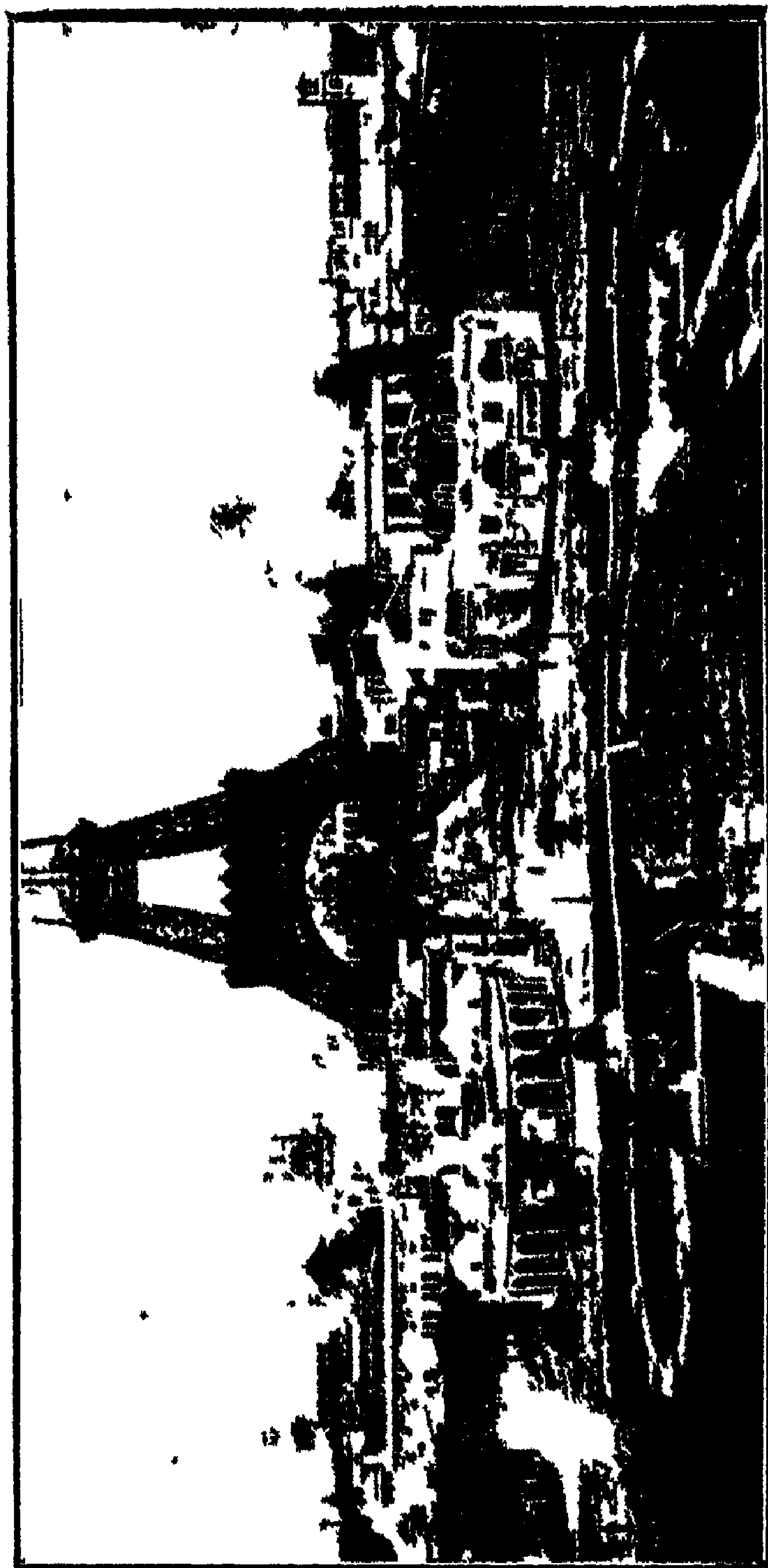
على قنطرة يانا (Pont d'Iéna) فوق نهر السين ، فانجلى لي منظر يفتن العقول ، ويخلب الالباب ويقضي بالعجب العجاب .

رأيت الميدان المعروف باسم شان دوماس (Champ de Mars) اي ميدان إله الحرب ، وفي وسطه برج ايفل المشهور . وهذا البرج هو الاثر الباقي مع رواق الآلات ، من معرض باريس السابق (سنة ١٨٨٩) . وهو يشرف على المعرض كله ، بل على باريس بكافة ارجائها ، بل يراه الانسان على بعد ساعات عديدة منها . وقد ألبسوه ثوبًا جديدًا من الاصباغ الزاهية ، فاصبح قرة للعيون والالباب . ويراه الانسان وهو بعيد عنه ، كأنه قريب منه ، يكاد يلمسه بيده . ولكن اين الثريا من يد المتناول . وكلما اقترب منه بعُدَ عنه ، حتى يقف تحته ضئيلاً لا يكاد يذكر .

ومن وراء هذا البرج قصر الماء ، وعلى يمينه سراي الصنائع الكيماوية وعلى يساره سراي الميكانيكا وخلفه سراي الكهرباء . وعلى يمينها ويسارها سرادقات وجواسق عرضت فيها الامم الاجنبية « القزانات » والمراجل وكل ما يتعلق بالوقود . وخلف هذه السراي بهو المهرجانات والاحتفالات الرسمية . وعلى يمين البهو ويساره ، معروضات الاجانب في الزراعة والمواد الغذائية .

ويرى الانسان على يمين البرج ويساره سلسلتين من العمائر الفخيمة والآثار الجليلة . وكلها تقضي بالدهشة والاعجاب .

فعن اليمين :



منظر عموم المعرض في ميدان شان دومارس
(مأخوذاً من جهة التروكاديرو)



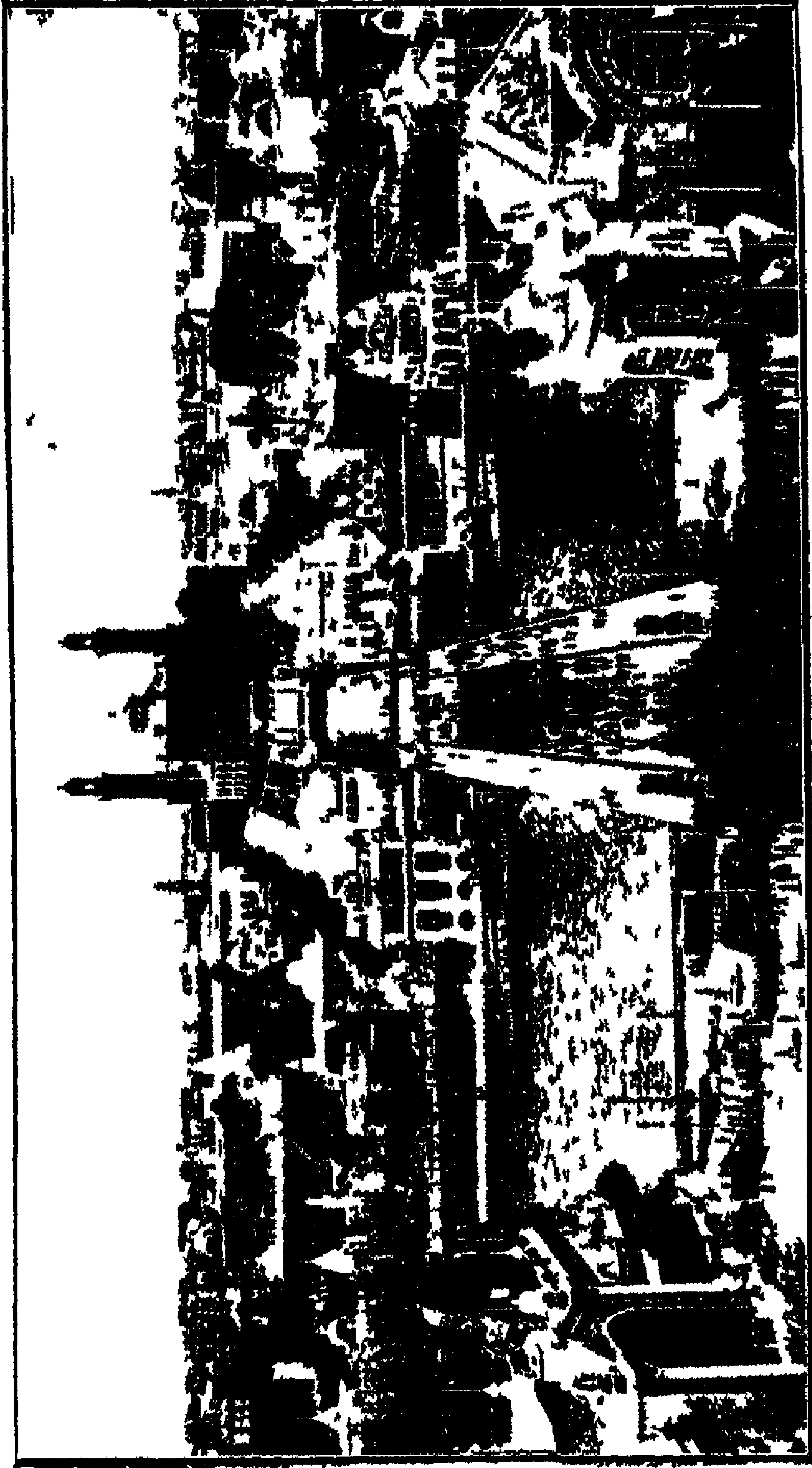
قصر المرأة · قصر جمهورية الاكواتور (خط الاستواء) بامريكا· قصر التيرول · سراي مراكش · سراي التعليم · سراي الاداب والعلوم والفنون · سراي الهندسة الملكية ووسائط الانتقال في البر والبحر والهواء · وخلفها (خارجاً عن حومة المعرض) الملحق المقام في جهة ڤنسن (Vincenne) ومسطحه ١٢٠ هيكتاراً اي ٠٠ ٠٩ ١٩٢ متر مربع لعرض ادوات السكك الحديدية والتراماوي والدرّاجات المعتادة والمتحركة بنفسها والآلات المولدة للحركة والآلات الزراعية والالعاب الرياضية على اختلاف انواعها ·

وعن اليسار ·

قصر الامومة (اي الاعمال الخاصة بالامهات) · قصر مملكة صيام · قصر العجلات والدرّاجات المتحركة بنفسها · قصر كلوب الألب · سراي الازياء في الملبوسات · قصر جمهورية سان مارتن · قصر المناجم والمعادن · قصر الخيوط والمسوجات والاثواب ·

وهذا خلاف العدد الكثير من الملاهي والمتفرجات والتيارات التي لا تكاد تحصى مثل البندقية في باريس · سراي البصريات · مناظر البر · مناظر البحر · الطواف حول العالم · الجوسق السويسري · القصر المتلألىء بالانوار وغير ذلك · ويرى في هذه الجهة « القبة السماوية » خارجة عن دائرة المعرض · وقد اشتهرت بانهيار قنطرتها المعلقة المشؤومة ·

ويرى في نهاية الافق وخارجاً عن حومة المعرض تلك الارجوحة الهائلة التي يسمونها « عجلة باريس الكبرى » · ثم القرية المنقولة من



« منظر عموم المعرض في جهة التروكاديرو » (مأخوذاً من ميدان شان دومارس)

بلاد سويسرا ·

وبعد ان أمتعت النظر وأطلت التفكير في هذه المشاهد التفت خلفي ·

رأيت منظرًا لا يقل عن السابق في البهاء والرواء والأخذ بالالباب ، وان كان يخالف في الاشكال والطرازات والانواع ·

رأيت قصر التروكاديرو في اجمل صورة وابدع مثال · يحف به من اليمين واليسار ، سلسلتان من العمائر والمباني · وكلها تخالف بعضها مخالفة تامة ، من حيث الهيئة والشكل والترتيب : لانها عبارة عن دور متنوعة اقامتها أمم متعددة ، قد دخلت من عهد قريب في ميدان الحضارة الحاضرة ·

في هذا القسم مناظر يرتاح لها الخاطر · وفيه ما يدل على ابتداء مفارقة البداوة · وفيه ما يدل على حالة البقاء في طور السذاجة والبساطة · لأن هذه البقعة مخصصة للمستعمرات وبعض الامم الاجنبية الثانوية ·

فالقسم الذي على اليسار مخصص للمستعمرات الفرنساوية مثل الجزائر وتونس والسودان الفرنساوي والكونغو والسنغال وداهومايـ وساحل العاج والهند الصينية وغيرها · وفي هذا القسم ملاهٍ وملاعب وتياترات ومتفرجات متعددة : مثل الاندلس في ايام العرب · وتياترو القمبوج · والديوراما وغير ذلك ·

واما القسم الذي على اليمين ففيه معروضات المستعمرات التي

« منظر آخر لعموم العرض في جهة التروكاديرو »

(مأخوذاً من ميدان شان دومارس)



تملكها بقية دول اوروبا : مثل المعروضات الانكليزية والهولاندية والروسية والبرتقالية وغيرها . وفي هذه البقعة ايضاً سراي الترانسفال امام المستعمرات الانكليزية وسراي الصين .

وفي النهاية حسن الختام اذ يرى الناظر درة بديعة تزدان بها هذه البقعة وهي محط الرحال وكعبة الزوار .

— أتدري ما هي هذه الدرة الجميلة الثمينة ؟

— اظنك تشير بها الى القسم المصري . فهذا الوصف لا يكاد يصدق الا عليه .

— نعم . « فهذا هو الرأي الصواب والامر الذي لا يعاب » .

ان شاء الله

اقول الحق . اني وقفت نحو ساعة كاملة فوق قنطرة يانا ، وانا انظر الى الامام ثم الى الخلف . وبعدها اجيل الطرف الى اليمين ثم الى اليسار . ثم اعيد الكرة فاجد المكر راحلي . وبقيت هكذا باهتاً ساكتاً ، متحركاً ساكناً ، دائراً واقفاً ، حتى تولاني التعب وانا لا ادري لمن امنح اكليل الجمال . ولا على من أنعم بتاج الفخار . ولا لمن احكم بقصبات السبق في هذا المضمار . وفي آخر الامر أرحت نفسي وقلت :

الحكم لله الواحد القهار

اليوم الخامس والعشرون

الثلاثاء ٢٢ مايو سنة ١٩٠٠

*
* *

اردت ان انظر عموم المعرض في هذا اليوم من جهة اخرى . فدخلت باب الشانزليزي ، فرأيت منظرًا بديعاً جديداً ، يوجب على الكاتب الاقرار بالعجز ، ويجعل المنشيء ينثني عن الوصف . فلهذه الاسباب حكمت المخيلة على اليراع بالامساك في هذا المجال ، والعدول عن المجرى في هذا الميدان — **الآن** — فقابلت القضا بالرضا . ولكنني اردت ان لا يفوت القراء بعض ما نالني من الاعجاب . فها انا اتحفهم في الصحيفة التالية ، بصورة تمثل لهم على قدر الامكان ، بعض ما رأيته بالعيان . وهو والحق يقال : فوق الوصف والبيان .

ثم تمشيت حتى وصلت الى قنطرة اسكندر الثالث . وهي آية آيات البناء في الابداع والاعجاز . وقد وقفت عليها أتأمل في عجائبها وغرائبها ، وصروحها المتطاولة ، وبروجها المتعالية ، وما ازدانت به من الانصاب والنقوش . وكان منتهى عجبي عقدها الوحيد الفريد : فانها قائمة على عين (بوابة) واحدة تدل على اقتدار الصانع ومهارته في جرأته . وقفت في وسط القنطرة متوجهاً نحو الغرب فرأيت على جانبي النهر ، عجائب وغرائب لا تدخل تحت حصر .



﴿ منظر عموم المعرض امام الواقف في شارع نقولا الثانى ﴾ (مأخوذاً من باب الشانزليزي)

منظر عموم المعرض امام الواقف في شارع نقولا الثاني

(مأخوذاً من باب الشانزليزي)

الصف الاول : القصر الكبير (على اليمين) القصر الصغير (على اليسار) شارع نقولا الثاني . البساتين

الصف الثاني اي بين القصرين : صروح قنطرة اسكندر الثالث — منظر اجمالي لساحة الانواليد

فعن اليسار .

قصور الدول الاجنبية بارزة رؤوسها في الفضاء وتكاد تتواصل مع السماء ، بابدع شكل واجمل مثال . وقد أطلقوا على هذه الجهة اسماً ينطبق عليها تمام الانطباق . وهو : «شارع الامم» اذ تتوالى فيه القصور التي يقصر عنها الوصف ويحار فيها الطرف . فهذه الجهة فريدة في بابها ، بل هي كجوهرة تتألق بالانوار ، في وسط هذا المعرض الذي كله جمال في جمال . نعم فهذا الشارع قد امتاز بغرابة المباني المتعددة الاشكال ، المتنوعة الاصناف ، مما انفردت به كل أمة من الامم الراقية في معراج الحضارة ، البالغة من المدنية اعلى مقام . وهي تتقاطر وراء بعضها على هذا الترتيب .

ايطاليا . الدولة العلية . الولايات المتحدة لامريكا . اوستريا (النمسا) . البوسنة والهرسك . هنكاريا (المجر) . بريطانيا العظمى . البلجيكا . النروج . المانيا اسبانيا . موناكو . السويد . اليونان . الصرب .

وخلف هذه القصور صف آخر فيه عمائر اقامتها بقية الامم المشتركة

في المعرض . وهي :

الدانيمرك . البرتغال . البيرو (باميركا) ايران . لوكسمبرج . فيلندة (بالروسيا) . بلغاريا رومانيا

وعن اليمين

معرض الازهار والاشجار (امام القنطرة وخلفها اي انه يمتد على شاطئ النهر من ابتداء البوابة الاثرية حتى ينتهي امام آخر نقطة من شارع الامم) . ثم معرض مدينة باريس . ثم شارع السرور والابتهاج وهو يحتوي على ملاهٍ متنوعة متعددة مثل . دار المغاني . المطعم النمساوي الشيكي . دار القهقهة . الصور الحية . القط الاسود . الرولوت وغيرها من الملاهي الپاريسية . وينتهي هذا الشارع بقصر الاقتصاد الاجتماعي والمؤتمرات الدولية . فانظر كيف جمع بين الجد والهزل .

ثم وقفت في وسط القنطرة ، وارسلت الطرف الى جهة الجنوب فرأيت ساحة الانواليد (Esplanade des Invalides) وقد تقاطرت فيها المباني الانيقة ذات اليمين وذات اليسار فالتي على اليسار خاصة بفرنسا والتي على اليمين خاصة بالدول الاخرى .

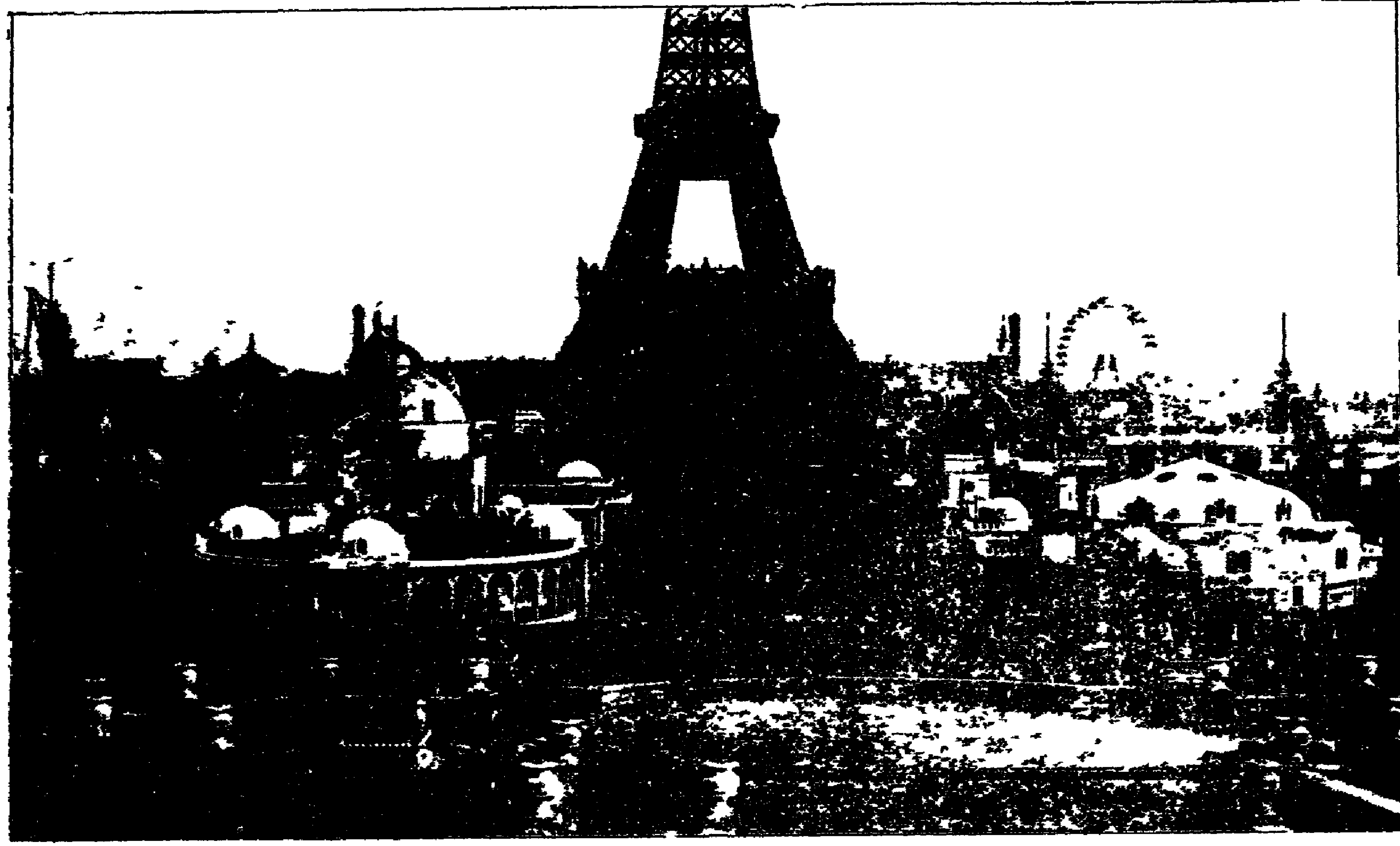
وهي مخصصة لكافة المعروضات المتعلقة بالاثاث ، وسائر الطرائق التي تؤدي الى زخرفة العمائر والمساكن ، في الداخل والخارج ، وفيه معروضات الصياغة والجواهر وكل ما يدخل تحت هذا القبيل . والدول المشتركة في هذا النوع من المعروضات هي : اليابان . والنمسا . والمجر .

والدانميرك · وايطاليا · وبريطانيا العظمى · والولايات المتحدة بامريكا · والمانيا · والروسيا · والبلجيكا ·

وفي نهاية المنظر قبة الانواليد الشاهقة تجلى على هذا القسم بجمالها الرائع واتقانها المتناهي · وهذه صورة تمثل هذا المنظر على قدر الامكان · ولكن شتان شتان ! بين الحقيقة والتصوير ·



منظر من ساحة الانواليد



منظر عموم المعرض في ميدان شان دومارس

(صورة كبرى)

اليوم السادس والعشرون

الاربعاء ٢٣ مايو سنة ١٩٠٠

*

* *

يسرني جدًا ان يكون القارئ قد وقف الآن ، على حالة المعرض بالتقريب ، وان اكون قد توصلت الى تمثيل مجموعه في مخيلته على قدر ما يسمح به الامكان . والا فعذري واضح : فقد بذلت الجهد — بغير اقلال . وافرغت الوسع — بلا إملال .

والآن . أرجوه ان يتفضل معي ، ويسير خلفي الى المعرض ، من بابه الاكبر بسلام — لا بالركوع والسجود ، استغفر الله ولكن بالاعجاب والاندهاش ، واستغراق الفؤاد ، في التأمل والاستبصار ، وقصر الفكر على التدقيق والاستقصاء .

فهيا بنا الى

البوابة الاثرية الفخيمة

La Porte Monumentale

فهي في غاية الفخامة والجلال : ثلاثة اقواس تشق كبد الفضاء ، حتى تكاد تواصل عنان السماء . يشرف احدها على ميدان الائتلاف ، والآخران في داخل حومة المعرض العام . ومسافة الانفراج بينها

عشرون مترًا بالتمام . وتجمعها قبة عديمة المثال ، تتعالى عن الارض ، بستة وثلاثين من الامتار . وترتفع وحدها في الهواء مسافة ٩ أمتار ، فتتألف البوابة البديعة حينئذٍ على شكل يشابه ما هو معروف « بالقمرية » في بساتين مصر ورياضها . ولكن اين الثريا من الثرى !

وهذه القبة تشغل مسطحًا من الارض مساحته ٥٠٠ متر مربع وتسع ٢٠٠٠ شخص بالراحة ومن غير ازدحام . وفوقها تمثال كبير ارتفاعه ٦ أمتار ، يمثل فتاة فتانة يرمزون بها الى مدينة باريس ، وهي تدعو العالم للوفود والاحتشاد ، وتقول بلسان الحال :

سارعوا ايها الغرباء والزوار !

هلموا هلموا الى المعرض العام !

فهو المورد العذب الكثير الزحام !

وتحت اقدامها رنك (شعار) مدينة باريس : سفينة « يشق عباب الماء حيزومها بها » ولا تتغلب الامواج على جسمها . ومكتوب على صدر السفينة هذه العبارة الرمزية المخصصة لها :

Fluctuat nec mergitur

(تمخر ولا تغرق)

ومجموع هذه البوابة كلها بملحقاتها ومداخلها يشغل مسطحًا من الارض مساحته ٢٣٤٠ مترًا مربعًا .

وهي مبنية بنظام مبتكر جديد ، ومزخرفة باسلوب مستظرف بديع : فكلها جمال في ضياء ، وبهاء في سناء . والناظر اليها يخالها قطعة من

« البوابة الاثرية الفخيمة »
(وهي ام ابواب المعرض)



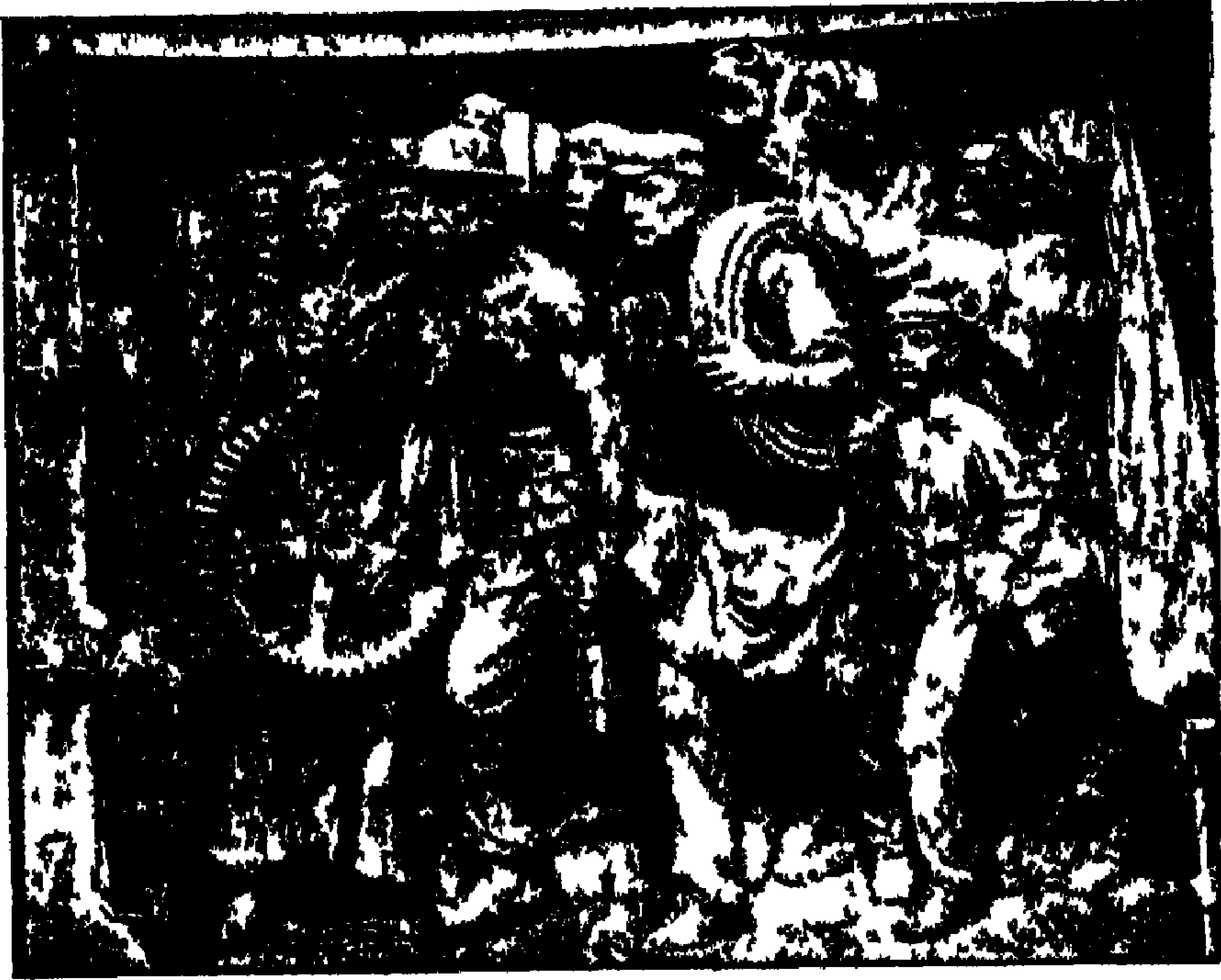
« التنتلة » التي تتأنق في اصطناعها العذارى والغادات ، ويتشح بها الجنس اللطيف فيزداد جمالاً على جمال . تزدان هذه البوابة في النهار، بتزاويق بهيجة مختلفة الاصباغ ، تتوالى فيها زرقة اللازورد وخضرة الجنان ، وبهاء العسجد والنضار . وتغشاها بالليل مصابيح الكهربائية مختلفة الاحجام والالوان ، فتختال في حلل من البهاء ، تتكسف امامها كواكب السماء .

وامام البوابة ساريتان ، كأنهما مئذنتان رشيقتان ، تخترقان طبقات الهواء ، وقد تناهت فيهما الزخرفة والاتقان . يظهران عند احتجاب الضياء ، كأنهما علمان ، في رأسيهما اران . ولكن نارهما برد وسلام : اذ هي منبعثة عن اشتعال الكهرباء

ويبلغ عدد القناديل المختلفة المقادر والالوان ٣١١٦ خلاف ١٢ مصباحاً متألقاً في القبة و١٦ سراجاً وهاجاً ، ينبعث عنها الضياء ، في أعالي الفضاء .

وعلى يمين الداخل ويساره افريزان فيهما تماثيل بارزة تمثل اهل الصنائع والفنون ، وقد أهرعوا بأتاوتهم الى المعرض العام . وهي في غاية الاتقان يخالها الرائي تحاور في حركتها السريعة . وتحت هذا الافريز افريز آخر فيه اصناف متنوعة من وحوش البر والفلا .

فاذا صار الانسان تحت القبة ، رأى تمثالين هائلين : يرمزان الى الكهرباء ذات الانوار والى الكهرباء ذات القوة الفعالة في جرّ الاثقال ورفع الاحمال . وهما عبارة عن امرأتين ضخمتين واقفتين في محرابين ،



« التصاوير البارزة من افريز البوابة الكبرى »

جهة اليمين



« التصاوير البارزة من افريز البوابة الكبرى »

جهة اليسار

ومعها كافة الادوات والمعدات التي يستعملها الانسان ، للحصول على هذه القوة العجيبة واستخدامها في النافع والضار ·

ويرى امامه باب التشريفات الكبرى ، تغشاه نقوش ورموز ورنوك تدل على أشعرة الشرف وشارات الامارة في هذه البلاد · وفي اسفله اسماء الكثيرين من نوابغ الرجال وعلى يمين هذا الباب ويساره بابان معدان لدخول الجماهير المتقاطرة الى المعرض من هذه الجهة ، للاعجاب بالبوابة البديعة التي وصفتها لك بما جاد به اليراع ، ووسعة المقام ·

فمتى دخل الجمهور من القوس الاول ، انحاز الى اليمين والى اليسار ، للوصول الى حظيرة المعرض · وهنالك ٣٨ مدخلاً في كل جهة ، تتألف من مجموعها نصف دائرة · ويمكن ان يدخل منها في الساعة الواحدة ٦٠٠٠٠ إنسان · وفوق هذه المداخل من الامام ومن الخلف ، اسماء المدائن الكبرى بفرنسا مع شاراتها الخاصة بها ·

واول شيء يصادفه الداخل هو البساتين والرياض ، تختال في حلل من السندس والنوار ، على اليمين وعلى اليسار · يكاد الناظر يتخيل ان الطبيعة ارادت ايضاً مجاراة الانسان ومباراته في هذا المعرض العام · فجمعت محاسنها في هذه البقعة « **جنتان عن يمين وشمال** » و « **حدائق ذات بهجة** » وجمال · فيسير مبتهجاً مسروراً بين انواع من الازهار واشكال من الانوار ، تاخذ بمجامع البصائر والابصار ·

وكأني بالقوم ارادوا ادخال الابتهاج في قلب الداخل ، برؤية هذه الورود المزدهرة ، وتلك الرياحين المنتثرة ، بين الخضرة النضرة ،

لتحييه بالسلام والابتسام ، وتجعله يلتمس العذر ، لارباب الشعر ، ومغردات الطير ، على الاطناب في فصل الربيع ، والجنون بما فيه من الجمال والملاحة او بما حوته الطبيعة من الرشاقة والخلاعة !!!

كيف لا ، وهو يرى نباتات الظل واعشاب الزخرفة ، وكلها تختال في ابهى الالوان ، وتسبح بحمد المصور البديع ، وتقول بلسان واحد « تبارك الله احسن الخالقين »

رأيت خمائل من النجوم الزواهر ، لها ورق كالمخمل الباهر : مبرقش مبرقط قد تناهت فيه آيات التزويق والتنسيق ، وبلغ غاية الاجادة في التدبيج والتنميق ، بحيث كنت اخاله منسوجاً من الدمقس والحرير ، فكنت أختلس الفرصة وألمسه باصابعي المصرية ، فيزيدني غرابة واعجاباً !

واما شجيرات الزينة في داخل المنازل ، من نخيل قصير واعشاب متدلية او متسلقة او متعلقة او منفرشة او منبسطة او ذات اخواص او ذات اشواك او متشبهة بالخاريط والاهرام او بالمربعات والمكعبات والاجسام ، فحدث عنها ولا حرج . وهي واردة من جميع البقاع والاصقاع وعلى كل واحد منها اسمه .... ولكن من ذا الذي يحيط بها علماً او يقدر على بيانها او ترجمة اسمائها خصوصاً في لغتنا العربية الواسعة الضيقة ؟

بل اين هو الاوروباوي الذي بلغ النهاية في العلوم والمعارف ، وحاز قصب السبق على الاقران في اسمى المدارس ، حتى يجيء الينا ويشرحها لنا ؟ ذلك وحقك هو العنقاء !!!

وناهيك ان بلدة باريس انفقت على هذه البقعة اليانعة المزدهرة

مبلغ ٦٠٠٠٠٠٠ فرنك اسے زيادة عن ٢٣٠٠٠٠٠ الف جنيه مصري ٠٠٠٠ فقط ! وهذا خلاف العارضين الكثيرين فلهم جواسق وسرادقات ترى فيها ما ترتاح لرؤيته العين و ينشرح منه الفؤاد ، و يأتيك بالشهية على غير ميعاد ٠

وفيما بين الخمائل والرياض فساق (١) و بحرات كثيرة في غاية الابداع : ترسل الماء في الفضاء ، فيتساقط متناثرًا متجمعًا كسبائك اللجين ، على سطوح من المرمر ، او في طسوت من الرخام ٠ فيزيد النسيم اعتلالاً ، والروح ارتياحاً والقلب انشراحاً :

والريح تجري رخاءً فوق بحرتها * وماؤها مطلق في زيّ مأسور
قد جُمّعت جمع تصحيح جوانبها * والماء يُجمع فيها جمع تكسير

وبينما يكون الانسان لاهياً ملتهياً بمناظر الطبيعة البديعة اذ تباغته الصناعة بآثارها بين كل لحظة وأخرى ٠ فتسترق منه نظرة ، يتبعها هو بالاخرى ، ولكن الأولى له ، والثانية ليست عليه ٠ ذلك لانه يرى على طول طريقه وبين الخمائل والحدائق ، تماثيل نادرة المثال ، وانصاباً مختلفة الانواع ، تستوقفه رغم انفه ، وتقضي عليه باعطائها قسطها من النظر والاعجاب ٠

---

(١) جمع فسقية وهي كلمة دخيلة على العربية في هذه العصور الاخيرة مأخوذة عن كلمة فرساوية فسك (Vasque) وأفتكر ان الاب لامنس اليسوعي قال في كتاب الفروق انها مأخوذة عن (Piscina) پسينا اي بركة السمك في الاصل ٠ وهو خطأ ظاهر والبعد في التخريج والنقل واضح ٠

هذه التماثيل بعضها خاص بفرنسا ، ومعظمها وارد من الاقطار الاخرى . واول ما يصادفه الداخل من البوابة سبعان هائلان ، يقرّ الناظر لهما بان الأسد هو حقيقة ملك الوحوش وسلطان البراري . ولا أُتعب القلم والقارىء بذكر الباقي فهو شيء كثير .

وانما استميح الاذن من القارىء في الاشارة الى تمثالين اثنين فقط . فان تكرم ، فبها ونعمت . وإلا فاني لا أملك من نفسي شيئاً . فهذان التمثالان جعلاني اعرف كيف يكون تصوير الرعب امام العيون ، وكيف يكون ايصال الفزع الى القلوب !

اولهما تمثال الزوبعة — وهي امرأة شوهاء ، بل داهية دهياء ، بل بسوس دهماء ، قد امتطت جواداً من خيول البحر ، لا يدانيها سواه في الشناعة والبشاعة ، والفظاظة والفظاعة ، وتحته وحوش البحر في اضطراب واصطدام ، واختباط واختبال . وهو عبارة عن قطعة هائلة من مجموعة تماثيل هائلة ستقيمها مدينة درسدن (Dresden) عاصمة سكسونيا بالمانيا في أهم ميادينها حول فسقية عظيمة . فوقفت مبهوتاً مذعوراً أمام هذا المنظر المريع ، وتذكرت حالة البحر المسكين ، وانا في السفين ، في يومي الخامس الواقع في ١٧ ابريل .

(وقد وصفت حالتي فيه في صفحة ١٣ و ١٤) . فهلاً يعذرني القارىء الآن على هذه المخالفة ؟ او على الاقل يستأنس في الحكم عليّ بالظروف المخففة ؟

وثانيهما — عبارة عن جنديين باسلحتهما وهما من النحاس

المسبوك .....

— وهل هذا مما يستوجب الذكر وضياع الوقت ؟

— نعم واليك البيان :

تراهما في هيئة قد برّح بهما الظمأ حتى كاد يهلكهما . وقد أمسك احدهما بخوذته وفيها مُصاصة من الماء واطبق عليها بكلتا يديه كأن حياته فيها ، وهو يخاف ان تفوته هذه البقية القليلة ، فتخرج روحه . فهو يلتهمها وحده ، ويدافع عنها ويحافظ عليها جهده . واما رفيقه فقد تشوهت معالمه وتبدلت ملامحه وكاد يفارق الصورة البشرية ، بل دخل في طور البهيمية وهو يستعطف صاحبه ، بل يجاهده بما بقي فيه من القوة والحيل ، ويحاول بكل مشقة اختطاف الخوذة الثمينة ، او استبقاء شيء فيها من حياة النفوس . وهو لا يصل . والمنظر في غاية الشناعة يوجب انعطاف الالباب بل انفطار الاكباد على من يقع في هذه الحالة التعساء . وقانا الله واياك ايها القارىء الكريم من هذه المصيبة التي لا يدرك مشقتها وعذابها الاليم الا اهل البادية والسائحون في فيافي المفاوز . حياهم الله بالحيا واغاثهم بالغيث على الدوام! آمين

حينما رأيت هذا المنظر ، انفعلت حواسي ، وتأثرت نفسي ، والتوت امعائي ، وجف لساني ونشف ريقي ، وتصورت انني اصبحت — والعياذ بالله — كالجاحظ — لا في التحرير ولا في المنظر — بل في جحوظ العيون وخروجها عن الحد المعلوم . وتوهمت أنني قد آلت بي الحال الى مثل ما رأيت فاحسست بظماءٍ يحرق في احشائي ، فصرت

كالهائم انظر ذات الشمال وذات اليمين · ومن حسن الحظ انني رأيت بالقرب من هذا المكان قهوة بل موردًا سائغًا فهرولت اليه كمن اصابه مسٌّ او خبال : وشفيت الغليل و بللت الصدى · وحينئذ لهجت بتقديس الواحد الأحد الحي ، الذي جعل من الماء كل شيء حيٍّ

المدة

من ٢٤ مايو الى ١٥ جونيو سنة ١٩٠٠

*
* *

رأيت من باب الواجب، ان لا اتكلم على معروضات الاجانب ، حتى يتم أمرٌ يهمني ويهمّ سكان مصر : الا وهو انتهاء القسم المصري والاحتفال بافتتاحه · وحينئذٍ افتتح به رسائلي على المعرض العام ، كما هو اللائق · فان رضي القراء فبها ، والا فالذوق والمجاملة حكمان بينهم و بيني · على انه لم يفتهم شيءٌ واتعشم ان المستقبل يكون مكللاً بالنجاح والفلاح ·

وقد كان الغرض الاصلي ، من مجيئي لباريس معالجة أُذني اليسرى، من وقر ألمَّ بها، ودويّ لازمها ، وطنين مستديم فيها ، بعد ان اتعبت اطباء مصر واتعبوني ، فاشار عليّ بعضهم ان لا التمس العلاج الا من طبيب حصر عنايته في تطبيب هذا المرض ؛ فقصدت ثلاثة من اشهر الحكماء وانطس الاطباء الذين انقطعوا لدرس هذا الفرع ومعالجته ، حتى اصبحوا

يشار اليهم بالبنان ، واصبح كلامهم مسموعاً في كل الآذان ، باستئذان ، وبغير استئذان . وفي آخر هذه المدة ، تحققت ان لا مناص لي من حمد الله تعالى على السراء والضراء ، وصرت لا اسأله دفع القضاء ، بل اللطف فيه . فان حكماء باريس (ولا اقول كلهم) لا يكادون يمتازون عن اضرابهم عندنا ، الاّ بزيادة التعقيد في اعطاء المواعيد ، والمبالغة في الفخفخة ، عند السماح بالمقابلة . والزام القاصد بالسعي في التزلف اليهم ، والتقرب منهم ، ونيل الحظوة عندهم . فحيَّا الله هذه الصناعة ! ويا ليتني كنت طبيباً !

ولما كان اليوم التالي قد تحدد لافتتاح المعرض المصري عزمت على تمضية ما بقي من اجازتي لزيارة المعرض العام بالتفصيل فان اقسامه كلها قد كادت تبلغ التمام .

اليوم السابع والعشرون

السبت ١٦ يونيو سنة ١٩٠٠

*

* *

في صباح هذا اليوم ، احتشدت الخلائق بالقسم المصري بجهة التروكاديرو ، لحضور الاحتفال بافتتاحه على يد الامير الجليل ، دولتلو البرنس محمد علي باشا ، شقيق ولي النعم مولانا الخديوي الافخم . وتقاطر المدعوون من الاكابر والاشراف ، من اهل فرنسا والغرباء ، الى ساحة

الاحتفال ؛ وكذلك معظم المصريين الموجودين الآن بباريس ، لبُّوا الدعوة وسارعوا بالحضور للاشتراك في تفخيم الاحتفال ، واعطائه حقه من الرونق والبهجة والجلال .

فلما أزفت الساعة الحادية عشرة قبل الظهر بالتمام ، اذا بالتهاليل والتكبير في الآفاق ، واذا بالطبل والمزمار يعزفان بالنشيد الخديوي ، إشعارًا بوصول دولة البرنس في موكبه السعيد . فوقفت الجموع بخشوع ، وانفرج الازدحام بانتظام . اجلالاً لمقام الوافد الكريم . وتقدم لاستقباله عند نزوله في باب يانا مديرو شركة المعرض المصري وهم جناب الخواجه فيليب فضل الله بولاد وعزتلو السيد مصطفى بك الديب وجناب الخواجه ديمتري حبيب بولاد . ثم ساروا في خدمته الشريفة حتى وصل بعد خطوات قليلة الى رحبة امام باب المعبد المصري . فتقدم للتشرف بالسلام عليه اكابر الحاضرين من مصريين وفرنساويين . ثم سار الجميع خلفه بسكينة ووقار ، حتى وصل دولته الى الباب ، فانفرج امامه ودخل الهيكل المصري ووقف بجانب تمثال من الرخام الناصع ، يمثل صورة مولانا المحبوب ، عباس باشا الثاني . وتبعه في الدخول الجم الغفير من الكبراء والعظماء مثل جناب الموسيو ارنست كارنو مساعد مدير عموم المعرض ومندوبي انجلترة وامريكا والبرتقال وعائلة دولسپس كلها والبرنس ويزينوسكا والبرنسس زوجته (١) والبرنس حيدر وقنصل جنرال الدولة العلية وبوغوص

(١) البرنسس ويزينوسكا لها مقام جليل في كل اوروبا وهي التي سعت في تأليف جمعية من النساء لتوطيد السلام وبلغ عدد اعضائها والمنضمين اليها خمسة ملايين ونصف مليون من سيدات العالم كله اللائي لهن مقام كبير او شأن خطير

باشا نوبار و بارو باشا ومحمد بك عرفي واحمد بك خيري ومحسن بك راسم ومحمود بك صديق و بطرس بك مشاقه وعز الدين بك شريف ومحمد بك فريد وحسن بك رفقي والخواجه جرجي الخياط واسماعيل بك عاصم المحامي والدكتور الكحال امين افندي ابو زيد وجناب الموسيو باربييه دومينار من اكبر علماء فرنسا ومدير مدرسة اللغات الشرقية بباريس وجناب الموسيو هوداس من اكبر اساتذتها وكافة أرباب الاقلام واصحاب الجرائد وطائفة كثيرة من اعيان الامريكان وسائر اخواننا المصريين وخصوصاً الطلبة الموجودين بهذه العاصمة الآن ·

وبعد ان وقف هذا الجمع العظيم ، في هذا المعبد البديع ، اعلن دولة الامير بافتتاح المعرض منذ اليوم للجمهور · فلبثوا برهة يتأملون في معجزات الاسلوب المصري القديم في فن البناء والزخرفة ثم ساروا خلف الامير الفخيم الى قاعة أُخرى في الوكالة العربية · مفروشة بالسجاجيد الكبيرة الغالية القيمة وسيكون فيها سينماتوغراف كبير (اي آلة الصور الفوتوغرافية المتحركة) لتمثيل هيئات المصريين الآن واحوال معائشهم على ضفاف النيل · ثم انتقلوا الى حوش الوكالة العربية الجميلة ومنه صعدوا الى الدور العلوي وحينئذٍ وقف الجميع مبهوتين ، معجبين ببدائع الصناعة العربية في البناء والنقش والزخرفة · فقد اجتمعت محاسنها كلها في غرفة جميلة انيقة ، تمثل البهو المشهور في دار الوكالة السياسية الفرنساوية بمصر القاهرة · ثم نزلوا الى التياترو المصري وهو عبارة عن هيكل بديع يمثل احسن ما صنعه الفراعنة وابقاه الدهر لفخر مصر · وبمجرد وصول الجموع ، ارتفع الستار عن مئات

من المشخصين والمشخصات ، بين مصريين واحباش ، وسودانيين وشوام . وقامت الجوقة كلها بتلحين النشيد الخديوي والفرنساوي بغاية الانتظام في الاصوات والآلات . ثم شخصوا ثلاثة فصول من رواية حماسية تمثل عنترة العبسي بطل الجاهلية . وبعد ذلك انفض الاحتفال ، على اجمل منوال واكمل حال . وخرج دولة البرنس مودَّعاً بالعيون مشيَّعاً بالقلوب بغاية الاكبار والاجلال .

وقد اعجب الافرنج عموماً بما رأوه في هذا اليوم . واما الجرائد فقد خصصت كلها فصولاً ضافية لوصف الاحتفال والمبالغة في الاطراء على المعرض المصري والقائمين بتنظيمه .

*
* *

وهنا لا بد لي من الانتقاد على ادارة المعرض العام ، فانه لم يبلغ للآن كمال الانتظام . فمن ذلك ان الادارة تعلن في كل اسبوع مرة او مرتين ، عن ليالي الزينة والوقود . فيجيء الميعاد ، ولا تكون الانوار ، كما في الحسبان . لان الاسلاك قد انقطعت ، او باتت غير صالحة لنقل التيار، أو تكون غير واصلة للجهات المطلوبة ، أو سارية في جهات نساها المهندسون ، أو غير ذلك من الفلتات والغلطات . او تكون الآلات غير وافية بحاجات المعرض ، بالنسبة لمساحته الكبيرة او نحو ذلك من العوائق المتجددة المتوالية . وبعد التي واللتيا ، توصلوا في الاسبوع الماضي لجعل النور كافياً وافياً . حتى كان هذا الصباح ،

فاذا بنباءٍ وصل لنا بانه قد حيل بين كثير من الاقسام وفي جملتها المصري ، وبين تيار الكهرباء . ولذلك لم يكن في الامكان تشغيل السينماتوغراف ، وتمثيل معيشة المصريين امام الانظار . وهذا مما يوجب الاسف الكثير ، لان هذه المناظر غريبة جدًّا : فمن جملتها هيئة الاحتفال بموكب المحمل الشريف ؛ كما نراها في القاهرة بالتمام ؛ وهيئة صلاة الجمعة الاخيرة من رمضان ، في جامع عمرو بن العاص بمصر القديمة ، وحضور عزيز مصر للصلاة بموكبه الحافل . وكان عدم وصول التيار الكهربائي سبباً ايضاً في عدم اختتام الاحتفال برؤية قبور الاقدمين من الفراعنة لان السراديب بقيت في ظلامها الحالك . مع اني رأيتها قبل اليوم فاذا بها تمثل مدافن القوم كما هي منقورة في حميم الجبال او قيعان الرمال وحولها الحنوط والاكفان والمسارج والتمائم وغير ذلك مما نراه في الصعيد بالتمام .

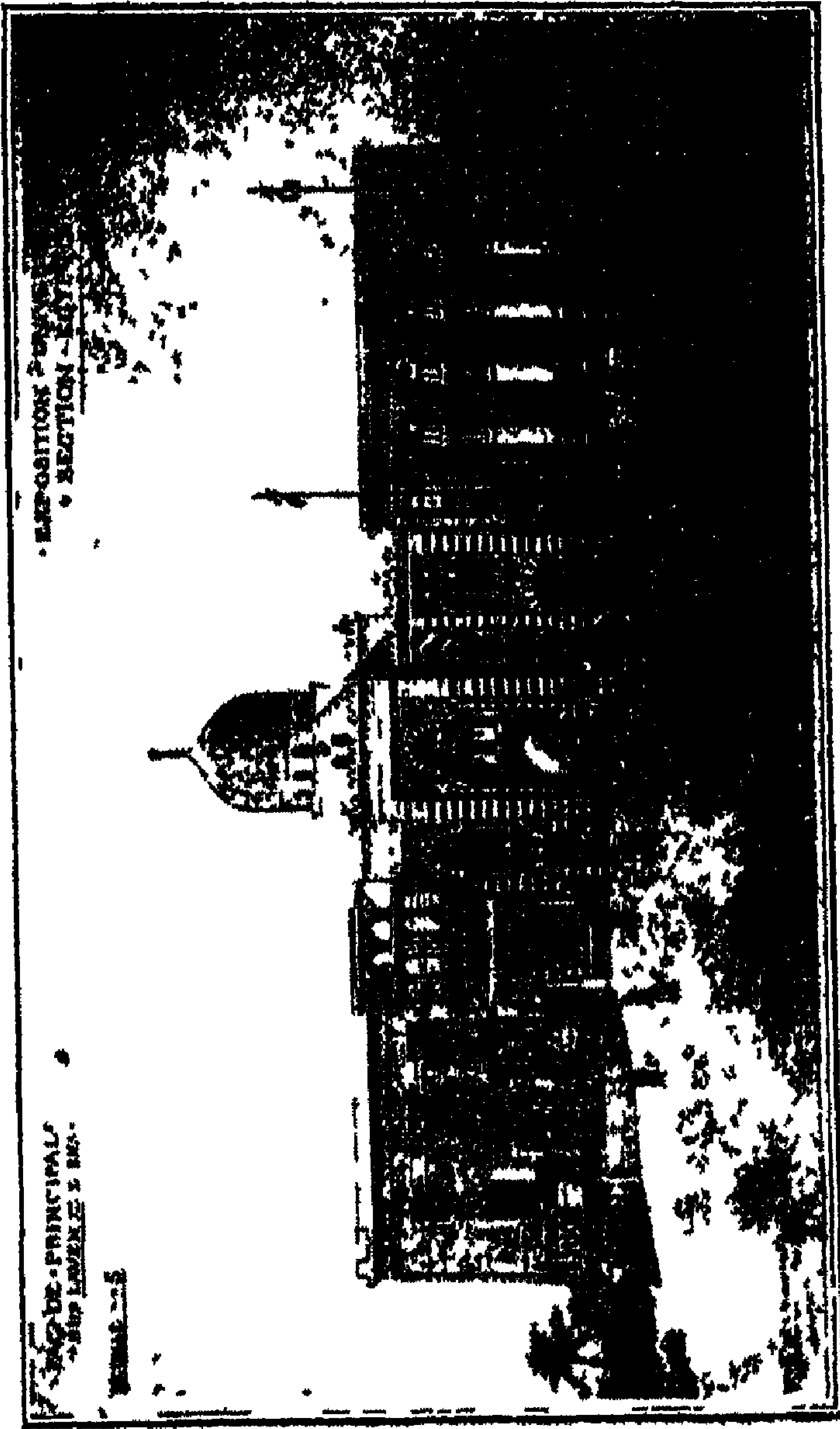
* *

انتقل الآن لوصف القسم المصري وتمثيله لانظار القراء فهو يشتمل على ثلاثة اقسام :

اولها — المعبد المصري

ثانيها — الوكالة العربية

ثالثها — التياترو



الواجهة الاصلية المصرية للقسم المصري على سكة يانا

(أ) واجهة الباتزرو ــ (ب) واجهة الوكالة العربية ــ (ج) هيئة سبيل الآجا باجا سبين ــ (د) واجهة معبد دندور

اما المعبد

فهو قائم على الزاوية الواقعة بين سكة يانا وشارع مجد بورج · ومساحته تبلغ ٥٠٠ متر مربع تقريباً · ويُصعد اليه بدرجات رحيبة كبيرة توصل الى بابه الفخيم ، المزدان بعمدان في غاية الارتفاع والجمال ·

واجهته الاصلية البحرية ، تطلّ على سكة يانا ، وتمثل هيئة احسن هيكل أبقاه الزمان ، من عمائر المصريين الدينية في ايام البطالسة : وهو هيكل دندور ، ببلاد النوبة . وقد اختاروه لبقائه محفوظاً من عيث الزمان ، وعبث الانسان ، ولبعده الشاسع عن القاصدين والزائرين .

وواجهته الشرقية ، قائمة على شارع مجد بورج . وفيها تمثال سيتي الاول مجسّماً منقولاً عن هيكل ابيدوس ، ونقوشٌ بارزة عن الهيكل المذكور ، وعن هياكل عابد القرنة ، وابو سمبل ، والكرنك ، وصورة قبر رمسيس الثالث ، وهيئة الرعاة بمواشيهم ، والنوتية بزوارقهم في تلك الاحقاب الخالية ؛ وصورة قبور سقّارة ، وتمثال يحاكي احد الانصاب المقامة في هيكل ابو سمبل وغير ذلك .

واما واجهته الخلفية او القبلية ، فهي تحاذي قسم المعرض الياباني وتطلّ على نهر السين . وتمثل هيئة قصر أُنس الوجود (او معبد بلاق) بالقرب من شلال اسوان . وتزدان بعمدان تحاكي تلك التي انتهى اليها الابداع والاتقان ، والجمال والكمال ، في ذلك الهيكل المشهور ، الذي لم يترك مقالاً لقائل ، بل لا يزال محلاً للاعجاب المتوالي ، على مدى الدهور والعصور .

واما الجهة الرابعة ، فهي محل الاتصال بين المعبد والوكالة العربية .

والهيكل يزدان من داخله ، بعمدان جميلة ، بديعة الصنعة ، تحيط ببهوه الفسيح . وفيه رواميز ونموذجات ، لقليل من المحصولات والمصنوعات المصرية ، مثل القطن بشجيراته اوبزرته او بعد حليجه ، ومثل القمح بسنابله

ونحو ذلك ، وبعض العطور المصرية والسجاجيد والاسلحة ·

ولكن الذي يوجب الاسف الكبير ، انه لايمثّل حالة مصر ، ولا درجة تقدمها في هذه الايام · اذ لايرى الزائر فيه شيئاً يستدل به على حركتها في التجارة والصناعة ، والعلم والادب ؛ ولذلك فالمعروض فيه لايكاد يذكر ·

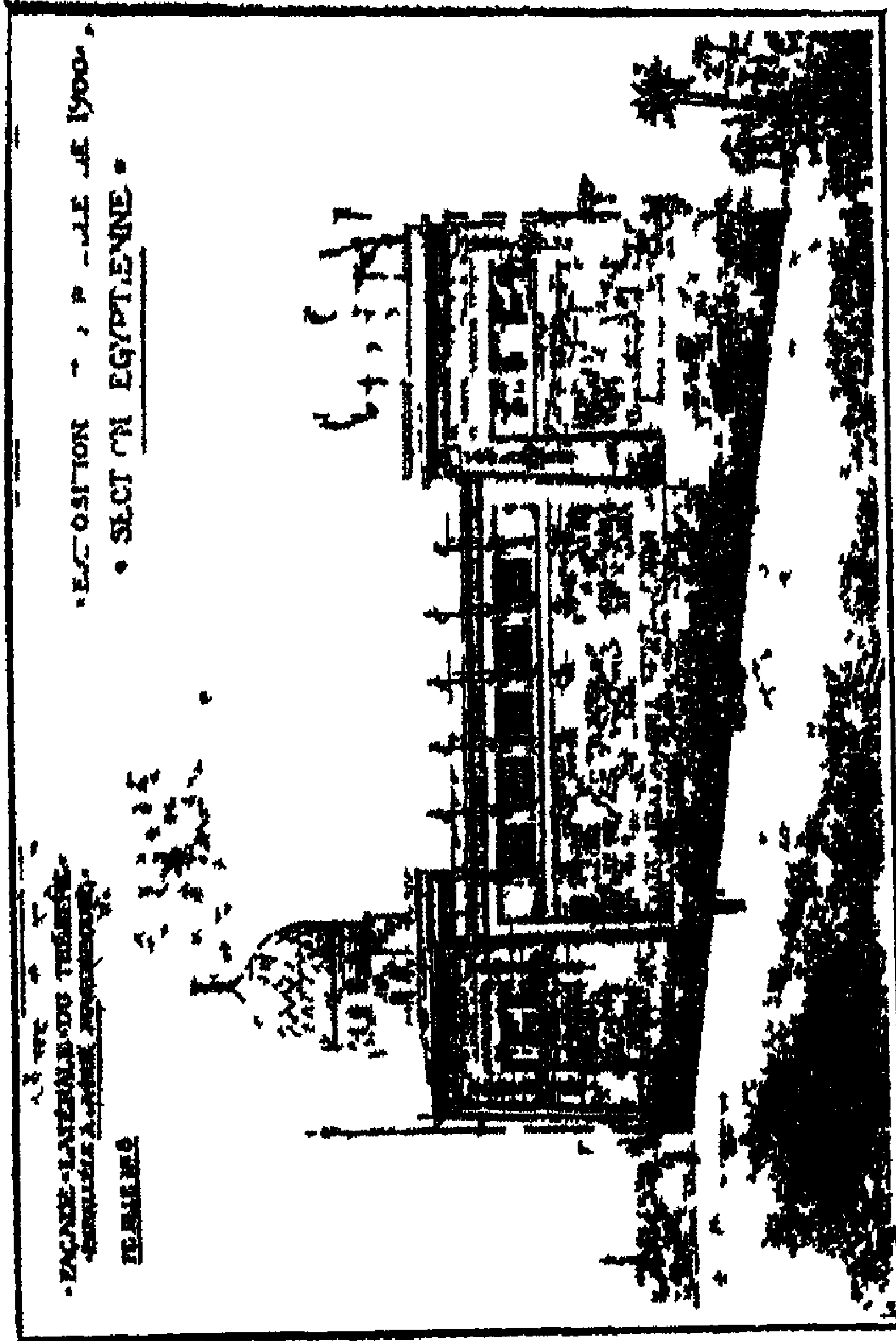
وتحت الهيكل قبور تمثّل التي كان المصريون ينحتونها في متون الجبال او بطونها ، لحفظ اجسادهم من التلاشي والزوال · وفيها موميات كثيرة صحيحة مما عثر عليه الباحثون في وادي النيل ·

واما الوكالة

فلها واجهتان ، إحداهما بحرية على سكة يانا ، والاخرى قبلية تطلّ على معرض اليابان وعلى نهر السين · ومسطحها يبلغ ١٢٠٠ متر مربع تقريباً · وفيها تتمثل حقيقة حالة المعيشة في مصر الآن · وكلها مبنية على الطراز العربي الجميل ·

وتتصل واجهتها مع المعبد بسبيل بديع ، يحاكي الذي شاده الامير عبد الرحمن كتخدا ، ولا يزال باقياً للآن بشارع النحاسين بقسم الجمالية في مصر القاهرة

وبابها منقول عن باب بديع جميل يكاد يكون عديم النظير : اعني به ذلك الباب الذي طالما مرّ امامه المصريون افواجاً ، وهم لايلتفتون الى جماله ولا يشعرون بندرة مثاله · هو باب وكالة النحاسين المعروفة الآن بوكالة



الواجهة العربية وهي تمتد على طول البيادرود
وتحجبها دكاكين لبيع البضاعة الشرقية

القطن ، في سوق خان الخليلي · وهنا ارجو القارئ ان يتوجه اليه ، حتى اذا ما وقف امامه ، شاركني في الاعجاب والاستحسان ، وشكرني على هذا الارشاد ، بل شكر شركة المعرض على سلامة الذوق وحسن الاختيار ·

وفوق الباب ، قبة بديعة تمثّل تلك القباب التي كان يتفاخر بها المماليك ايام دولتهم ، ويتأنقون في زخرفتها فوق مساجدهم واضرحتهم · وهي كثيرة الشبه بقبة مسجد قايتباي بالصحراء (اي بالقرافة) · ولكن القبة الاصلية اجمل وافضل ·

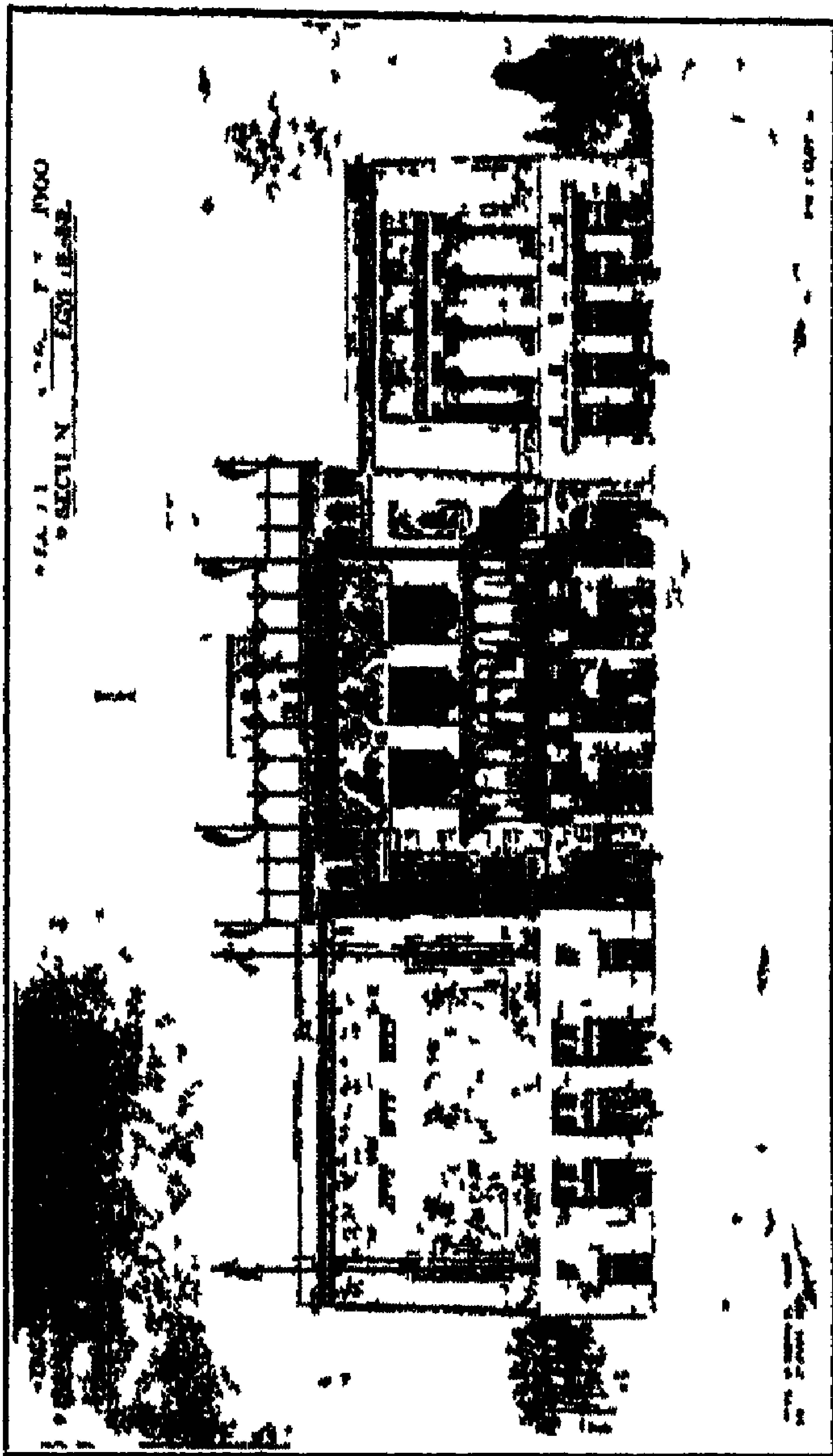
وعلى يمين باب الوكالة ويساره،بابان آخران ، يمثلان بعض المداخل التي قد يمرّ القارئ امامها، ولا يكاد يلتفت اليها : واحدهابالغورية والثاني بشارع الازهر . فمن هزّه حب الاستطلاع الى زيادة الوصف والبيان ، فليتوجه الى هذين الشارعين ، وليبحث عن اجمل بابين ، لينظرهذا الجمال في العمارة والبناء .

واذا دخلنا من باب الوكالة ، تمثلت امام عيوننا مصر وما فيها ، وتخيلنا انفسنا على ضفاف النيل . من رؤية الملابس وسماع الاصوات ، ومشاهدة الهيئات والحركات،التي تنقلنا الى الوطن المحبوب ، نقلاً يقارب الحقيقة او يضارعها بالتمام . فكأنهم نقلوها بقوة السحر ، ركناً من اركان مصر ، في هذا العصر ، وأودعوه في هذه البلاد ، تحفةً للقصّاد ، ونجعة للروّاد . وفي دهليز الوكالة و « حوشها » ، دكاكين صغيرة وكبيرة ، مشحونة بالبضائع والاسباب وفيها مئات من المتجرين على اختلاف الاصناف والانواع .

ولكن يلزمنا ان نرجع الى الباب،لننظر (التبات) وقدبلغ منتهاه . نرى رجلاً متمشيخاً متكئاً على مكسلة الباب بهيئة تمثل الكسل ، ومرتدياً بالجبة والقفطان ، وفوق رأسه عمامة لاتعرفه ولا يعرفها ، الا في هذه الأيام .

وهو يسمي نفسه الشيخ توفيق ، ويضحك على ذقون الافرنج : اذ يزعم امامهم انه من اشياخ الازهر ، ويكتب لهم اسماءهم باللغة العربية ، تذكاراً لزيارتهم القسم المصري في المعرض العام .

وهم يتهافتون عليه ، ولا يكادون يفلتون من بين يديه ، حتى لقد بلغ مكسبه في المدة الاولى من ٤٠ الى ٦٠ قرشاً في اليوم الواحد . ولا بد له من



الواجهة القبلية للقسم المصري وتحتها دكاكين لبيع الصناعة الشرقية والعاديات والحلويات المصرية

(أ) الواجهة الخلفية للناظور — (ب) الواجهة الخلفية للوكالة — (ج) الواجهة الخلفية للمعبد

زيادة الارباح بنسبة الاقبال المقبل على المعرض المصري ، والرواج الذي لا بد له منه .

ويا ليته كان حسن الخط !

بل بالعكس .

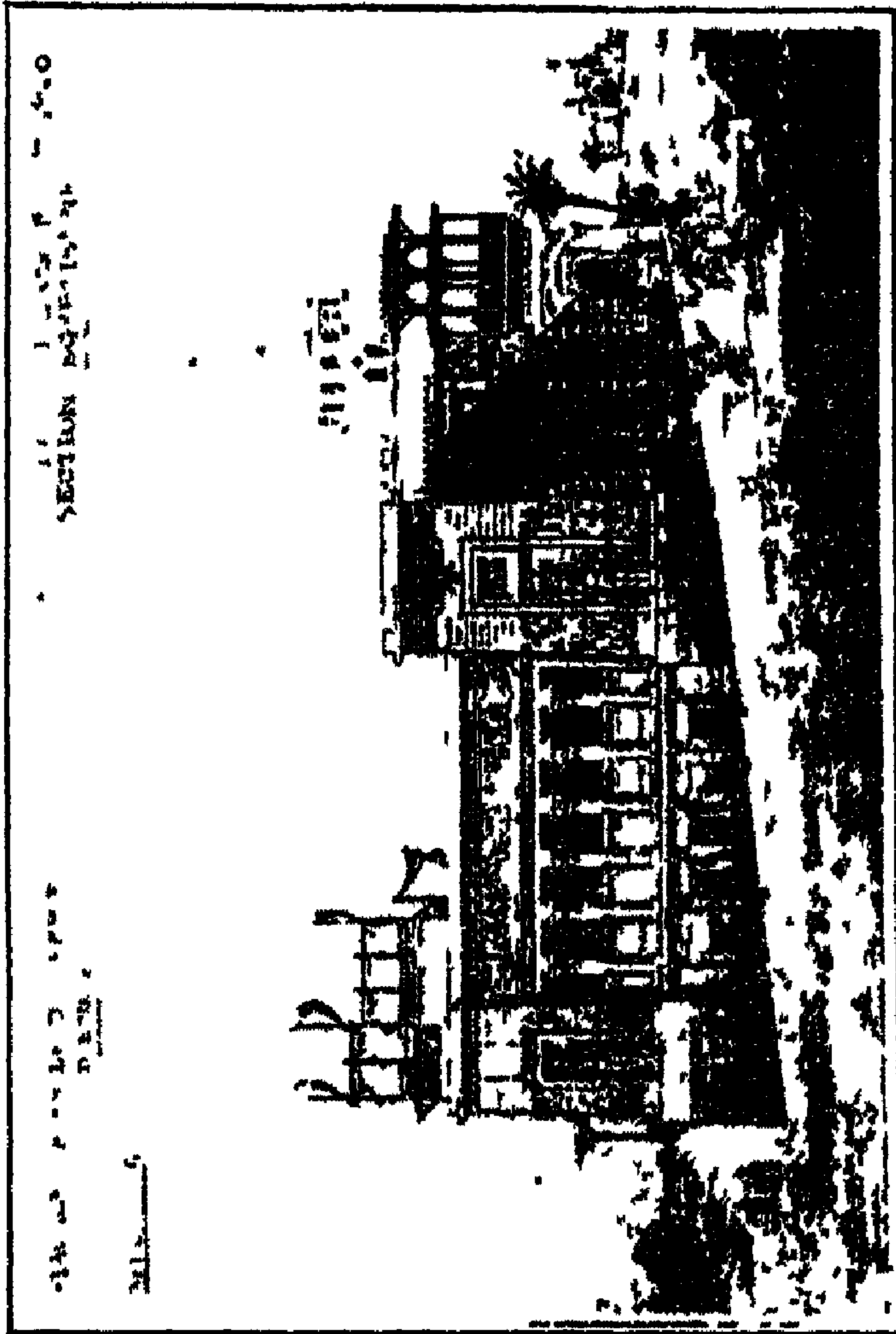
ويا ليته كان شيخاً حقيقياً فيكون مكسبه حلالاً !

بل هو الخواجه توفيق شلهوب المستخدم بقنصلاتو ايران بالاسكندرية .

ألا قاتله الله ! جمع الثلاثة في واحد . فهو شامي في عجمي في مصري . وأي مصري ؟ — مصري متمشيخ ، لكنه يستحق المدح على معرفته باساليب انتهاز الفرصة واقتناص المكاسب باية وسيلة . فلنتركه على الباب ، يتصيد الداخل والخارج من الغرباء ، حتى يصل الى الحد ، او يقف او يوقف عند الحد .

وفي داخل الوكالة حوش مكشوف ، يرى منه الناظر في الدور الاول « حضيرًا » فيه أروقة مثل التي بداخل المساجد والوكائل . فيصعد اليها بسلّم كبير ، فيجد الغرفة الجميلة المعروفة (ببهو فرنسا) ، وهي في دار الوكالة السياسية الفرساوية بالقاهرة ، تمثّل في منازل الاجانب غرف القصور العربية ، بمشربياتها البديعة ، بسقوفها الجميلة ، باركانها الانيقة ، بزواياها الجميلة ، بقاعاتها الحرمية الفاخرة . وهي التي كانت تزدان بها قصور اجدادنا واسلافنا ، فتركناها من باب الحماقة العظمى ، والتقليد الاعمى ، وآثرنا اتخاذ الطراز الاوروباوي المختذل ، الذي اصبح عندنا منعزلاً غريباً ، منقطعاً يتيماً : فهو لاشرقي ولا غربي . وفي هذه الغرفة الجميلة يشعر الانسان « بطراوة » لطيفة ، ناشئة عن التدبير الهندسي العربي ومراعاةً لضرورات الجوّ في ارض مصر . وفيها السجاجيد الثمينة ، والنقوش البديعة ، والالوان الزاهية ، والاثاثات العربية الفاخرة ، مع المصابيح النحاسية ، المشغولة شغلاً عجيباً تحار فيه الافكار . فرحمة الله على تلك الايام !

وبجانب هذا البهو ، غرفة اخرى مفروشة بالسجاجيد الفاخرة ، وفيها فتاة ارمنية لم تتجاوز السبعة عشر ربيعاً . وهي جميلة ، لكن الله خلقها مجرّدة من اليدين والساعدين ، وقد لطف بها في قضائه ، فمنحها القدرة في



الواجهة الشرقية على شارع محمد نورج وهي تمتد على طول المعبد
وتحتها من اليسار اي من الجهة الشرقية القبلية باب المدافن

رجليها على عمل كل ما يتعاطاه النساء من غزل ونسج وكس واصلاح شعرها بالمشط والضرب على آلات الطرب وغير ذلك • فهي والحق يقال اعجوبة من فلتات الطبيعة

اما التياترو

فهو عبارة عن معبد فرعوني قديم، تتقدمه — كالعادة — عمدان عالية، وتكتنفه صروح طائلة • وهو مزخرف من الداخل برسوم وتصاوير كثيرة تمثل حالة مصر القديمة •

فواجهته البحرية ، منقولة عن أفخر آثار الفراعنة : تزدان باعمدة تحاكي التي في هيكل مدينة آبو .

واما واجهته الغربية ، فهي محط الانظار على الدوام : يتمثل فيها أمينوفيس الثالث وهو يتقدم امام إلهه رع (الشمس) — وتتمثل فيها جنود مصر ، وهم يقاتلون اعداءها (منقولاً عن هيكل الاقصر) — ورمسيس الثالث في موكبه الحافل (عن مدينة آبو) — وهيئة مسكن ومعيشة قدماء المصريين في داخليتهم .

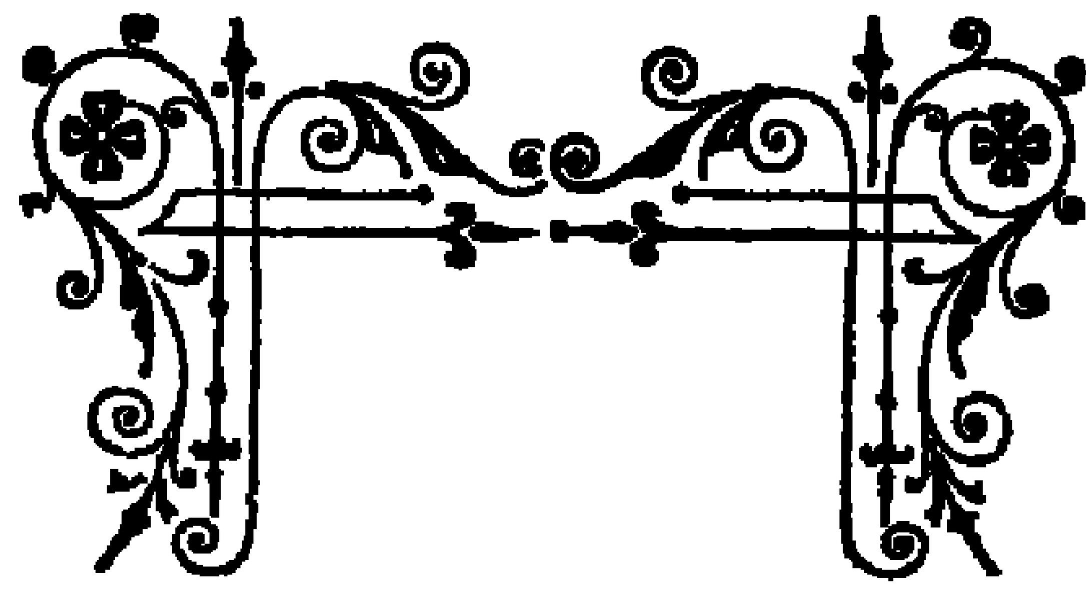
واما الواجهة القبلية ، ففيها رمسيس وهو يعذّر الاسارى ويعذبهم — وهو عائد من الشام مظفرا منصورا (عن معبد الكرنك) .

وهذا التياترو يشغل مسطحاً قدره ١٠٠٠ متر مربع تقريباً ، وقد خصصوا ربعه لمرسح التشخيص والباقي للمتفرجين . وفيه جم غفير من الممثلين والممثلات يشخّصون روايات عنتر ووقائع كسرى مع العرب وغيرها . . . . مع الامر الذي لا بد منه وهو . . . . . وهو الرقص بجميع انواعه في الحماسة والغزل والرشاقة والخلاعة . ويا حبذا لو حذفوا منه بعض الفصول واخصها رقص القلّة والبطن (فانهما على رأي المثل العامي : بالبطن) . ولكن الشركة لا يمكنها ان تكسب شيئاً من المال ، وتعوّض ما تكبدته من النفقات الطائلة ، في تشييد المعبد والوكالة ، الا اذا راعت اميال المتفرجين من الافرنج : ليزيد على التياترو الاقبال ويتوالى عليها الرواج ، بتوافد الافواج على الدوام . كما ان اكابرنا والمتنورين فينا ، يتزاحمون على تياترو الاوبرا لرؤية الراقصات الافرنكيات ، ودفع الاجور

الغالية ، لاستئجار الكراسي والمقاصير ·

ولكن الذي يجب تسطيره بالشكر والثناء ، هو ان مديرها الفاضل الخواجه فيليب بولاد قد راعى نواميس الادب الشرقية بقدر الامكان ، ففصل الممثلين عن الممثلات ، وجعل بينهما حجاباً حصيناً وحاجزاً منيعاً · فلا يكاد الصنفان يلتقيان ، الاّ في ساحة المرسح او قبله وبعده بقليل وذلك من لوازم الضرورات التي تخرج عن حد الاستطاعة ·

هذا وقد رأيت كثيرًا من الاقسام التي شادتها الدول الاجنبية ، وتحققت ان أغلبها لا يضاهي هذه العمارة المصرية البديعة في الحسن والاتقان · ولو كانت قائمة بجانب مباني الامم الاخرى ، لزادت بهاء ورواء ، ولفاقت الاقسام المجاورة لها حسناً واتقاناً ؛ لا سيما وان الاشجار تحف بها الآن من اغلب الجهات فتحجب مناظرها · ومهما كان الامر فليس كل ما يتمنى المرء يدركه · وفي هذا القدر كفاية الآن والسلام



معرض الكلاب [1]

*
* *

الجمعه ٢٥ مايو سنة ١٩٠٠

هذا آخر يوم لمعرض الكلاب . ولذلك بادرت بالذهاب اليه لرؤية هذه الطائفة النافعة من خلق الله . والقارىء لا يستكثر على الكلاب ان يكون له معرض خاص في هذا الزحام العام . فقد بلغ من عناية الافرنج به ان لهم جمعيات متعددة بقدر عدد انواع الكلاب ومنها واحدة عمومية لتحسين هذا الصنف على الاطلاق . ولهذا المعرض جوائز ومكافئات ونشانات كثيرة ، أهمها يقدمها ناظر الداخلية بنفسه باسم الحكومة الجمهورية ، والباقي من الجمعيات المشار اليها .

أُقيم هذا المعرض في ساحة البرتقال ببستان ، اي بالقرب من المعرض العام وان كان خارجاً عن حومته . رأيت فيه الكلاب أصنافا واجناساً: فمنها الحارس ، والنافع في المنازل والمزارع ، ومنها الصائد والقانص ، ومنها الأليف والجليس ، ومنها المصاحب والصديق ، ومنها كلاب الزخرفة والزينة ، وغير ذلك مما لا يحصره الاحصاء . واخص ما استوقف ابصاري وافكاري كلب الرعاة والجعاري والزغاري ، والسلوقي المعتاد ، والسلوقي الاشهب ، وقانص الذئب ، وقاتل الثور ، وكلب القصابين . وكلها مرتبة بنظام بديع في أماكن معدة لها تفي باحتياجاتها وراحتها .

---

(١) ﴿الدنيا في باريس﴾ اخرنا نشر هذا الفصل الى اليوم مع انه وصلنا قبل رسالة افتتاح القسم المصري مراعاة لاهمية القسم المصري لدى القراء

ورأيت للكلاب احوالاً مختلفة واطواراً غريبة في احتشادها العظيم من بقاع الارض كلها في نقطة واحدة . وكل واحد منها كأنه يجتهد في استلفات الانظار . وكان لأغلبها هراء وعواء وضغاء ، ووقوقة وعويل وهرير ، وصياح ونباح ، فتتألف من هذه الجلبة المختلطة ، ألحان تأنف منها الآذان .

فكان لها مناظر متعددة ، واشكال مستغربة فمنها ما يخاله الناظر من طائفة القرود والقطاط ، ومنها ما يشبه فراؤه جلد الفار ، ومنها لا يكاد يختلف عن الشاة او الجدي او الخنزير . ومنها المبرقط والمبرقش ، والغزير الوبر والاملس الجلد . ومنها كلاب لها وجوه كالبوم او الضباع . فسبحان الخلاق البديع ، انه على كل شيء قدير !

اما هيآتها ، فكانت من الغرابة بمكان . ترى بعضها جالساً بعظمة وجلال ، والآخر جاثياً مستغرقاً في الافكار . ومنها ما يغلب عليه الازدراء بالناس ، فيسترسل في المنام . ومنها الفخور بما حازه من النشانات ، والمختال بما ناله من شهادات الشرف والامتياز .

وكنت أرى علامات الذكاء ، واشارات الفطانة ، بادية على ملامح اغلب هذه الحيوانات ، التي خصها الله بميزات لو اجتمعت كلها في انسان واحد ، لكان من الاولياء الكرام . بل من ذا الذي يخالف الحقيقة اذا قال : ان مجموع الذكاء فيها كان اكثر مما هو في كثير من المتفرجين عليها !

ثم انتقلت للمكان المخصص لكلاب الزينة والزخرفة ، واللهو والمؤانسة . فلم اتمالك من انشاء هذا الشعر .



« رسوم بعض انواع الكلاب في معرضها »

واذا نظرت الى الكلاب وجدتها تشقى كما تشقى العباد وتسعد فقد رأيتها متكئة على وسائد من الحرير وزرابي من الاستبرق ، ولها مخادع تغشاها القطيفة اللطيفة ، تسترها كلل (ناموسيات) من التل النفيس او الخز الثمين . ولها مستكنات تأوي اليها وهي عبارة عن سرادقات ومحفات ، تدل على تمام عناية صويحباتها بها . لعمري انها تستحق هذا الالتفات ! فقد شاهدت بينها ما يشابه العرائس التي يتلاعب بها الفتيات ، والعذارى في صغرها ونظافتها ورشاقتها ، بحيث لا يخالها الانسان الا ألعوبة او اعجوبة ولا يكاد يتصورها من الكائنات الحية لولا دلائل الروح ومظاهر في الحركات والاصوات . وقد شاهدت فيما بينها كلباً صغيراً لا يوازي حجم الارنب وصاحبته تطلب فيه ٦٠٠ فرنك . ورأيت آخر يشابه الشبل وله وبر ابيض وعمره سنتان ، وقد نال الجائزة الاولى وصاحبه يطلب فيه ٢٥٠٠ فرنك . فدعاني ذلك لاستقصاء الاثمان بوجه عام فاذا بها تتراوح بين ١٥٠ فرنكاً و٦ آلاف وعشرة آلاف فرنك . ومنها ما لا يبيعه صاحبه او صاحبته ولا بملك كسرى .

أليست هذه ثروة طائلة ، يعيش بها الفلاح في بلادنا قرير العين ١٠ سنين تقريباً ؟ ولكن القوم في اوروبا وامريكا بلغوا من حداً يفوق المعقول ، وانهالت عليهم الثروة بسبب اجتهادهم ن اصبح بعضهم لا يعلم ما ذا يعمل بها ! اللهم ارزقني واحداً ثة من هذه الكلاب فابيعها واستريح من هذا العذاب !

نظر في هذا اليوم هو مسابقة السيدات (من فرنسا وغيرها)



رسوم بعض انواع الكلاب في المعرض الخاص بها

لاحراز قصب السبق في تربية كلاب الزينة والزخرفة · فكانت الواحدة منهن تحضر امام مجلس المحلّفين وتعرض كلبها على مائدة كبيرة فيفحصونه ملياً ثم يقررون له نشاناً اووساماً او ··· لا شيء · وتخرج صاحبته من بين يدي لجنة الامتحان وهي متأثرة بالعواطف التي تلازم الفشل او النجاح ·

وفي اثناء هذا الامتحان كان بعض اعضاء الجمعيات المذكورة ينفخون في ابواق الصيد باناشيد مخصوصة ·

ثم انتقلت الى معرض الصور الخاصة بالصيد والقنص · فرأيت ألواحاً كثيرة، وتماثيل متعددة، وميداليات ومصنوعات من المعادن على اشكال متنوعة ومشغولات من المينا الدقيقة اللطيفة تشابه الحلى والمجوهرات · ومما استوقف نظري ، لوحة تتمثل فيها غادة لطيفة راكبة فوق سرب من الغزلان ، والكلاب تلهث وراءها · فما رأيت في عمري ظباء فوق ظباء الا في هذا الخيال الذي يمثل الهة الصيد عند اليونان ، تتبعها حاشيتها من الجنيات والاعوان ·

ورأيت لوحا آخر فيه تخييل لطيف ، يحسن ايراده في هذا المقام ، علّه يكون فيه تنبيه لقريحة الشعراء ·

اجتمعت محكمة الجنايات وجلس القضاة حول رئيسهم والكتبة واعضاء النيابة في اماكنهم · ووقف المحامون والمحضرون والخفر والجنود ؛ ثم حضر الاخصام والشهود · وكلهم اشخاص من الكلاب والادياك والاطيار · وكل واحد متشح بالملابس والوسامات الخاصة بوظيفته ، حتى الجندي ، تراه واقفاً بملابسه العسكرية ، وفوق ظهره

« جربنديتهِ » وبين يديه بندقيته · ثم صدر الحكم على الثعلب الخبيث بالاعدام شنقاً في نفس غرفة الجلسة جزاءً له على عيثه بين الدجاج والاطيار فصلبوه بلا رحمة · وكانت السنانير واقفة تنظر من بعيد وفرائصها ترتعد · ورأيت تحت المشنقة طيوراً متعددة مخنوقة قد أحضرتها النيابة بصفة دلائل محسوسة · وفوق المشنقة قصيدةٌ قصيرة هذه ترجمتها :

« ليتأمل الناظر · وليعتبر من يشعر بانه ارتكب الجناية · فويل للرذيلة · فان العدالة لابد ان تقبض على الثعلب عاجلاً او آجلاً »



اهرعت في صباح هذا اليوم ، الى موقفي بالامس · فدخلت من البوابة الفخيمة ، وسرت بجلال ووقار ، بين عبير الازهار ، وتمايل الاشجار ، وتغريد الاطيار ، حتى خلت نفسي قد انتقلت الى عالم كله اسحار في اسحار ، او الى عالم الجنون بل ملكوت الجنان ·

كيف لا ، وقد كنت اسير في طريق الشانزليزيه (اي جنات النعيم) ، والاشجار متناسقة متتابعة على ستة صفوف بين صنوان وغير صنوان · ثم وقفت في منتصف الرحبة المتكونة من تقاطع شارع الشانزليزيه بالشارع المستجد المعروف الآن بطريق نقولا الثاني · فرأيت عن يميني عمارتين بديعتين بل اثرين فخيمين خالدين : هما القصر الكبير والقصر الصغير ؛ وسأصفهما لك بلا امهال ولا تأخير · وكانت

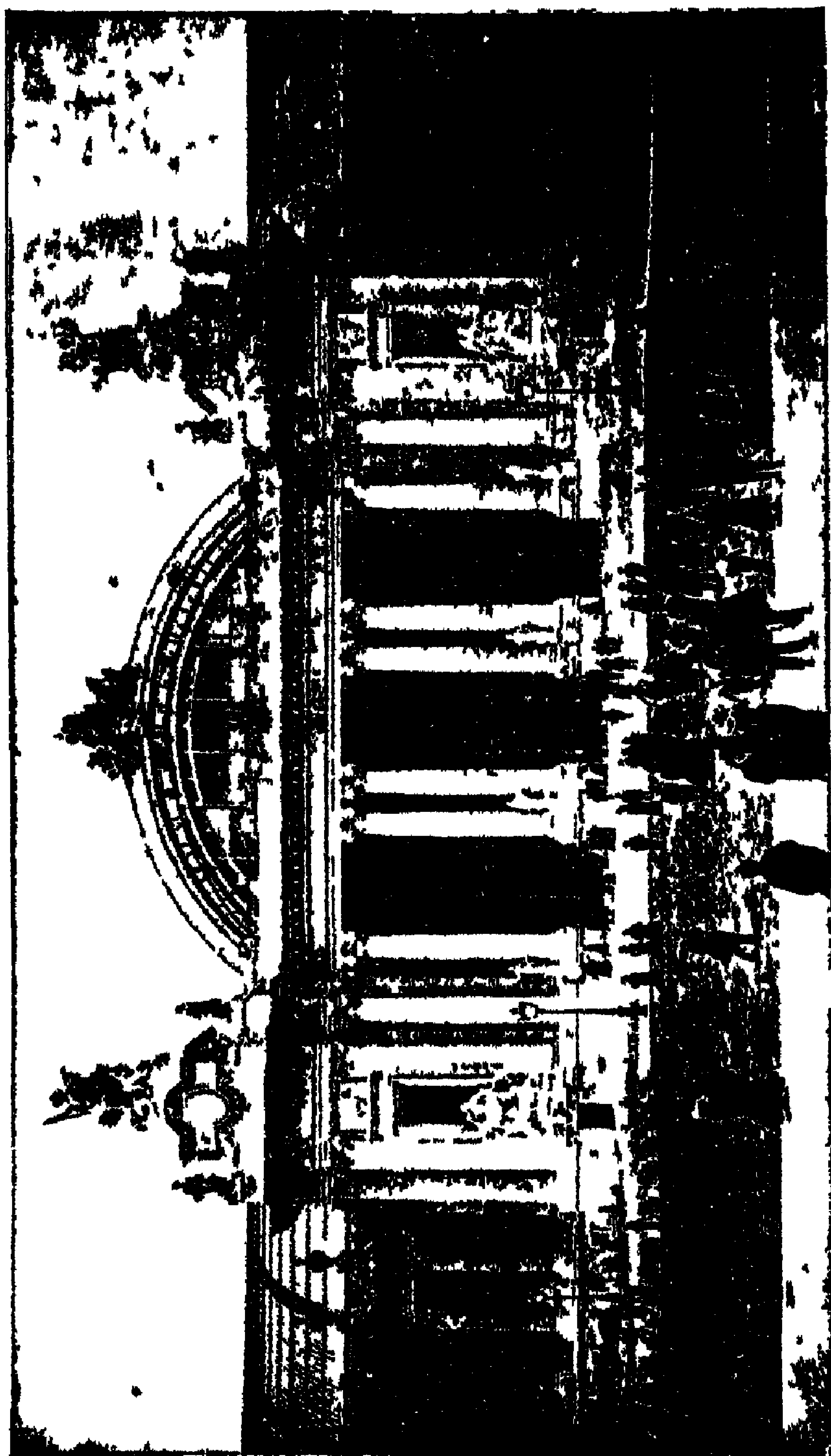
على يساري قنطرة اسكندر الثالث وهي آية الآيات ، في الزخرفة والابداع والبراعة والاعجاز . يجري تحتها نهر السين وفيه تمخر البواخر الرشيقة ذهاباً واياباً ، وكلها مشحونة بآلاف وآلاف من الخلائق على اختلاف الالسنة والعقائد والاوطان . ثم استقبلت القنطرة ، ووقفت مبهوتاً صامتاً ، أتأمل في قصور الامم الاجنبية تتقاطر بعضها وراءَ بعض ، والرايات والاعلام فوق رؤوسها وهي متخالفة في الالوان والاشكال . وكل واحد منها يحبس الفكر والطرف ، ويستغرق الوقت في الوصف .

فلم أرَ احسن من الرجوع الى القصرين معللاً النفس باشتراك القارىء معي في قليل مما تمثل امام انسان العين وعين الانسان .

القصر الكبير

وقفت امامه اقدم رجلاً وأُؤخر أُخرى ؛ لا من باب التردد والاحجام، ولكن من باب التأمل والاعجاب . ولذلك يحسن تغيير التعبير . كنت امامه اقدم خطوة واتأخر خطوتين مثل اولئك السفراء الذين كانوا يفدون على ملوك الشرق وخلفاء الاسلام ، اظهاراً لمزيد الاعظام والاحترام . بل كيف تسمح للانسان نفسه ، ان يتهجم على هذا القصر الفاخر ، من غير ان يقف امامه هنيهة بل برهة ، يجيل الطرف في محاسنه وبدائعه .

في هذه اللحظة تحققت انه قد يكون للشعراء واهل الخيال ، نظر يخرق الحجاب ، ويخترق السحاب ، وان قلوبهم لها عيون ، يرون بها



منظر القصر الكبير للفنون الجميلة

ويروون ، ما كان وما يكون ، ولله في خلقه شؤون . لا ريب عندي ان هذا الاثر الجليل ، قد رآه الشاعر بنور البصيرة ، قبل ان أراه بالعين الباصرة ، بآلاف من الاعوام ، فوصفه وسبحان الناطق على كل لسان :

قصر عليه تحية وسلام * خلعت عليه جمالها الايام

فقد بلغت واجهته حد الاعجاز ، في العمارة والزخرفة بالانصاب . وله بوابة واسعة لا عالية ، فيها عشرة اعمدة توصل الى ثلاثة ابواب ، أوسطها معد للاحتفالات والتشريفات ، وعلى يمين البوابة ويسارها رواقان ، في كل واحد منهما ١٤ عموداً وعلى عضادتي البوابة تمثالان هائلان ، يكادان يناطحان السماك في السماء ، ويسترقان السمع من الملإ الاعلى . هذا خلاف التماثيل والانصاب المتنوعة المتعددة ، التي بين الاعمدة وبعضها . وتحتها اشجار وازهار ، مصفوفة باشكال رائقة ، تسر الناظرين .

وامام البوابة ، تماثيل كثيرة من النحاس : اجملها تمثال ارسله قيصر الروسيا ، وهو عبارة عن بطرس الاول مؤسس الدولة الروسية ، بصفة جندي باسل يقبّل طفلاً رضيعاً بين ذراعيه ، هو لويس الرابع عشر ملك فرنسا .

ويتألف هذا القصر من ثلاثة اقسام متمايزة ، مأخوذة من ثلاثة رسوم مختلفة ، قدّمها مهرة المهندسين . ولكن مجلس المحلفين عند اختيار الرسم الاوفق رأى ان يأخذ من كل شيء احسنه ، وان يضم الثلاثة الاجزاء بعضها الى بعض . وقد كان .

ومتى دخل الانسان في هذا القصر وجد فناء رحيباً اهليلجي الشكل ، طوله ٢٠٠ متر وعرضه ٥٥ . وتعلوه على مسافة ٤٣ متراً من الارض ، قباب واسعة من الزجاج والحديد . ومن منتهى المهارة في صنع الزجاج بهذه الايام ، ان في هذه القباب الواحاً منحنية مقنطرة ، طولها ٣,٤٠ متراً وعرضها متر كامل وسمكها سنتيمتر واحد !

وفي هذا الفناء سلالم كثيرة ، توصل الى الدكة الارضية والى الدور العلوي . وفي كل منها أروقة متعددة ، وغرف جميلة يبلغ مجموع طولها ٣٦٠ متراً في عرض ١٢ متراً .

وفي منتهى الفناء سلم التشريفة ، وهو في غاية الابداع : يستند على اعمدة من الفرفور الاخضر كانها سوق الاشجار . ولذلك ارادوا زيادة التشبيه والتضليل ؛ فسكبوا من « ورق الحديد الاخضر » درابزونات في قوالب مخصوصة ، على شكل النبات والاوراق والازهار فيصعد عليه الانسان : كانه طائر في أيكة او عصفور في قفص . وهو اسلوب جديد بديع في اقامة السلالم .

وقد بلغت نفقات هذا القصر ٢٤ مليون فرنك . وهو مقام على ارض مساحتها ٤٠٠٠٠ مترمربع . وبعد انقضاء المعرض يبقى هذا القصر مع القصر الصغير المواجه له . واما بقية العمائر والقصور التي في المعرض ، فتزول كأنها لم تكن . فحياتها كالازهار : يوم او بعض يوم .

وسيبقى هــذا القصر مخصصاً لاقامة المعارض السنوية الخصوصية ، المتعلقة بالخيل والصور والرسوم والزراعة ونحو ذلك من الاحتفالات .

ولذلك هندموه بمراعاة الاحتياجات المستقبلة على قدر الامكان · وجعلوا في أسفله « بدرونات » واسعة يمكن ان تسع ٦٠٠ رأس من الخيل على الاقل ·

ويشتمل القصر الآن على ثلاثة معارض ·

اولها — المعرض المئيني للفنون الفرنساوية وفنون الزخرفة · وهو يشمل المدة المنحصرة فيما بين سنتي ١٨٠٠و١٩٠٠

ثانيها — المعرض العشري للفنون الفرنساوية من سنة ١٨٨٩ الى سنة ١٩٠٠ ·

ثالثها — المعرض العشري للفنون عند الامم الاخرى ·

فالقسم الايمن من هذا القصر في الفناء وفي الدور الارضي والعلوي ، مخصص للصنفين الاولين · والقسم الايسر موقوف الآن ، لعرض ما ابرزته قريحة الامم الاجنبية في الرسم والتصوير والنقش وصنع التماثيل · وهذا بيان الامم التي تبارت في هذا المضمار ، رتبته على حروف المعجم :

أرجنتين (١) · اسبانيا · اكواتور · المانيا · اوروجاي (١) · اوستريا ايطاليا ··· برتقال · بريطانيا العظمى · بلجيكا · بوليڤيا (١) ··· تركيا ··· جواتمالا (١) ··· الدانمرك ··· الروسيا · رومانيا ··· سان مارين (١) · السويد · سويسرا · سلڤادور (١) ··· شيلي ··· الصرب ··· لوكسمبرج ··· موناكو ··· نورويج ··· هاواي · هنكاريا هولاندة ··· الولايات المتحدة ··· اليابان · اليونان ·

(١) جمهورية بامريكا

وفي الفناء تماثيل تفوق الحصر ، منحوتة من الاحجار والرخام او مسبوكة في قوالب من الجبس او من الشبهان . وكلها هائلة الجثة ضخمة التركيب : بعضها مفرد و بعضها مركب من جملة اشخاص ، و بعضها عبارة عن خيالات واوهام ، واخرى يرمز بها الى المعاني والافكار : كتماثيل الحقيقة والفزع و ينبوع النهر والبكاء والنوم والرؤيا والفرح والموت والحياة والعودة من السفر والاحسان و الفضيلة والرذيلة و الشيخوخة والجمال والقوة والحلم والنصر والمروءة والكرم وغير ذلك من المعاني التي تخطر على البال : مثل العشق وهو يخلب الفؤاد ويصرع الرجال ويفتن النساء والاطفال ، ومثل الحرية وهي تنير العالم بضيائها الساطع ومثل الدهر في زي شيخ كبير جالس بسكينة ووقار ، وفي احدى يديه منجل يحصد به العالم وفي الاخرى الجماجم ، وامامه بنكام او ساعة رملية يستدل بها على انقضاء الآجال وفناء العالم .

وهنالك تماثيل اخرى تحاكي الطبيعة وتمثل الانسان في جميع احواله واطواره وافعاله وحركاته وسكناته بالليل و بالنهار . او تمثل اشخاصاً مشهورين في التاريخ او آلهة اليونان وغيرها من الاوثان وبعض الملائكة الابرار وبعض الانبياء الكرام . عدا تماثيل الحيوانات الاليفة والنفورة والوحوش في القفار والبحار . ومما راعني من هذا القبيل تمساح اخرج رأسه من الماء وقبض على ساق فيل عظيم ورد ليشفي الغليل فاشتبكا ببعضهما فلا مندوحة لهما عن الخلاص . وانسان في العصر الحجري يقتل الدب الكاسر بعد ان اصابته منه جراح بليغة وهو لا يبالي بها .

وآساد تتقاتل · وانسان الغاب يفترس رجلاً متوحشاً · وقرد مفترس من النوع المعروف بالغورلاً قد اختطف امرأة بديعة الجمال ·

ومما استوقف نظري في هذه التماثيل المتزاحمة تمثال فيكتور هوجو شاعر الفرنساويين بل متنبي الافرنج وتحت اقدامه رحوله تماثيل ورموز كثيرة تمثل الشعر والموسيقى والرواية والتاريخ والشهرة والاعجاب · ومع كل واحد منها اكاليل يحاول السبق في وضعه على رأس الشاعر · فكيف لا يتفانى الناس هنا على اكتساب الادب والآداب · ورايت في معروضات اسبانيا قبرًا جليلاً فخماً حوله الملائكة تبكي والناس مصعوقين من شدة الاسى والعويل ·

— ولمن اقيم هذا الاثر ؟ — لرجل اشتهر عندهم بالغناء والتلحين ·

فكيف لا يتهالك الناس على احياء الطرب واجادة الصوت لنيل الصيت ؟

ثم صعدت الى الدور الارضي والدور العلوي · فرايت الواحاً من الصور والرسوم ذات الالوان المختلفة ، مما يجل عن الوصف ويتعاصى عن الحصر · ولا اصف لك شيئاً منها لانها كلها تمثل للرائي منتعشة بالحياة ، ولا ينقصها سوى ذلك النسيم الرباني : الروح · بل اذا أحدقت النظر الى صورة منها تخيلتها تناديك او تناجيك · واذا ابتعدت عنها ذات اليمين او الشمال ، رأيتها تتابعك بالنظر ، وترنو اليك بالطرف · ومهما تحولت عنها ، تحولت اليك · والخلاصة انني ادعوك ايها القارىء ، ان تنظر الى الطبيعة كلها ، وما انطوى بين الارض والسماء وان ترسم

ذلك على مقلة العين ثم تستغرق في فكرك بالليل و بالنهار: فكأنك حينئذ شاركتني في رؤية هذه الصور كلها بالتمام · وما أغرب تركيب الالوان على صفحات القماش: فالناظر الى بعض هذه الالواح (بلا قافية) يرى الظلام والافياء ، والظلال والاضواء ، كما هي في الطبيعة بحيث تظهر الصورة المسطحة كانها جسم له ثلاثة ابعاد · أليس هذا مما يخلب العقول و يسحر الالباب ؟

واعلم ان المتفرج والطائف مهما تدرعا بالصبر والثبات ، لا بد لهما من الكلال والملال ، والاعتراف في آخر الامر بالعجز عن الاستيعاب · اما انا فبعد التعب والنصب ، اخذتني الشفقة على سيقاني ، فجلست في احدى غرف الراحة اجيل الطرف ذات اليمين وذات الشمال ، واتردد بالفكر ، بين الشرق والغرب ؛ فخطر لي ان الأولى بالشفقة والرحمة هم اولئك المساكين الذين يسمونهم بالمحلفين · اذ كيف يتوصلون للحكم بين هذه المعروضات الكثيرة ؟ وكيف يمكنهم ان يميزوا احدها على الآخر بقصب السبق في هذا الميدان ؟ مع انها تعد بآلاف الالوف ، وكلها قد توفرت فيه صفات الجمال والكمال · كان الله في عونهم ·

نعم انني لست من اهل هذا الفن ، ولكن ها هو حكمي بالاجمال على بعض ما عرضه ابناء الدول الاجنبية :

ايطاليا · يغلب في رسومها البهجة والنضارة والفرح والخلاعة ·

المانيا · رسومها فيها وقار وجلال وسودا وظلال ·

بريطانيا العظمى · تمتاز بمناظر البحر وادواته ·

اما اليابان . فحيا الله اهلها فقد بيضوا وجه الشرق بين امم الغرب بعروضاتهم البديعة الانيقة . وتصو يرهم الطبيعة بما يقارب أو هو الحقيقة .

وهنا يجب عليَّ ان احيط القارئ بتعبي في الصعود والنزول والذهاب والاياب ، لرؤية الرسوم المعروضة باسم الاتراك . فبعد البحث الشديد والالحاح في السؤال عن الطريق (وهو ذل وقاك الله منه !) ، رأيت اربعة الواح لرجل يضع امضاءه على بعضها باسم « چاهين » ويضع على البعض الآخر اسمه بالكامل : « ادجار چاهين » فطأطأت الرأس ، واغمضت العين ، واخفيت الوجه ، خجلاً وحياءً من تقحمه على عرض اشياء لا يرضى بها صغار المكاتب خصوصاً في هذا الميدان . فانه اشتغل بنقل بعض ما نراه في جرائد الافرنج المزلية بتصوير جهة من احد شوارع باريس ، او بعض اشخاص افرنكية في غاية البساطة مع منتهى الخلاعة ونحو ذلك مما يتلقاه التلامذة من مبادئ فن التصوير . ورأيت له ايضاً صورة السفير العثماني الحالي بباريس ، وهي لا بأس بها . ولكن الحق يقال ، انه ما كان يصح له المباراة في هذا المضمار ، فانه لا يعود عليه ولا على أمته بشيء من الفخار . . . . بل بالعكس ، وا آسفاه ! وكان الاولى له ان يحذو حذو بعض الافرنج ، في نقل صور المعيشة الشرقية ، او مناظر البسفور الشائقة ، او غير ذلك مما انفردت به بلاد الترك وغيرها فانها كانت حينئذ تستجلب الانظار ، والاعجاب . ولكن قدّر فكان . ولذلك خرجت من القصر بعد العصر ، جامعاً بين الاعجاب والاكتئاب .

القصر الصغير

بين الاشجار الباسقة ، والاطيار الناطقة ، والازهار اليانعة ، والرياض الباسمة ، يتجلى بناء فخيم ، يواجه القصر الكبير ، يقف امامه الجم الغفير ، وتأمه الجماهير تتبعها الجماهير : هذا هو القصر الصغير !

ما ألطف هذا الاسم ! أليس كل صغير في الطبيعة أحلى وأجمل ؟ فهذا القصر كذلك ، وان كانوا وسموه بالصغير ، فما ذلك الا لعدم اتساع مساحته . اما شكله وبناؤه فيسحران العقول ويخلبان الالباب .

أقيم هذا القصر الانيق على مسطح من الارض قدره ٧٠٠٠ متر مربع ، وبلغت نفقاته ١٢ مليوناً من الفرنكات . وسيبقى بعد انتهاء المعرض العام ، ملكاً خصوصياً لمدينة باريس ؛ اي لمجلسها البلدي تجعله متحفاً خاصاً بها ، وذلك في نظير اشتراكها مع الحكومة في مصاريف المعرض ، ودفع مبلغ ٢٠ مليون فرنك من صندوقها .

بابه معقود رفيع البناء ، يحف به صفان من العمدان ويصعد اليه بدرجات واسعة منحوتة من الحجر الجلمود توصل الى دركاه مستديرة تعلوها قبة شاهقة . وهذه الدركاه يتلوها فناء مكشوف للسماء يدور حوله رواقان متوازيان .

فاذا قصده الانسان وطاف في الرواقين حتى وصل الى نقطة الابتداء ، رأى تحائف وعجائب يستغرق وصفها الوقت ولا يفي به التعبير .

يرى في وسط الدركاه ، تمثالاً على جواد وكلاهما في الحديد غاطس ،

وهذه آلات الحرب التي كان يتدرّع بها احد ملوك فرنسا المشهورين ·

ثم يجد على اليمين والشمال دهليزين ، يوصلان الى الاروقة المستديرة ، وفيهما صنوف من الزرود والتروس ، والدروع والخوذ ، واللامات والطاسات ، ونحو ذلك من آلات الحرب والجلاد ، التي كانت مستعملة في القرون الوسطى ، قبل اختراع البنادق والمدافع ، وقبل ان تُولّي ايام الشجاعة والبسالة والاقدام ، وتقوم بدلها قوة الآلات الساحقة الماحقة ، على ابعاد هائلة · وكل هذه الأدوات موضوعة بالكيفية والهيئة التي كان القوم يستعملونها بها في تلك العصور ، عصور الحماسة والشهامة ·

ويرى عربات حربية واخرى ملوكية ، مما يُحمل على الاعناق ، أبدعها مركبة على قاعدة تشابه السلحفاة ، واخرى مصنوعة في كتلة من الخشب على هيئة النمر الكاشر الكاسر وقد جوّفوا ظهره على هيئة كرسي يجلس عليه الراكب بتمام الراحة ·

وكل هذه الطرائف تاريخية ، محفوظة في المتاحف او عند بعض الغواة من اهل الثروة · وقد كانت لملوكهم او شجعانهم او امرائهم او غيرهم من المشاهير والأعلام ·

واذا دخل الزائر في الرواقين المستديرين ، وجد متحفاً عجيباً غريباً نادر المثال · كيف لا وهو خلاصة المتاحف في فرنسا كلها ، وقد قصدوا بتنظيمه ان يضعوا امام الانظار ، كيفية تقدم الصناعات الفنية وترقيها بالتدريج ، من الابتداء الى آخر القرن الماضي ·

فيرى اعمال الصياغة والمجوهرات ، بحسب اختلاف الدول والاوقات ،

و يرى شمعدانات غريبة الاشكال، واخصها شمعدان صغير على هيئة فسقية بديعة : فوقه اناء يتناثر منه الماء فتدور الشموع بالانوار فيتضاعف الضياء بشكل تنشرح له العين ويقر به الفؤاد . و يرى مداليات وموائد وكراسي وسكردانات ورسوم وتصاوير ونقوش ومراوح وعلب دقيقة من الذهب الابريز واخرى تزينها المينا بشكل جميل دقيق . وساعات جميلة فاخرة مما يعلق بالحائط او يقام بجانب الجدران او يوضع فوق الموائد . وكل هذه التحف غريبة في بابها ، تستوقف الزائر، ويحار فيها الواصف فضلاً عن كونها كلها من المخلفات التاريخية المتصلة السند .

ولا أرى حاجة للاطالة في وصفها والتعريف بها او احاطة القارىء علماً بماهيتها وكيفياتها واشكالها وأسماء اصحابها في الغابر او في الحاضر ، فذلك مما لا تسعه الدفاتر . وانما لا بد لي من ذكر مثال واحد ليستعين به على تخيُّل هذه الطرف العجيبة : فمن اغرب ما رأيته ساعة مركبة فوق ارغن صغير ، وتحته تخت الاتيه وموسيقارين (موسيقاتية) واهل رقص وطرب وأمامهم رئيسهم في يده عصاه لضبط حركاتهم واصواتهم ونغماتهم فكأنه الملك في يده الصولجان . وكل ذلك مصنوع من الفخار المطلي بالمينا ، المنقوش بالالوان الزاهية والاصباغ الباهية ، تحيط به الأزهار البديعة الرائقة ، وكل ذلك من شغل سكسونيا وهذه الاشخاص الصغيرة محفوظة تماماً فلا ينقص احدها ولا اصبع واحد . وهي مصنوعة من عهد بعيد ولكن عناية القوم بالتحائف على وجه العموم أبقتها سليمة الى الآن حتى كأنهم قد احضروها بالأمس من معمل الصانع .

ولكن اين هذه الساعة من تلك التي يقف الناس امامها افواجاً افواجاً ، وكلهم مبهوتون حائرون من شكلها بل من القيمة التي وصلت اليها :

قاعدة مربعة من الرخام ، تزدان بنقوش بارزة تمثل بعض الملائكة الكرام ، وطائفة من آلهة الغرام . وفوقها اسطوانة من المرمر منقوشة نقشاً بديعاً ، تحيط بها ثلاثة تماثيل تعرف عند الافرنج « بالمحاسن الثلاث » (Les Trois Grâces) في ايديهن اغصان متواصلة ببعضها وبينهن وهذه الاغصان تزدان بالازهار والاثمار . وكل واحدة من المحاسن واقفة بهيئة مخصوصة تسحر العقول وتخلب الالباب . واحداهن تشير باصبعها إلى شيء كالجرن موضوع فوق الاسطوانة ، وعلى حافته بيان عدد الساعات . وربما كان في داخل الاسطوانة ادوات الحركة فتدور حافة الجرن ويكون تعيين الساعة بواسطة اصبع الغادة وفوق الجرن غطاء من الرخام يزدان بالازهار .

وهذه الساعة يتلكها رجل من كبار الفرنساويين اسمه الكونت كامندو (Camondo) والغريب في قصتها ان اصل ثمنها ٧٠٠ فرنك واشتراها هو بعشرة امثال ذلك المبلغ . وعد القوم ذلك حماقة منه وسفاهة وجهلاً ، واراد ابوه ان يحجر عليه امام « المجلس الحسبي » كما انه سعى من جهة اخرى في ارساله الى مستشفى المجاذيب . ثم ظهرت قيمتها عند العارفين فعرضوا عليه عشرة امثال ما دفع ، فرفض فضاعفوا له العطاء وهو مصرٌّ على الاباء فجاءه رجل من اغنياء الامريكان وعرض نصف مليون من الفرنكات فلم يقبل فزاد حتى وصل الى المليون وصاحبها لا يعرف الاجابة بغير كلمة « لا » حتى جاءه في هذه الايام الاخيرة عطاء من رجل من اغنياء الانكليز



قطعة من الرخام من صنع المثال فالكونيه (Falconet) وهي عبارة عن ساعة تحملها المحاسن الثلاثة ومعروضة في القصر الصغير يمتلكها الآن الكونت كاموندو وعرضوا عليه في ثمنها ١٫٥٠٠٫٠٠٠ فرنك فلم يقبل وهو من سراة الاسرائيليين المثرين بباريس

يبلغ مليون ونصف مليون من الفرنكات اي ٦٠٠٠ جنيه انكليزي تقريباً فكتب صاحب الساعة يقول له ماخلاصته :

« ان الساعة قد اصبحت في غير ملكي ولست الا كالحارس عليها الحفيظ بها فانني اوصيت بها لمتحف اللوفر . فان شئت ان تشتريها فضاعف الثمن الذي عرضته وارسل الى ادارة المتحف مباشرة مبلغ ٣ ملايين من الفرنكات يكون نصفها باسمك والنصف الآخر باسمي حتى يتسنى لهذه الادارة تخصيص المبلغ لمشترى التحف والطرف » . فلم ير الانكليزي وجهاً للقبول ، اذ ليس له حظ في دفع ماله لمساعدة غير بلاده .

ولهذه الساعة خفير مخصوص قد هام بها غراماً : فهو لا يكاد يبارحها ، ولا ينفك عن الوقوف امامها والنظر اليها . حتى لقد عرضوا عليه الترقية بالانتقال ، فشاكل صاحبها في الرفض وقال : « لا أفارق ساعتي دقيقة واحدة » .

وفي هذا القصر ايضاً ستائر وطنافس وأبسطة من الحرير المنقوش بهيئة مناظر متنوعة ، وصور جميلة بالغة في الاتقان بحيث يخالها الناظر الواحاً من القماش قد صورها ابرع النقاشين بازهى الالوان وابهى الادهان .

ثم يمر الانسان امام مجموعة بديعة من تماثيل البرونز (الشبهان) ألطفها في الصناعة بل ابشعها (في النفس) صورة لبوة قد افترست جواداً كريماً . وهنا لك مجموعة أخرى تلقي الرعب في روع الناظر والحقيقة انها عبارة عن مصابيح تلقي الرعب في قلب الظلام فيولي امام اشعة الضياء التي ترسلها في الغرف والمناظر . هذا خلاف عضادات الابواب التي كانت في قصور

القدماء وكلها من المرمر الثمين والخشب النفيس·

اما الخشب فقد جمعوا منه تحائف يحار فيها العقل ولا يشبع منها الطرف· فكله مشغول شغلاً دقياً دقيقاً رقيقاً ·

ومما اعجبني كثيراً مصنوعات البرونز وظهور الترقي التدريجي في اعماله والتأنق المتوالي في طرقه وشكله ونقشه وزخرفته · فيرى الانسان صناعته متدرجة من الساذج الخشني الى نهايات الاتقان والكمال ·

وكذلك الحال في مشغولات النحاس والعظم والعاج والخزف والفسيفساء والزجاج ، ومصنوعات الحديد في « الكوالين » والاقفال والاغلاق والضباب والمفاتيح والامواس والميرى والسكاكين والسيوف والبنادق والتماثيل، واشغال المينا والطلاء والتموية والتذهيب · واما الصحون فقد رأيت من تأنق القوم السالفين انهم كانوا يصطنعونها بغاية اللطافة ويغشونها برسوم رائقة تناسب الغاية التي وضعت من اجلها · فمثال ذلك الصحون والطاسات والجامات والكاسات التي كان يستعملها اهل الترف والنعيم ترى عليها عبارات واشعار في مدح المدام والهيام ·

واما الكتب القديمة، فكلها مؤلفة من رقوق رفيعة وجلود صقيلة تزدان بالرسوم والتزاويق ·

وهناك مجموعة بديعة من النقود الذهبية والفضية والنحاسية ومن الاختام وغير ذلك ·

وفي وسط الرواقين الدائرين حول بعضها الفناء المكشوف للسماء· وهو على هيئة نصف دائرة تحيط به عمدان باسقة رائقة تحف برواق

داخلي · وفي هذا الفناء ثلاث بحرات جدرانها مموهة بالذهب النضار وفي وسطها نوافير بديعة ترسل اليها الماء كحبال الخيال اوكشعاع اللجين وحولها ورود وازهار قد تجلت محاسنها في ابدع صورها بفضل فصل الربيع · الا قاتلهم الله فقد حققوا وهم شاعر الاندلس :

والريح تعبث بالغصون وقد جرى ذهب الاصيل على لجين الماء

*
**

واعلم ان هذا القصر قد جعلوه في ايام المعرض متحفاً عمومياً لكافة ما ابرزته قرائح ارباب الفنون والصناعات في فرنسا منذ ابتداء المدنية الى آخر سنة ١٨٠٠ فيما يختص بالاثاثات وزخرفة داخل المساكن والمعابد والعمائر الاثرية العمومية · على ان ذلك لم يمنعهم من استعارة بعض التحائف من المتاحف الاجنبية ومن بعض الغواة من الغرباء لتكميل سلسلة التدرج والارتقاء كما فعلوا في مصنوعات العاج مثلاً ·

والخلاصة ان جميع التحف والطرف مجموعة في هذا القصر بنظام بديع واسلوب لطيف · بحيث يجد العالم في هذه المجموعات ضالته المنشودة · ويرى فيها المتفرج ما تقرّ به عينه ويرتاح خاطره · ويرى الانسان تقدم الفن بالتدريج في اشغال العظم والعاج والبرونز والحديد (في الاسلحة والمشغولات والاقفال) والخزف (في صناعة الفخار والقيشاني والصيني) والخشب المنقوش و« الموبيليات » وفي المنسوجات (من اقمشة وطنافس وتطريزات) وفي الجلود وفي صياغة المعادن (المجوهرات والساعات) وفي

المينا وفي الزجاج وفي الفسيفساء وفي ضرب السكّة (اي النقود) وفي الكتابة وتزويق الكتب وطبعها ·

واغلب المصنوعات الداخلة تحت هذه الانواع مرتبة بحسب العصور التي صنعت فيها · وهيهات هيهات ان يكون لهذا المتحف مثيل في العالم كله لانه خلاصة المتاحف كلها · وهيهات هيهات ان يسمح الزمان باجتماعه مرة ثانية في هذا القصر او في غيره · ولذلك يخرج الانسان من هذا المتحف العجيب النادر مبهوتاً و يداخله الاسف من كون هذه الذخائر النفيسة والاعلاق الثمينة ستتبدد بعد بضعة شهور وترجع الى مكامنها اذ يطوف عليها (هي ايضاً) هادم اللذات ومفرق الجماعات

قنطرة اسكندر الثالث

نهر السين ، يشق باريس نصفين · ولزيادة العمار وكثرة الاتصال قد وضع القوم عليه قناطر كثيرة ، في اماكن عديدة ، بحيث يكاد يكون بين القنطرة والثانية ، مائة متر بالاكثر في المتوسط · وقد بلغ عددها الى الآن ٢٥ ولا يستبعد انه يجيئ يوم تتقارب فيه القناطر من بعضها حتى لا يبقى للنهر والملاحة ، الا منافس قليلة فيما بينها · وهذه القناطر مقامة في عصور مختلفة وبطرازات متنوعة ·

*
**

ولكن احسنها وامتنها هي القنطرة الجديدة المعروفة باسم قيصر الروس

السالف . وذلك ان المهندسين تقدموا في فن سبك الحديد ، ولذلك حاولوا كثيرًا تقليل عيون القناطر حتى لا تكون « بغالها » عقبة في طريق الملاحة ولا مجلبة للضرر والتلف في ايام الفيضان ، بسبب مقاومتها للتيار . وقد توصلوا لهذين الغرضين في هذه الايام ، بامريكا ثم باوروبا . ولكن بقيت القناطر عبارة عن اقفاص هائلة من الحديد ، لا تحتوي على شيء من محاسن العمارة والبناء ، ولا ترتاح لرؤيتها العيون . حتى جاءت هذه القنطرة جامعة بين المنفعة والجمال : اذ توفرت فيها المزايا المذكورة مع حسن المنظر وجمال المخبر ولطافة العمارة ، فانها ملقاة على النهر بلا سند ولا عمَد الا على ضفتيه مباشرة ولذلك فليس لها الا « عين » واحدة ولكنها كالعين التي تكرم من اجلها الف عين .

وهذه القنطرة عريضة جدًا (٤٠ مترًا) بحيث اصبحت تسمح بسهولة المرور من فوقها ومن تحتها . وقد تعب في صنعها المهندسون الميكانيكيون والمعاريون ولكنهما فازا فوزًا عظيماً بجعلها متناهية في الفخامة والضخامة والجلال ، مع الرشاقة واللطافة والجمال ، فجاء منظرها موافقاً لما حولها من العمائر والقصور .

نعم توصل المهندسون لاصطناعها من الحديد مع رونقته وزخرفته حتى اصبحت اعجوبة من اعاجيب المعرض ، وستبقى كذلك الى ماشاء الله . فانها والحق يقال تخلب الانظار سواء مرّ الانسان في الزوارق من تحتها او وقف عليها او ارسل اليها رائد الطرف وهو بعيد عنها . فانه يرى في هذه الحالة الاخيرة قوساً هائلاً من الحدائد ملقى على جانبي النهر بانحناء خفيف



﴿ قنطرة اسكندر الثالث ﴾

لا يكاد يذكر بالنسبة لطوله العظيم · ولذلك جاءت «طبلية» القنطرة محاذية لمستوى السكتين المتواصلتين بواسطتها · ومع ذلك فقد توصلوا

لجعل هذا الانحناء الخفيف كافياً لمرور البواخر في النهر كعادتها . فانظر الى هذه الدقة وهذا الضبط في حساب « وتصميم » المهندسين . فقد خططوا كل ذلك بالقلم الرصاص على سطح القرطاس ثم حفروا الاساس ووضعوا الجدران وسبكوا الحديد وركبوه مع بعضه فوق النهر فجاء كما وصفوا او كما رسموا من غيران يختل بشعرة واحدة . ولذلك فالمسافة بين « مفتاح عقد » القنطرة وبين سطح الماء هي ٨ امتار و٨ مليمترات في الايام المعتادة فاذا ارتفع سطح الماء في منتهى الفيضان كانت المسافة عبارة عن ٣٨ و٦ متراً .

وطول هذه القنطرة ١٠٧ امتار ونصف متر وعرضها ٤٠ متراً نصفها للطريق والنصف الثاني منقسم شطرين بين البرازيق (التروتوار) . وجسمها يتألف من ١٥ قوساً من الفولاذ في كل من الجانبين : وذلك لكي يمتنع الضرر الذي يصيب الحديد من اختلاف درجات الجو ، ولكن يتدرج الثقل فيكون منتهاه في الخفة في وسط القنطرة ومنتهاه في الشدة مرتكزاً على اطرافها المستندة على « بغال » من الصوان والجرانيت مبنية بغاية المتانة ونهاية الصلابة لتحمل ثقل القنطرة الهائل (١) حتى لقد بلغ حجم الاساسات ١٥٠٠٠ متر مربع وبلغت اكلافها وحدها مليون ونصف مليون من الفرنكات .

و « بغال » القنطرة معقودة من جانبي النهر ، فيسير من تحتها طريقان بل قبوان تمر في احدهما الآن عربات الاومنيبوس والتراموای التي تجرها الخيول او البخار او الكهرباء لان جادتها المعتادة قد دخلت في حومة المعرض

(١) بلغ ثقل الفولاذ وحده المستعمل في القنطرة ٢٤٠٠ طونولاطة

العام · ومتى انتهى هذا السوق الكبير رجعت العربات لخطتها المعتادة وبقي الطريقان تحت القنطرة لمرور الناس على الاقدام او في عربات الركوب ·

وامام القنطرة رحبتان مستديرتان ، احداهما على اليمين والاخرى على اليسار · واول ما يلاقيه الانسان على الجانبين عند اقترابه من القنطرة من الضفتين هو هرم صغير من الصوان الوردي المصقول ، فوقه اربعة مصابيح كبيرة · وهو قائم على نقطة الاتصال بين الرصيف والقنطرة ، وبعده بقليل اسد متشح بوشاح من الازهار والاثمار وبجانبه طفل صغير يلاعبه و يداعبه · وكأنه واقف لحراسة السلم الصاعد من حافة النهر الى هذه القنطرة · و بعده قصار و زهريات من المرمر الناصع ، منقوشة نقشاً بديعاً و يتلوها الصرح المائل · فتكون الصروح اربعة مثل كل الزخارف التي اشرنا اليها · وفوق هذه الصروح اربعة تماثيل كبيرة من البرونز مموهة بالذهب ، وكلها رمزية تشير الى شهرة الفنون وشهرة العلوم وشهرة الصناعة وشهرة التجارة

وهذه الصروح عبارة عن عمدان مربعة السطوح ، وزوايا الثلاثي مؤلفة بانحناء لطيف يصعد من اسفلها الى تيجانها وعند قواعدها تماثيل كبيرة من الحجر تشير الى فرنسا في عصور مجدها الاربعة ·

اما درابزونات القنطرة فهي منقسمة بكتل كبيرة من الصخور الملساء تعلوها تماثيل صغيرة من البرونز على هيئة اطفال راكبين فوق وحوش البحر · وبينهم ثريات بديعة ومصابيح انيقة من البرونز المموّه بالذهب تحيط بها اطفال تمرح وتلعب مع الاسماك او ترقص حول الانوار ، تجمعهم مع بعضهم حبال من الاغصان قد تألفت من ازهار البحار · وما اعجب منظر هذه

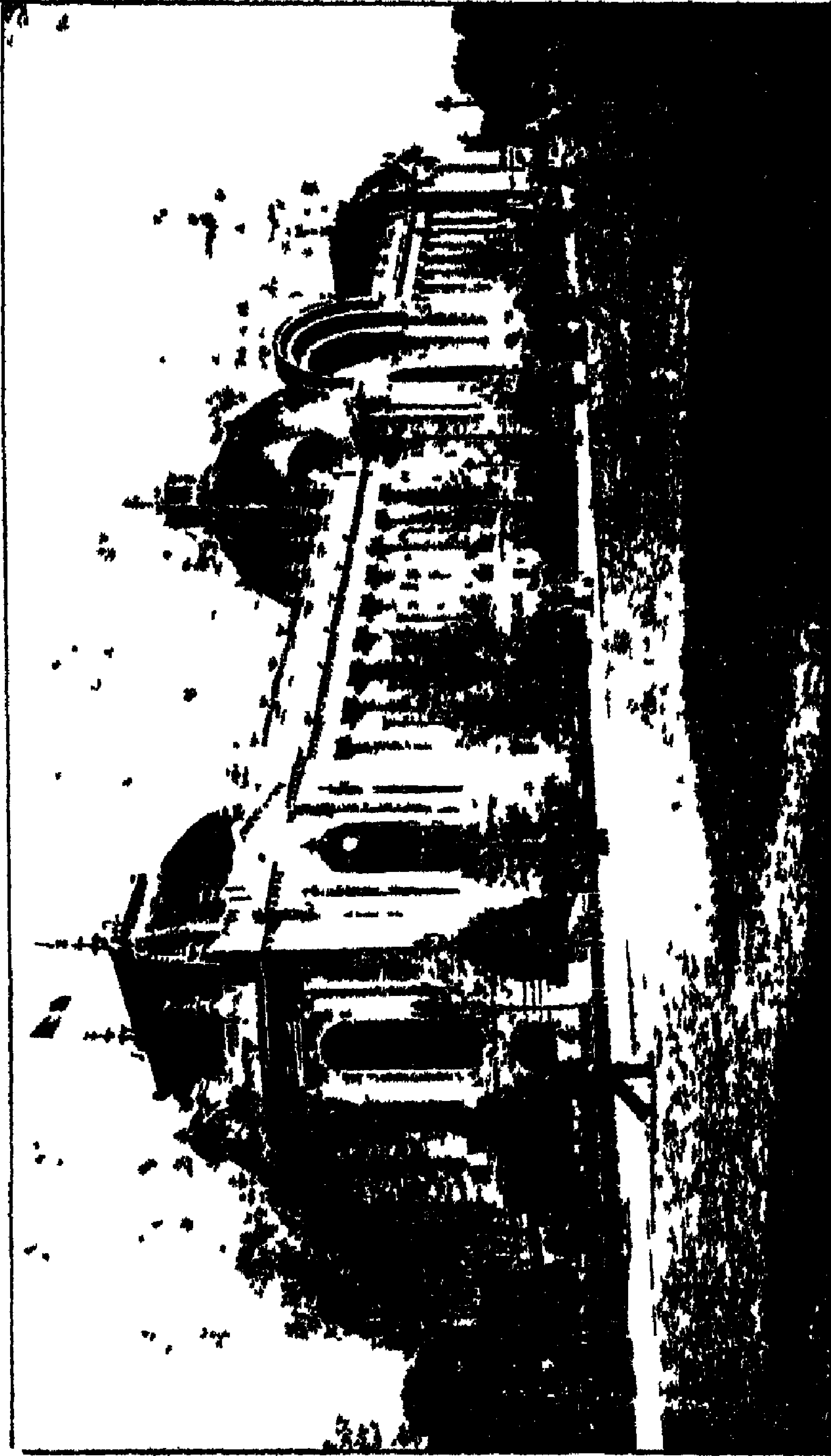
القنطرة في النهار ، فاذا اقبل الظلام كانت كشعلة من النار او مشاعل من الانوار ٠

وفي وسط القنطرة «خرطوش» مكتوب عليه هذه العبارة : قنطرة اسكندر الثالث ٠ وهذه الجملة منقوشة ايضاً على الصروح الاربعة ٠ وذلك تخليداً لاسم القيصر السابق واختاروا هذا الاسم اكراماً لابنه نقولا الثاني قيصر الروسيا الحالي اثناء زيارته لباريس على اثر التحالف الروسي الفرنساوي وكان هو الواضع للحجر الاول فيها بقدوم من الذهب الخالص في حفلة جليلة بلغت النفقة عليها ٦٤ الف فرنك ٠ وكان ذلك في ٧ اكتوبر سنة ١٨٩٦ ٠

اما القنطرة فقد بلغت أكلافها كلها ٧ مليونات فرنك منها مليون واحد لزخرفتها وزينتها ٠

استطراد

المعرض العام قائم على ضفتي نهر السين ، ويتصل جانباه بالقناطر الاصلية المستديمة وهي قنطرة الاسكندر الثالث وقنطرة الانواليد وقنطرة الألما وقنطرة يانا ٠ ولكن ضرورة المواصلات وكثرة الزحام اوجبتا انشاء ثلاث مماش وقتية على النهر لتسهيل المرور على الزائرين وكلها من الفولاذ ومبنية بغاية المتانة والاحكام ٠ فاثنتان منهما اقيمتا بجانب قنطرتي الانواليد والألما وستزولان بانتهاء المعرض اما الممشاة الثالثة فستكون



﴿ صورة القصر الصغير وفيه خلاصة المتاحف والتحف الذخائر وقد وصفناه في الجزء الماضي ﴾

مستديمة ! لانها مقامة في مكان يحتاج الى كثرة المرور والعبور . وهي فيما بين قنطرتي الالما وياناو توصل شارع المانوتانسيون Rue de la Manutention والضفة المقابلة له من النهر ، حيث فيها الآن قصر الجيوش البرية والبحرية .

الرصيف المتحرك

والقطار الكهربائي

بالنسبة لاتساع المعرض ، وجسامة مساحته ، قد افتكر القائمون بتنظيمه في الطرق التي تسهل بها المواصلات بين اجزائه واطرافه . فمن ذلك القناطر والمماشي على نهر السين ، والقناطر والمماشي المعلقة في الهواء فوق الشوارع المعتادة ، والكراسي المتحركة في نفس حومة المعرض تسير بالمقعدين من الزائرين او الذين يضنيهم التعب من الرجال والنساء او الذين بهم عاهة من الامراض او زمانة من الزمان . ثم السلالم الصاعدة بقوة الكهرباء من الادوار الارضية الى الطبقات العليا في قصور المعرض . فاما العجلات والعربات والدراجات فاستعمالها ممنوع على وجه الاطلاق .

ولكن اهم وسائط الانتقال العمومية في المعرض ، الرصيف المتحرك والقطار الكهربائي .



فاما الرصيف المتحرك

فلا ادري من ذا الذي قال من علماء الافرنج ولعله بسكال : « ان الانهار طرق سيّارة » . ولكننا قد رأينا الآن في هذا المعرض طريقاً سياراً ليس من الماء في شيء بل كله من الاخشاب يتحرك بقوة الكهرباء . وقبل ان أصف تأثري من هذا الطريق الغريب ، لا بد للقارئ من بعض البيان والتفصيل .

في الحافة القبلية من المعرض ، يرى الانسان سواري واساطين من الاخشاب يبلغ عددها ٢٦٨ قائمة بجانب بعضها ومرتبطة ببوائك (لا بواكي) من الحديد والفولاذ ترتفع عن سطح الارض ٧ أمتار ، ويتألف منها شكل رباعي زواياه منحنية ويبلغ امتداده ٣٣٧٠ متراً . وفوق هذه البوائك رصيف تسمع له جعجعة كانك بالقرب من طاحون هائل يصدق عنده المثل القائل : اسمع جعجعة ولا ارى طحنا . وهذا الرصيف يتحرك في اتجاه واحد بلا انقطاع من الصباح الى المساء : فهو حينئذٍ كالحلقة المفرغة لا يدري اين طرفاها . والكهرباء ترسل قوتها العجيبة الى اضراس تتداخل مع بَكَرات وعجلات موضوعة تحت الرصيف ، كما هو الشأن في اضراس الساعة . وعلى مناسبة ذكر الساعة اقول لك ايها القارئ العزيز ان الرصيف يدور في اتجاه يعاكس سير عقارب الساعة اعني من اليسار الى اليمين . فتنتقل الحركة من الاضراس الى البكرات فتدفع عرقا من الخشب مرتبطاً بالرصيف ، فيسير الرصيف الى الامام

على الدوام ٠

وهذا الرصيف يتألف من ثلاثة شرائط متوازية اولها ثابت وعرضه ١٩١٠ متر٠ ويبتدئ بحاجز ثابت منيع ٠ وثانيها له حركة خفيفة وعرضه ١٩٩٠ سنتيمترًا ٠ وثالثها سريع السير وعرضه متران وينتهي بحاجز حصين يتحرك معه ٠

ولكي يتمثل هذا الرصيف في نفس القارئ ارجوه ان يتصور شريط التلغراف اثناء نقله للمراسلات البرقية وانتشاره بقوة الميكانيكا من البكرة المطوى عليها ٠ او يتصور ذلك الشريط اللامتناهي الذي يخرجه « الحاوي » من فيه في الموالد والاسواق ٠ او يتصور سواقي (نواعير) كثيرة مصفوفة لا بالطريقة الرأسية المعتادة في المزارع والبساتين، بل افقية موضوعة بجانب بعضها على شكل دائرة كبيرة يحيط بها « تونس » او « طونس » عظيم فيه القواديس ، او يتصور عجلة ملقاة على الارض وتدور على محاور متعددة ٠٠ ٠ بل فليقرب من الحقيقة ويتصور قطارًا من قطارات السكة الحديدية مقلوبًا وثابتًا أي ان ظهره موضوع على الارض ، وعجلات العربات هي التي تدور وحدها بسرعة مستديمة ومنتظمة ، وفوقها شريط السكة الحديدية متعشق فيها باضراس : فهو الذي ينتقل بالحركة الآتية اليه من سير العجلات ٠فتنعكس القضية حينئذٍ (كما هو الواقع في الرصيف المتحرك) ويكون القطار ثابتًا والقضبان متحركة بالسقف المركب عليها من الخشب وتنتقل بالناس من غير ان تقف في المحطات ٠ وهذا السقف مؤلف من قطع عديدة

متداخلة متعاشقة في بعضها ومرتبطة بمفاصل كثيرة ، بحيث لا تفترق عن بعضها و بحيث يسهل عليها الالتواء في الزوايا والمنحنيات · وهذا القطار مزدوج ، نصفه يسير بسرعة خفيفة جدًّا تجعل الطفل الصغير والشيخ الفاني يتمكنان بغاية السهولة من الوثوب عليه ، بل من الانتقال اليه من الرصيف الثابت المعتاد · وذلك الانتقال ايسر من ركوب الانسان في عربة الترامواي الكهربائي حينما تبتدي في حركتها بغاية البطء · ومع ذلك فقد وضعوا فيه أعمدة قصيرة من الخشب ، على رأس كل واحد منها كرة حمراء يستعين الخائفون بها فتمتنع عنهم الكلفة في الركوب ، وتزول المشقة على الاطلاق · وكذلك الحال في النزول بالتمام · وهذا الرصيف يسير ببطء زائد كالقطار « القشاش » · واما النصف الثاني فهو ملاصق له وفيه أعمدة أخرى مثله ويسير بسرعة مضاعفة كأنه « الاكسبريس » يستخدمه المستعجلون · والرصيف الاول يجري بسرعة ٤ كيلومترات في الساعة والثاني يقطع في سيره ٨ كيلومترات في الساعة · وبهذه المثابة ينتقل الانسان من الثابت الى « القشاش » الى « الاكسبريس » على معدلٍ واحدٍ من السرعة · فانه في الحالة الاولى يكون بنسبة صفر الى اربعة ، وفي الحالة الثانية بنسبة ٤ الى ٨ فلا يشعر بادني مشقة في الحالتين · وحينئذٍ فمتى كان على الرصيف المتحرك الاول فايسر ما يكون انتقاله الى الرصيف الثاني كما انتقل من الرصيف الثابت الى الرصيف الذي يسير بقوة ٤ كيلومترات

وفي اقل من لمح البصر، ينتقل الانسان من الرصيف الثابت الى الاو ل

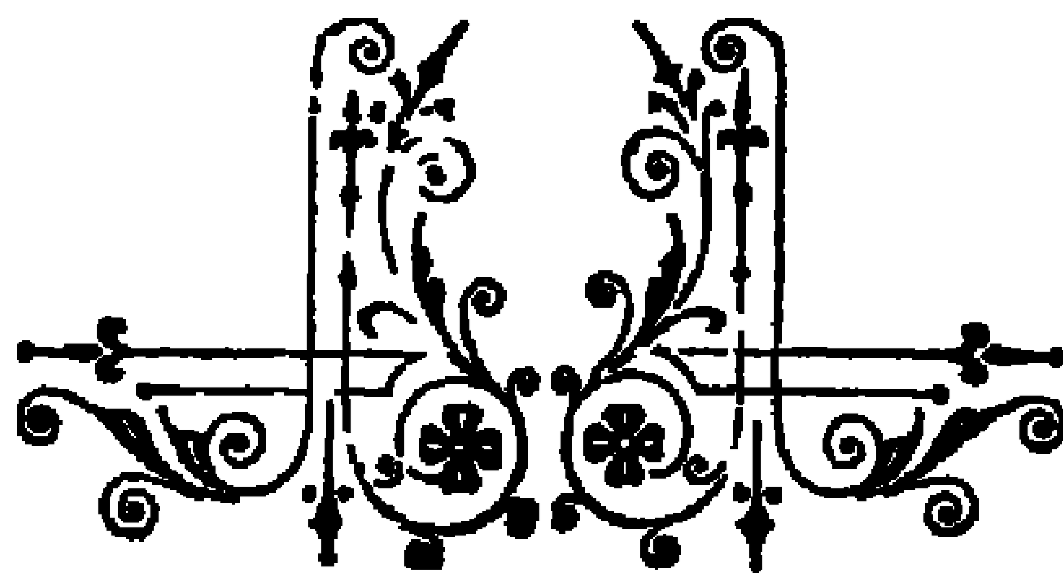
فالثاني . فيجد نفسه في قطار يجري به بسرعة ٨ كيلومترات . وفائدة هـذا القطار المتواصل المتوالي (لانه قطار حقيقي) انه لا يقف في « المحطات » ولا يرسل الشرار ولا قمامات الفحم الى عيون الراكبين . فيتسنى لهم التمتع باستنشاق الهواء ورؤية ما حولهم من المناظر التي تمتد على بعد ٣ كيلومترات . حتى اذا راقهم احدها انتقلوا بالتدريج او بوثبة واحدة الى الرصيف الثابت . ولبثوا ما شاؤوا في مكانهم أو تطيب لهم موالاة السير مع احد الرصيفين المتحركين .

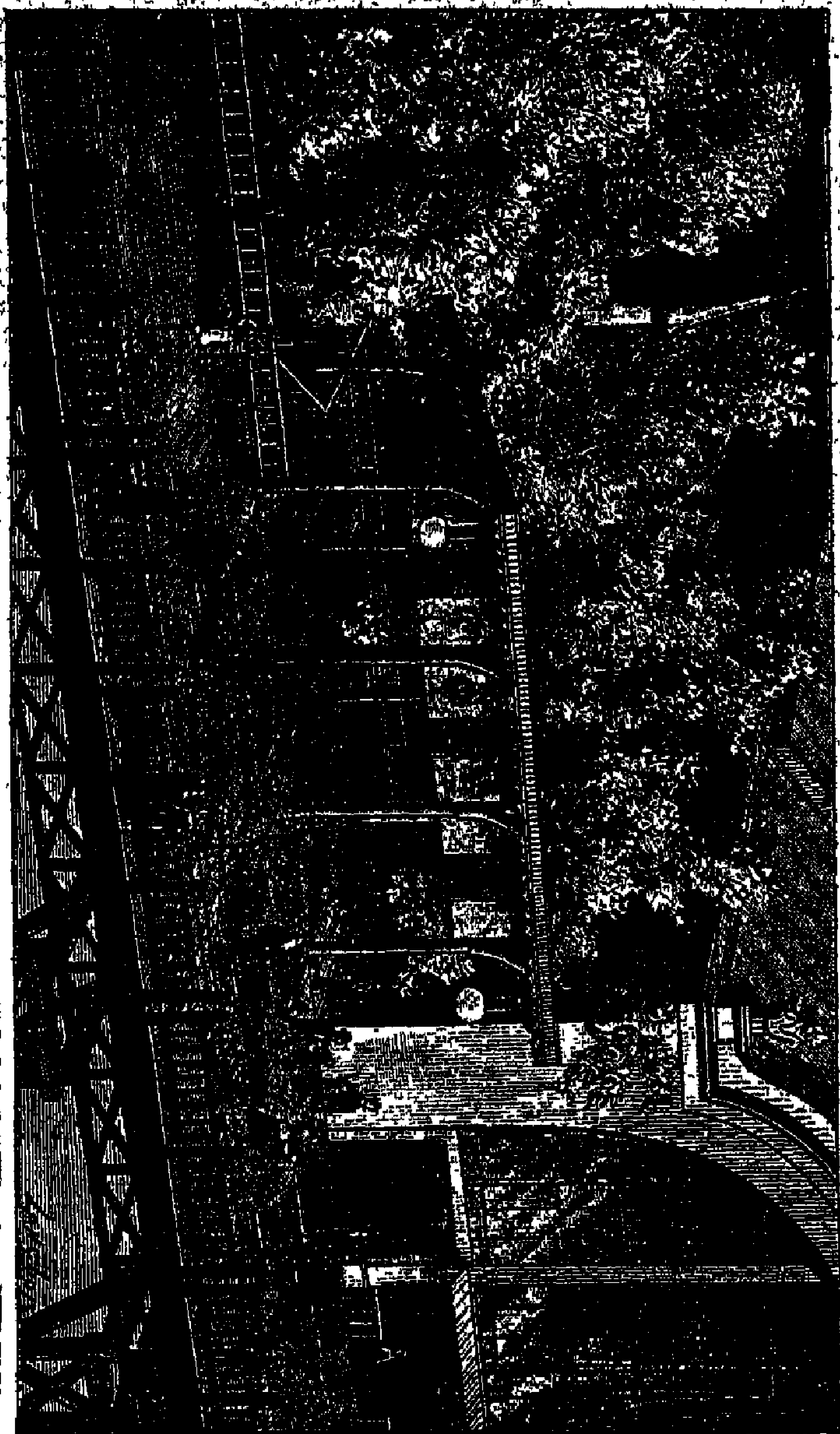
اما السر في مسير الرصيفين بحركتين مختلفتين مع ان القوة الكهربائية واحدة فيها ، فهو مثل حركة عقربي الساعة اللذين يدوران بقوة ميكانيكية واحدة ، واحدهما يقطع محيط الساعة في ساعة واحدة و يدل على الدقائق والثاني يقطعها في ١٢ ساعة و يدل على الساعات . ولزيادة الايضاح اقول ان كلاً من الرصيفين مركب على عجلات صغيرة متوالية تجري على قضيبين متوازيين من الحديد ، مثل التي تجري عليها « الوابورات » . وهذان القضيبان مركبان كما ذكرنا على السوارى والعمدان . وفي بعض هذه العمدان يظهر تأثير الكهرباء فينتقل الى البكرات الموضوعة تحت الرصيفين فيتحركان كما يدير الحبـل على بكرة البئر . ودائرة البكرات التي تحت الرصيف الاول تعادل ضعف التي يتحرك بها الرصيف الثاني . ولذلك تكون حركته ضعف حركة الرصيف الاول بالتمام .

وقد حسبوا عدد الذين يمكن انتقالهم بهذا الرصيف ، وهذا بيانه على وجه التقريب :

اذا فرضنا ان الرصيف البطيء الحركة لا يُستخدم الا لانتقال الناس الى السريع الذي يبلغ عرضه متران في طول ٣٣٧٠ مترًا فيكون مسطحه وحده عبارة عن ٦٧٠٠ متر مربع · ومن المقرر على وجه العموم ان المتر المربع الواحد يسع ٤ اشخاص واقفين بجانب بعضهم بتمام الراحة · فاذا فرضنا ان المتر الواحد يقف فيه شخصان فقط فحينئذ يسع الرصيف السريع ٦٧٠٠ × ٢ = ١٣٤٠٠ شخص في آن واحد · وحيث انه يتم دورته في ٢٥ دقيقة وهو يشتغل مدة ١٥ ساعة فهو ينقل في اليوم الواحد ١٣٤٠٠ × ٣٦ أي ٤٨٢٠٠٠ فاذا تحقق ذلك فلا ينتهي المعرض حتى يكون الرصيف السريع قد نقل من الخلائق ٤٨٢٠٠٠ × ٢٠٠ أي اكثر من سنة وتسعين مليونا من خلق الله

ويبلغ ثقل الفولاذ المستعمل في البوائك ١٥٠٠ طونولاطة ووزن الاحبال النحاسية الكهربائية ٥٠٠٠٠ كيلوجرام · وهنالك ١٧٣ محركا كهربائيًا لتوليد الحركة في هذا الشريط الطويل ·





﴿ الرصيف المتحرك ﴾

﴿ شرح الصورة ﴾

اول سطر   صورة قمم الاساطين والبوائك

ثاني سطر   الرصيف السريع الحركة بدرابزون وفيه رجل ثم آخر وزوجته ثم رجل ثالث

ثالث سطر   الرصيف البطيء وفيه امرأة ثم رجل آخر يتلوه ثالث في حالة الانتقال للرصيف السريع

رابع سطر   الرصيف الثابت وعليه ثلاثة رجال ثم رابعهم وهو يحاول الانتقال الى الرصيف البطيء . ثم امرأة تجتهد ايضاً في الركوب على الرصيف الاول .

وخلف ذلك كله المحطة بقبابها العالية وفيها مصباحان كهربائيان وخلفها الاشجار ووراءها منارة قصر السويد .

*
* *

للرصيف المتحرك تسع محطات . فاخترت احداها وصعدت على السلم بعد ان دفعت الاجرة وقدرها نصف فرنك اي ٢٠ مليماً . فدخلت المحطة وهي عبارة عن تجويف واسع في الرصيف الثابت . ووقفت اتأمل في حركة الرصيفين وفي مسيرهما بالناس . ثم تقدمت الى الرصيف « القشاش » ووضعت يدي على كرة حمراء فوق احد العمدان الثابتة على الرصيف المتحرك بحركة خفيفة ثم تعوذت من الشيطان وذكرت الاسم الاعظم ووضعت قدمي اليسرى على الشريط ورفعت الاخرى في الهواء فوجدتني محمولاً على ظهر الرصيف . فكانني (بلا تشبيه ولا تلميح) سليمان فوق بساط الريح . واذ لم أشعر بمشقة ولا ارتجاج ، انتقلت الى « الاكسبريس » فاحسست بالتدريج اللطيف في الانتقال من ٠ الى ٤ ومن ٤ الى ٨ . ولكنني داخلني الغرور (خصوصاً بعد التشبه بالذي سخرت له الرياح ، وخضعت له الجان والارواح) فاردت ان اضاعف السرعة ايضاً . فصرت امشي خبباً على الشريط وهو يوالي سرعتهُ بانتظام . فكنت كالسائر فوق عربة الوابور او على سطح الباخرة اثناء سيرها الشديد (١) . فتضاعفت قوة مسيري مضاعفة غريبة حتي أصبحت (ولا فخر) من « اهل الخطوة » فغبطت نفسي على هذه الحظوة . وتذكرت قول شاعر العرب :

ملك الملوك اذا وهب   لا تسألنّ عن السبب

(١) سوى ان السير عليهما ينتهي و يضطر الانسان للنكوص على اعقابهِ واما السائر على الشريط المتحرك فلا ينتهي مداه بل يمكنهُ الاستمرار الى ماشاء الله

ولما تحققت أنني أضحيت من الذين « لا خوف عليهم ولا هم يحزنون » سرت مسرعاً على الشريط السريع في عكس اتجاهه . لانني (في هذه الحالة) انفت السير من الشمال الى اليمين ولكنني كنت ثابتاً لا اتحرك من مكاني فانني كلما رفعت قدماً سار بي الشريط فاذا وضعته واتجهت الى الامام كان الشريط يعاندني ويتجه الى الخلف . فبقيت معه في خلف مستديم : انا أعدو الى الامام وهو يوالي سيره الى الوراء ، بلا مبالاة بي . فكانت القوتان تتكافئان . والحركتان تتعادلان ، والنتيجة أنني أبقى ثابتاً في مكاني لانه مستمر على المروب من تحت اقدامي . فكنت حينئذ كالسرطان في البحر وفي النهر : يمشي دائماً الى الخلف . بل كنت كالنائم تولاه الكابوس وناله الفزع والفرَق ، من مثل الحرق او الغرق . فهو يريد ان يسرع في العدو والنجاة ، وتخونه رجلاه ، وتغدره قواه . فيبقى في مكانه ويزداد خوفاً واضطراباً ، بمناسبة مضاعفة الخطر ودوام اقترابه : حتى يمنّ الله عليه بالخلاص من شؤم هذه الرؤيا ، كما حصل لي حينما اعتدلت في اتجاه الشريط السريع .

ثم انتقلت الى الخفيف الحركة فالثابت . وصرت حينئذٍ اخالف في الوثوب والانتقال من الواحد الى الآخر . وكانت مناظر المعرض تتجلى منتشرة امامي في ابهى حلاها . حتى اذا خرج بنا الرصيف عن جهة المعرض ، رأيت نفسي محاذياً للدور الاول من الدور والمساكن .

وحينئذٍ اشفقت على السكان ، فانهم معرضون على الدوام ،

لنظرات الخاص والعام ، والقريب والغريب ، من الملايين المتوافدين على المعرض ، من اقطاب الارض واقطارها . لا جرم انهم لا يستطيعون اقفال النوافذ ، ولا إبقاءها مفتوحة . ففي الحالة الاولى ، يكونون محرومين من الهواء ؛ وفي الثانيـة ، يكونون معرضين للانظار ، وخصوصـاً لآلات الفوتوغراف . فان اصحابها يتمكنون بغاية السهولة ، من استراق حركاتهم واحوالهم ، وهم لا يشعرون . نعم ان سكان تلك الدور ، يمكنهم ان يلبثوا في مكانهم ، ويرون حينئذٍ اهل الارض قاطبة بازيائهم والوانهم ولغاتهم ، يمرون امامهم كما تمر الجنود امام الملوك ، ايام الاستعراض العام . ومن جهة أخرى بأخذ صورة هؤلاء المصورين ، اذا المتهم صناعتهم عن حركة الرصيف ، فوقعوا عليه مضطربين متخبلين في الآتهم . ولكن لا بد للسكان من انتظار هذه الفرصة التي تختل فيها موازنة المصورين . وهيهات ان تقع ! وهيهات ان يقعوا ! ولذلك انتقل كثير من سكان تلك الادوار على نية الرجوع اليها بعد انتهاء المعرض .

اما انا . فجلست على قهوة في الرصيف الثابت ، ليكون لي حظ من مشاهدة الخلائق تمر امامي كما مررت أنا امام غيري . فرأيتهم يمرون سراعاً تباعاً ، افراداً وازواجاً ، نساء ورجالاً ، كباراً واطفالاً : كأنهم اشباح مرسومة على ستارة خيال الظل . وكانت الناس تمر امامي كأني اراهم في المنام ، او كأنهم مسوقون بيد القدرة « ـ نعم . القدرة الكهربائية » الى يوم المحشر الاكبر ، بل الى حومة المعرض العام .

ومن اهم واغرب ما رأيته موكب العروس فوق الرصيف المتحرك وبيان ذلك :

ان القوم يتهافتون على هذا النوع من الانتقال ، ولهم به ولوع وغرام ، لا يكاد يخطر على البال . وهم يتفننون في ركوب الرصيف والسير والرقص عليه بكيفيات تعادله في الغرابة . ولكن الذي فاق الكل هو موكب العروس في جلوتها . فانها ركبت بملابسها الناصعة البياض مع عريسها متشحاً بالسواد واهلها واصهارها ومعازيمها والمهندارية وغيرهم من الاتباع ولوازمه « الزفة » والاحتفال . وأتم هذا الجمع الغريب اللطيف ، الدورة مع الرصيف ، وهم مصطفون عليه صفوفاً متوالية متقابلة . واخذوا يتناولون الطعام ، و يتعاطون المدام ، و يتبادلون اقداح الراح ، في حظ وانشراح وغناء وهتاف . والناس بجانبهم وامامهم وقبلهم و بعدهم ، يضاعفون لهم ولانفسهم موجبات الفرح والسرور . فهكذا والا فلا .

القطار الكهربائي

اعلم ان القطار الكهربي يشابه عربات الترمواي في القاهرة . غير انه يسير بسرعة عظيمة مستمرة لان طريقه محصورة وخاص به وهو لا يقف الا في خمس محطات معينة فقط . وهنالك فارق آخر وهو ان التيار الكهربائي لا يجيئه باسلاك معلقة في الهواء ، بحيث يجعل الشوارع اشبه بالاقفاص . بل هو يسير بموازاة القطار او بين الشريطين متولداً

في شريط ثالث ، يلامسه على الدوام جهاز حكاك بارز من العربة فيأخذ منه ما يلزمه من قوة الكهرباء . وهذا القطار يسير تارة بموازاة الرصيف المتحرك وتارة اسفل منه . ويكون في كثير من الاحيان تحته بالتمام . وسرعة هذا القطار اكثر من الترامواي الكهربائي بكثير :

اولاً لشدة التيار وزيادة قوته .

وثانياً — لان طريقه خال من العوائق الطارئة بسبب مرور الناس والعربات .

وثالثاً — لعدم اضطراره للوقوف لاجل النزول او الركوب — اللهم الا في المحطات المعينة .

ومعدل سرعته في الساعة الواحدة ١٧ كيلومتر وابتعاد الشريطين عن بعضهما متر واحد . ون مميزاته ايضاً عدم وجود الآلة البخارية تضايق الراكبين بصفيرها وسعيرها . وهو يسير بعكس اتجاه الرصيف المتحرك اي انه يتبع في سيره حركة عقارب الساعة اعني من اليمين الى اليسار . وأجرة الركوب فيه قرش صاغ واحد .

ويمكن ان يجري في الساعة الواحدة ٤٠ قطاراً تجري وراء بعضها كما هو حاصل في ايام الزحام ، وخصوصاً الآحاد والاعياد . وطول هذا الخط الكهربائي ٣٫٢٦٥ متراً . وعدد عرباته التي تتولد فيها الحركة ١٠ قوة الواحدة منها ٣٦ حصاناً . وعدد عرباته المعدة للقطر والانجرار يه ١٨ . والعربة من النوع الاول تسع ٨٠ شخصاً ، منهم ٤٦ قعوداً . والعربة من النوع الثاني تسع ٦٠ شخصاً ، نصفهم وقوفاً . وكل قطار

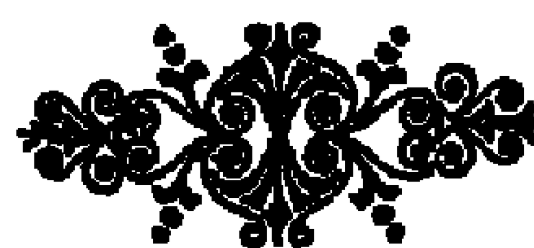
يتألف من ثلاث عربات ، اولاها تتولد فيها الحركة الكهربائية . فهو يسع حينئذٍ ٨٠ + ٦٠ + ٦٠ = ٢٠٠ راكباً وحينئذٍ فهذه السكة الكهربائية يمكنها ان تنقل في الساعة الواحدة في ايام الزحام ٨٫٠٠٠ شخص لانها تستعمل ٤٠ قطاراً تجري وراء بعضها . وحيث ان مدة مسير القطارات هي ١٥ ساعة في كل يوم فيمكنها ان تنقل في اليوم الواحد ١٢٠٫٠٠٠ شخص . فاذا صرفنا النظر عن ثلث هذا العدد ، وضربنا الباقي في عدد ايام المعرض لكانت النتيجة هكذا :

٨٠٫٠٠٠ × ٢٠٠ = ١٦٫٠٠٠٫٠٠٠

اي انه ينقل في مائتي يوم ستة عشر مليونا من النفوس بالاقل .

واعلم ان الرصيف المتحرك والسكة الكهربائية هما لشركة واحدة رأس مالها ٤ مليون من الفرنكات . والقريب من اليقين انها ترجع بصفقة المغبون .

وقد ركبت هذا القطار ، فأخذني الدوار . وكنت حينما يمر بموازاة الرصيف المتحرك ، أنظر اليه فاخاله ثابتاً والناس عليه واقفون وما ذلك الا لشدة سرعة القطار بالنسبة لحركة الرصيف . وقد أتم دورته واوصلني الى مكاني الاول في ١٢ دقيقة ، بما في ذلك مدة الوقوف في المحطات .



ذرة

من عجائب الكهرباء والميكانيكا

في المعرض

هذه القوة العجيبة هي روح المعرض · وقد ظهرت بها خوارق العادات ومنتهى المعجزات · فلا يكاد الباحث يجد من الوقت او الورق او العقل ما يكفي لوصف او معرفة ما أبداه الانسان بواسطتها ، من خبايا المكنونات ، وغرائب الاعمال : فهي طلسم الطلاسم وسر الاسرار ، يسخرها العقل في الاتيان بما لم يكن يحلم به الاولون ، حتى اهل الخرافات والاقاصيص · وسنصف ما وصل اليه علمنا وبحثنا فيما يجيء من الرسائل بقدر المستطاع ، وإلا فالاحاطة أمر يعجز عنه البشر اجمعون ، كما انهم لم يقفوا الى اليوم على حقيقة هذا السر الغامض ·

فهذه الكهرباء في المعرض قد سحرتنا وادهشتنا ، ثم علمتنا وافادتنا بما لم يكن يخطر على قلب بشر · وفوق ذلك اطعمتنا وجددت قوانا ، بعد ان انهكها طول التسيار في فسيح المعرض ، الذي هو عبارة عن مختصر الاكوان وحقق الاسم الذي اخترناه « الدنيا في باريس » ويصح لنا ايضاً ان نسميه « بالعالم الصغير » تشبها بساداتنا الصوفية في تعريف الانسان ·

نعم أتاح لنا الحظ ان نتمتع في المعرض بالمآكل الكهربائية · فلعنة الله على الضفدعة ويومها ؛ ولكن يجب علينا ان نذكر قوله تعالى ان الحسنات يذهبن السيئات فهي اصل اكتشاف الكهرباء كما هو

معلوم ، فلا ينبغي لنا بعد هضمها الا ان نذكرها الآن ، بالرحمة وطلب الغفران .

شوربة بالكهرباء سمك بالكهرباء خضار بالكهرباء يخني بالكهرباء بفتيك بالكهرباء فطورات بالكهرباء حلويات بالكهرباء الخ الخ

لا يظن القارىء ان هذه الاصناف ضنعتها الكهرباء ، بواسطة آلة ميكانيكية طاهية . فان القوم لم يتوصلوا الى اليوم لتحقيق هذه الأمنية ، وان كانوا قد اصبحوا يستخدمون الآلات بدل الانسان في معظم الأعمال . حتي لقد رأيت في المعرض وخصوصاً في مصنوعات كندا والولايات المتحدة والمانيا ، آلات تصنع الأحذية « الجزم » . وكان اختراع هذه الماكينات لبيت تجاري كبير في غربي امريكا يبلغ عدد العملة فيه ٦٠٠ (ستمائة) نفس . والاغرب ان هذا الجيش الجرار لا يشتغل الاّ بمراقبة الآلات ونظام سيرها وحركة ادارتها ، كما هو الشأن في وابورات الري والطحين والحليج وما شابهها . فجميع الجزم فيه مما تصنعه الآلات ولذلك صار ثمنها زهيداً جداً في كندا وفي الاقاليم الغربية من جمهورية امريكا العظيمة . وقد رأيت هذه الآلات في سيرها العجيب وكيفية انتهاء عمل الجزمة فيها على شكل بديع أنيق ، وعلمت ان الجزمة لا تتم في ذلك المعمل المستعجل ، الاّ بعد ان تمر بين ايدي ١٦٠ عاملاً ومع ذلك فلا يستغرق كمال صنعها ، سوى ٢٩ دقيقة ونصف دقيقة اي اقل من نصف ساعة .

واليك التفصيل : دقيقة واحدة ونصف لتفصيل الجلد — ٨ دقائق

لخياطته — ٨ دقائق ونصف لوضعه في القالب — ٩ دقائق ونصف لعمل النعل — و ٩ دقائق ونصف ايضاً لوضع العرى والعيون والازرار والقياطين « والتشطيب » على اصطلاح اهل الحرف والصنائع ·

ويبلغ ما يتم صنعه في هذا المعمل الف حذاء في اليوم الواحد

وقد رأيت ايضاً آلات اخرى لمسح الجزم وتنظيفها وتمويهها بالالوان · فمتى يتاح للازبكية ان تزدان بالعدد الكثير منها حتى نستريح من البرابرة والحاحهم والحافهم ؟ فان الانسان يضع في فوهة في اعلاها قطعة من النقود تساوي ٤ مليمات تقريباً · فاذا كانت زائفة اعادتها الآلة بغاية الادب ، وابرزت أمامه كلمة « ولك الشكر » واذا كانت معتبرة صحيحة حفظتها لصاحبها بغاية الأمانة ثم تفتح امام الطالب جملة عيون يضع فيها رجله على التوالي · فتمرّ عليها فرش متعددة متنوعة : لازالة الوحل والغبار ، ولضربها « بالبوية » المطلوبة ، ثم تحفيفها وتلميعها · وهكذا الحال في الرجل الاخرى · وبعد تمام العملية تظهر صفيحة معلنة بالختام : « ولك الشكر يا مولاى ! » ·

اما الآلات الطاهية بنفسها ، فلم يتوفق القوم لايجادها الآن · وحينئذ فليطمئن الطهاة على مراكزهم امام النار — ولكن الى حين ، حتى تتحد الميكانيكا والكهرباء على اراحتنا منهم الى ما شاء الله · ولا شك ان الامل سيتحقق قريباً ، فان اهل التفنن والاختراع لا يزال يدفعهم ما يلاقيه الناس من سماجة الطباخين ومعاكساتهم الى مواصلة الليل بالنهار ، للحصول على الآلة التي

يدخلون الارنب حياً في احد اطرافها ، ويخرجونه من الطرف الآخر طعاماً شهياً للآكلين ، وبجانبة قبعة (برنيطة) رسمية تسر الناظرين والمتقبعين .

كيف لا وقد صنعوا الاطيار ، تحاكي عرائس الاشجار في القفز والتغريد . أَوَلم يتوصلوا من زمان مديد لاختراع آلة لضرب الاعداد ، مهما كثرت فيها الارقام ، أو تنوعت الكسور الاعتيادية والاعشارية ؟ ولكن هذه الآلة التي كانت موضع العجب والاستغراب ، قد اصبحت من الامور البسيطة التافهة ، بجانب الآلة الجديدة التي اخترعها لحل المعادلات الجبرية رجل من علماء امريكا اسمه ج . ب . جرانت (G.B.Grant) من اهل مدينة بوستُن . ولا يخفى على من يتعاطون العلوم الرياضية صعوبة حل المعادلات وطول الوقت الذي تستغرقه ، وأُلوف الارقام التي تستوجبها . ولذلك تلقاها العلماء بالتبجيل والتهليل ، والتبريك والترحيب : لانها توفر عليهم الوقت الطويل والعناء الكثير ، وتضبط حساباتهم بالتدقيق .

وليس في المعرض كله سوى مطبخ كهربائي واحد ، كائن على ضفة نهر السين تحت القصر الخاص بدولة اسپانيا . وربما كان لاجدادنا الاندلسيين (رحمهم الله) قسطاً وافراً من الاسباب التي دعت الى وجوده . فقد احتوى هذا القصر على نفائس وذخائر ، ليس لها قيمة تقف عندها . ولذلك حظروا استعمال النار وزيت الحجر (البترول) وغاز الاستصباح في الدور الارضي تلافياً لاخطار الحريق وزيادة في الحرص على هذه الكنوز التي لا نظير لها على وجه الارض : فمن ضمنها قباء ابي عبد الله ، آخر سلاطين بني الاحمر بآخر معقل للمسلمين في الاندلس : غرناطة . ومن ضمنها ايضاً اسلحة السلطان

المذكور، وجرابين كان يضع فيهما نسختين جليلتين من الكتاب الكريم . وهي آيات من محاسن الصناعة العربية الاندلسية ، لا تزال ولن تزال شاهدة بفضل هذه الامة المجيدة التي اخنى عليها الزمان . وفي القصر المذكور ايضاً عمامة حربية من النحاس المحلي بالفضة ، كان يضعها امير البحر الجزائري المعروف بخير الدين المشهور عند الافرنج بربروس (ذي اللحية الشقراء) فيعرفه الافرنج في البحار ، و يتعلقون باذيال الفرار ، ولكنه كان يتصيدهم كما يتصيد القط الفار .

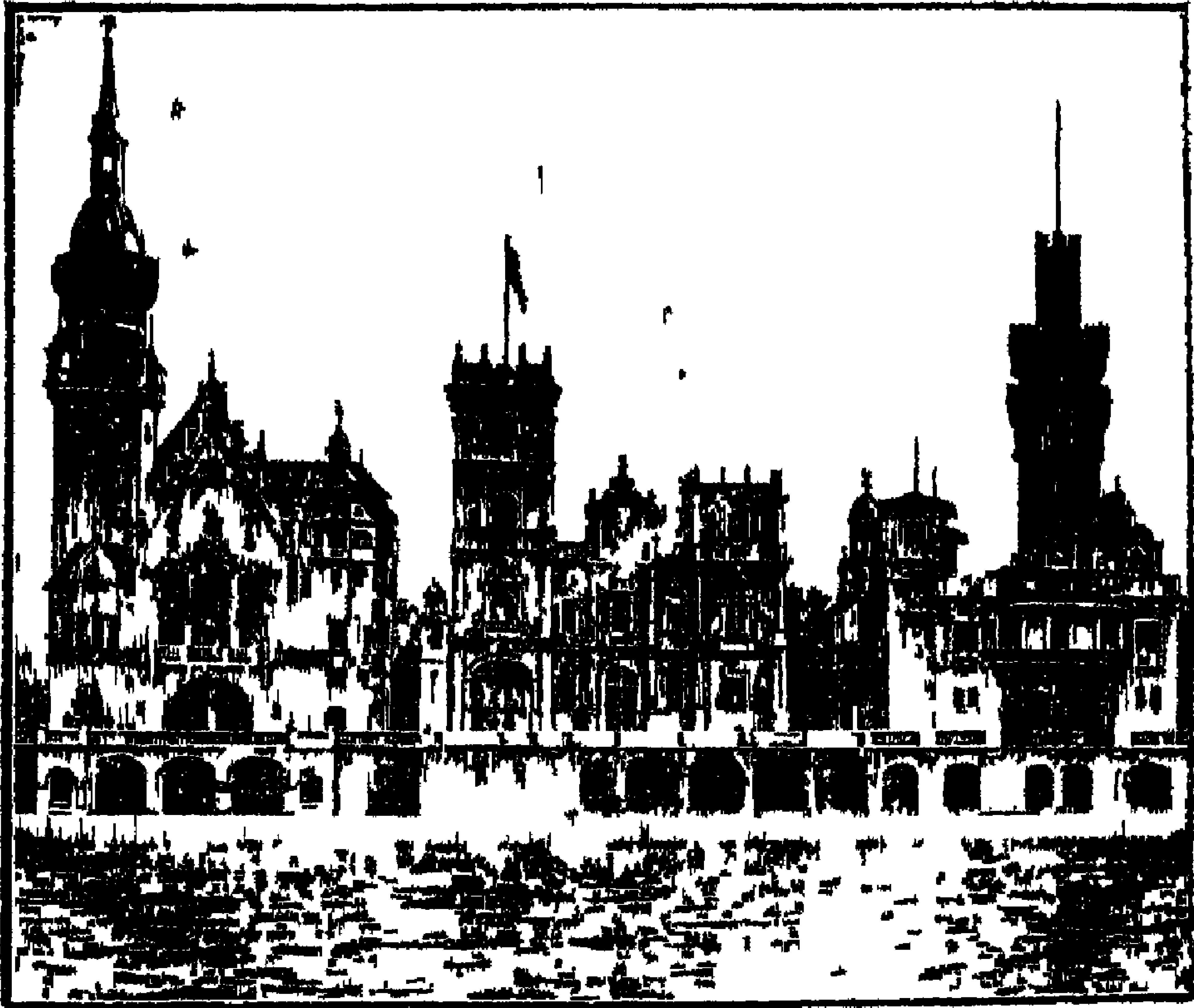
غير ان هذا المنع لم تنثن امامه عزيمة المالكين لطلسم الكهرباء ، فعرضوا على الحكومة الاسبانية ان تأذن لهم في استعمال الوقود الكهربائي ، فارتاحت وأباحت ، لعدم تولد الدخان والرماد والروائح الكريهة التي تنشأ عن مواد الحريق المعتادة ، وايضاً لامتناع خطر الحريق على الخصوص .

وهذا المطعم يمكن ان يأكل فيه ٦٠٠ انسان في كل يوم . وقد بلغ عدد الذين ترددوا عليه من يوم افتتاحه في ٢٤ ابريل الى يوم ١٠ يونيو الماضي ٢٢٠٠ نفس . وحسبوا مقدار ثمن الوقود عن كل اكلة كاملة فاذا هو قرش صاغ واحد فقط ، وهو بلا شك ثمن زهيد .

وكيفية تهيئة الالوان بالكهرباء ان تيارها يمر على مواد كثيرة الصلابة شديدة المقاومة ، فتسخن ، ثم تحمي ، ثم تصهر حتى تصل الى درجة الاحمرار والاشتعال . وحينئذ تتولد منها حرارة شديدة جداً . وهذه المواد مركبة من البارود المعدني الموصل للحرارة مختلطاً باجسام خزفية لا توصلها . وهي مصنوعة على شكل اساطين دقيقه او قضبان جزئية او صفائح صغيرة ونحو ذلك .

وفي هذا المطعم وجاق كبير طوله متران وعرضه ١٠ و١ متر فيه ثمانية كوانين (مواقد) . ويمكن ان تصل درجة الحرارة فيه الى ٢٠٠ و١ . وهناك ايضاً مقلاتان كبيرتان وفرنان تختلف درجة الحرارة فيهما نظراً لاحتياجات الطهاة . وفيه حوض كبير لتسخين الماء يسع ٣٠ لتراً . وآخر مثله في في الاتساع لاجل اصناف الخضار . وفيه فوهتان صغيرتان لعمل القهوة والشكولاته والشاي .

ويقول العارفون ان مصاريف الكهرباء في هذا المطبخ لا تزيد عن اثمان الوقود بالانواع الاخرى في بقية المطاعم في المعرض .



موناكو | رومانيا | اسبانيا | المانيا

(صورة بعض قصور الدول الاجنبية وسيرد الكلام عليها في شارع الامم)

ليالي

الزينة والوقود

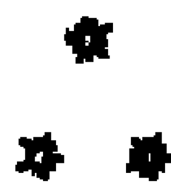
بعد ان فرغ الانتظار ، في انتظام الانوار ، تجلت الكهرباء ، بين كتائب الظلماء ، فخجلت كواكب السماء ، مما رأينا من بهاء السناء . فمن دا الذي يتاح له وصف هاتيك المشاهد ، او التعبير عما خالج الضمير ، امام هذه المناظر ؟

العين ترى عجباً ، والقلب يزدهي طرباً ، واللسان يتلعثم عيًّا والبنان يضطرب عجزًا ، والعقل يندهش ، والفكر يحار ، والانسان كله انذهال في انذهال .

فلو بعث اسماعيل ، لوادي النيل ، وعاد السعد لخدمته ، والمجد لدولته ، فازدانت له القاهرة بالانوار والاضواء ، وخفقت على رواصيها رايات العظمة والكبرياء ، وتجلت باجمل مجاليها ، في احلى لياليها ؛ ما كانت امام العيون ، الا كالنقطة في النون ، بل جزء من مليون ، مما حارت فيه الانظار والافهام ، حينما انتظمت الزينة في هذا المعرض العام .

بل تصور بغداد ، وما كانت عليه بغداد ، في ايام بني العباس ، وخصوصاً واسطة عقدهم الفريد ، هارون الرشيد . وافرض ان الشرق صافاه الزمان ، فرجعت له سطوته وبهجته واعاد الله دوره كما هي سنته فاحتفلت امه في دار السلام ، بهذا العصر الجديد ، وهذا اليوم السعيد ، احتفالاً لا يعادله احتفال ولا يكاد يخطر على البال . فتانقت في الاختراع ، وتفننت في الابداع ، وكان لها مظهر اكبر ، ومنظر افخر ، يفوقان هواجس النفس واضغاث الاحلام .

ثم ضاعف هذا المنظر الموهوم ، مئات وآلاف من المرات ، ثم كرر النظر بعين الخيال وضاعفه ايضاً الى ما شاء الله : تتكوّن امام بصيرتك صورة طفيفة ، من منظر المعرض في ليالي الانوار ·



الكهرباء — تتدفق كأنها سيول من الانوار ، في المجاري والانهار ، في المسالك والشوارع ، بين المباني وفوق الاشجار ، على صفحات الماء ، وفي كبد السماء · فتتعدد الاشباح ، في المجيء الرواح ·

ازدانت نحور القصور ، بقلائد من النور ؛ واشرقت القباب والابواب ، وتمايست المآذن والانصاب ؛ واشتعلت المنائر في كبد الفضاء ؛ واحترقت القناطر على وجه الماء : وكل ذلك نور في نور ، بل نور على نور ·

كنت في النهار أرى الفساقي والنوافير · والمساقط والبحرات ، والجداول والانهار ، يتلاعب فيها الماء ، بين أبسطة الاعشاب وخمائل الازهار : فاذا هي كلها الآن نار في نار · فيالله من الكهرباء ، جمعت بين الاضداد ووفقت الاعداء

وقفت على قنطرة ، بين نيران مستعرة ، فاذا بضفتي النهر ، اسلاك متوازية من النضار ، بل سلاسل متوالية من الضياء · وكلها تتماكس وتتلاعب على صفحات الماء ، فيتضاعف البهاء بلا انتهاء ، ويمسي النهر عبارة عن تيار من النار ، يراه الانسان فيداخله الفَرَق والانبهار · حتى كأن زوارق البخار قد اعتراها ما اعتراها ·· افت واختفت وخفت صفيرها ونعيرها : فلست تبصر

لها ظلاً ، ولست تسمع لها ركزًا !!! وكنت اينما ارسلت الانظار . ارى النار تلتهم النور والنور يلتحم بالنار . ونظرت فوق الصروح والبروج ، فاذا الاعلام والبنود ، تموز كلها بالنور ، بلا خفقان في متألق الفضاء .

كانت المنارات تدور بالنور ، وترسله كتائب كتائب تسطو على اقاصي الآفاق ، وسهاما نافذة في كبد الظلماء . شعاعها يتحرك بسرعة فائقة فيضيء الاعالي بالتوالي . ثم يغرب عن بعضها فيتولاها الظلام ، فيتخيل الناظر انه في منام . مررت بطرقات كثيرة واخصها شارع التفريح (Rue de la Gaité) وهو الذي اجتمعت فيه ملاهي باريس فرأيت اغصان الاشجار . فيها فوانيس من الاوراق مختلفة الالوان والاشكال . فتنبعث فيها ومنها الانوار ، فتظهر الاغصان كأنها مزدانة بالاثمار والازهار والانوار ، وتزداد الخضرة نضرة تقر لها العيون وتنشرح منها النفوس .

كان دخولي الى المعرض في هذه الليلة البيضاء من البوابة الفخيمة . فرأيت ما رأيت ، حتى لقد خطر على بالي ان هـذا هو الغاية والنهاية . وقلت في نفسي : ليس في الامكان ابدع مما كان . الى ان وصلت الى قنطرة يانا ، فوقفت عليها ، وقد تضاءلت في نظري تلك المشاهد التي رأيتها كأكبر واجمل ما يكون . رأيت علماً في رأسه نار . استغفر الله واستسمح طيف الخنساء . بل رأيت علماً كله نار في نار في نار ... رأيت برج ايفل عبارة عن اقواس هائلة من الضياء ، ترتفع فوقها خطوط مستطيلة من الضياء ، تعلوها حبال واسلاك تكاد تخترق السماء ، وتصل الى الملاء الاعلى بل الى الملا الاعلاء . رأيته كسلسلة (دلاية) هائلة من النضار . قد

ازدان بها نحر الارض وصدرها ، لتفاخر السماء وزُهرها وتباهي السيارات بأسرها . اما الحديد ، فلا يراه ذو البصر الحديد . وكأنما الانوار معلقة الفضاء . بيد القدرة . فسبحان من خلق الانسان ضعيفاً قوياً . ومنحه ذلك الجوهر اللطيف الغير المحسوس . الذي يدرك كل شيء ولا يدرك نفسه . اليس العقل في الانسان مثل الكهرباء في الوجود ؟

نظرت خلفي الى جهة التروكاديرو . فرايت الفساقي ترسل رشاش الماء بل ذرات الهباء . ممزوجة باشعة الانوار ، على اشكال انيقة والوان بديعة تسر الناظرين . وهذه الاشكال والالوان ، تتغير من ثانية الى اخرى ، وتتسرب على درجات طويلة عريضة ، صاعدة في الهواء وهابطة الى الاحواض . والناس امامها صامتون باهتون ، لايدرون بماذا يعبرون ، عن هذا العجب العجاب . فلا تسمع من الواقفين والواقفات ، الا آه ! تتبعها آهات !!!

عدت بالنظر الى قصر الماء والكهرباء . فرأيت (في هذه الدنيا) مالا عين رأت ولا اذن سمعت ولا خطر على قلب بشر .

صعدت فوق برج ايفل فكنت كاني فوق سارية من النور ، على سفينة من النور ، سارية في بحر من النور . واحسست في نفسي بالقصور عن وصف هذا المنظور .

هذا الذي رأيته صورته لك بقدر الامكان ، وبقدر ما وسعه المقام . وقد شاهد المعرض غيري ، من فرسان الاقلام . واهل التصرف بمليح الكلام فحبذا لو جالوا وصالوا في هذا الميدان ، وتفضلوا بزيادة التصوير والبيان . ففوق كل ذي علم عليم .

شارع الامم

جزء كبير من المعرض يمتد على الضفة اليسرى من نهر السين ٠ وهو من اغرب الغرائب التي قل ان يجتمع نظيرها على وجه الارض: إذ تتلاقي فيه الامم والشعوب ، والقبائل والبطون ، ويسمع الانسان كافة اللغات ، و يرى جميع الاجناس والازياء ٠ ويجد نفسه كأنه ينتقل في المنام ، من اقليم الى اقليم ، ومن مناخ الى مناخ ٠ و يشاهد حينئذٍ اصناف العمارة وطرازات البناء في سائر ارجاء العالم ٠ فكيف لا يتصور بعد ذلك ان « الدنيا في باريس » ؟

اشتهر احد القصصيين برواية خيالية ، سماها : « الطواف حول الارض في ثمانين يوماً » (۱) ٠ وفي هذا المعرض يتاح للزائر ان يرى اهم واكبر، واجمل وافخر ، ماحوته الكرة الارضية ، في ظرف ثمانية ايام ، او ثمان ساعات؛ وصاحبنا بني روايته على الاوهام ، واما الزائر فيجد الحقيقة في المعرض مجسمة للعيان ٠ فانظر ، يا رعاك الله ! الى هذا التقدم وهذا الاختصار ، واحكم معي بان الحقيقة قد فاقت الخيال ٠

هذا وقد اجتهدت كل دولة في اظهار احسن مآثرها ومفاخرها في فن العمارة والبناء ، كما انهن تنافسن في جعل قصورهن تحتوي على اثمن الكنوز وانفر الذخائر ٠ حتى ان بعضهن (مثل المانيا واسبانيا) عرض تحائف ونفائس ، تتعذر رؤيتها في بلادها الاصلية ، اللهم الا لأفراد قليلين

(۱) وقد ترجمها حضرة يوسف بك آصاف الى اللغة العربية

يكادون يعدون على الاصابع ·

وبعض هذه القصور مخصص للاحتفالات والاجتماعات الرسمية وبعضها فيه معروضات ايضاً · ومنها ما هو محفوف بالجلال والوقار فلا يدخله الانسان الا باستئذان ، ومنها ما هو اشبه بسوق عام او بسويقة كلها ازدحام في اختلاط في اختباط · وهنالك قصور تزيد في شأن الامم التي اقامتها ، وبجانبها اخرى توجب الخجل والاستخفاف · وسنتكلم على هذه العمائر ، واحدة واحدة ، وربما استطردنا في الكلام الى ذكر ما امتاز به اهلوها من الاختراعات والصناعات فان الحديث شجون ·

* * *

فاول ما يصادفه الانسان وهو ذاهب الى برج ايفل :

قصر ايطاليا

وهو عبارة عن عمارة شامخة تكاد تناطح السحاب ، وتستغرق الاعجاب وتحتكر الاستحسان العام :

١ً — لكونها اول ما يصادفه الانسان فتحدث في نفسه ذلك التأثير المعروف عند علماء البديع ببراعة الاستهلال ؛

٢ً — لكونها تفوق قصور الدول كلها في الاتساع والارتفاع فانها قائمة على مربع من الاربع طوله ٦٥ متراً وعرضه ٣٨ متراً ونصف متر ؛

٣ً — لكونها تزدان بالقباب البالغة في الجسامة والفخامة ؛

٤ً — لكونها ترديها الاصباغ الجميلة والالوان الباهرة وخصوصاً ما يشبه الذهب الابريز وولوع النفس به معلوم ؛

٥ ً — لكثرة ما بظاهرها وداخلها وعلى شرفاتها من التماثيل والانصاب التي فاقت حد النصاب ؛

٦ ً — لجمعها بين الدين والدنيا : فانها من الخارج تمثل القصور الفاخرة التي تختال بها ايطاليا على ما عداها من الاقاليم · واما الداخل فتحكية بشبة الكنائس الكبرى الجامعة ·

واعلم ان الحكومة الطليانية ، على ما بها من الفقر والاحتياج ، قد قررت نصف مليون من الفرنكات ، لاقامة هذه العمارة الانيقة وحدها · وجعلتها بحيث يخيل لزائرها انه في ايطاليا نفسها : اذ يرى مصنوعاتها الفاخرة في الاواني الخزفية والنحاسية والزجاجية والبلورية (بلون واحد فاكثر) ومشغولات المينا والمعادن المطروقة · واما السقوف فتتدلى منها ثريات من البلور هي منتهى الجمال والاتقان في هذا الباب ، تضاء في الليل بالكهرباء ، فيتألق بريقها ، وينتهي البصيص والوبيص الى درجة تحار فيها الانظار والافكار · وقد كثر اقبال الناس على هذه الثريات فبيع بعضها اكثر من مائة مرة · ومن اعجب ما يراه الناظر في هذا القصر مشغولات التنتلة من الحرير فان شكلها يروق العيون وصناعتها تعرب عن دقة فائقة تقضي بالعجب العجاب ، خصوصاً اذا علم القارىء ان القائمات بعملها فتيات لا تزيد أجرة الواحدة منهن عن فرنكين او ثلاثة في الاسبوع مع ان ما تصنعه الواحدة منهن في اليوم الواحد · يباع بمئات الفرنكات ومن أعرب ما في هذا القصر ، ادرة تدل على طول الصبر ، الذي يكاد يقارع الدهر: كتاب يحتوي على تاريخ فرنسا من سنة ١٧٨٩ الى سنة ١٩٠٠ وكله مكتوب بالقلم القوطي (Gothique) وهو بالنسبة للكتابة

الافرنجية كالخط الكوفي بازاء الحروف التي انتزعها منه الوزير ابن مقلة البغدادي وجرينا عليها في الشرق الى الآن · والكتاب مؤلف من رقوق تزدان بصور ملونة في غاية البهاء والجمال ·

وهذا القصر كله مبني من الاخشاب ، فلا يدخله الحديد الا بالقدر اللازم لربط السقوف والجدران · ولكن يغشاه الجص والجبس على طبقات ومربعات تجعل البناء يتمثل امام الانظار كأنه من الصخور الصلدة والاحجار الجامدة ونفيس الرخام

وقد اشتركت ايطاليا في ١٥ قسماً من اقسام المعرض وفي ثلاثة من ملحقاته وصرفت على ذلك ٤٠٠و٠٠٠ فرنك اخرى لتظهر انها قد عادت لها الحياة ، وانها دخلت في طور الشبيبة بين الامم ·

ومتى خرج الانسان من عتبة ايطاليا وسار خطوتين ، وجد نفسه بارض الدولة العلية اذ يرى ·

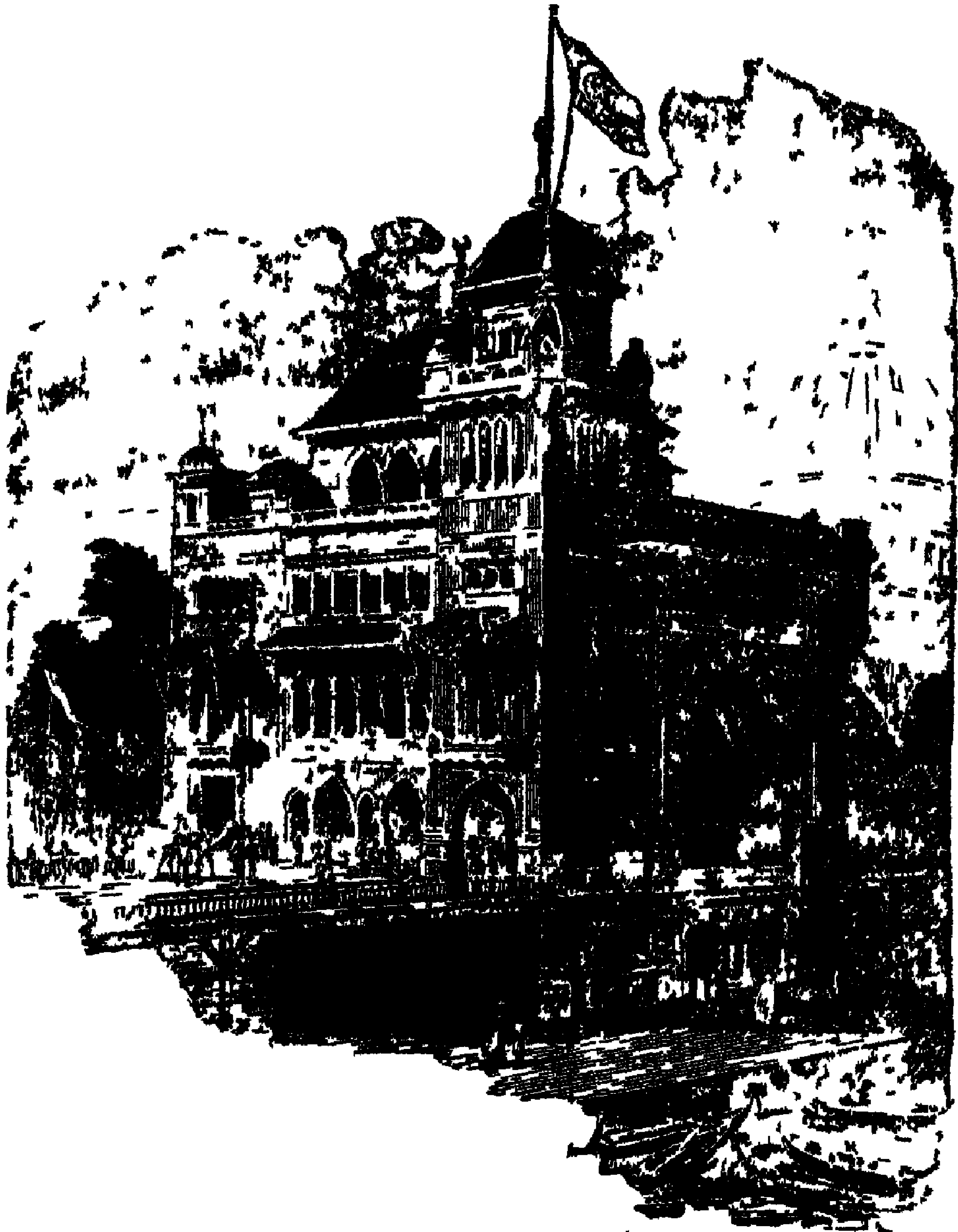
القصر العثماني

(أنظر الشكل في الصفحة المقابلة)

يخفق فوقه الهلال ، فترتاح النفس ، وينشرح الفؤاد ، اذ يجد الانسان نفسه كأنه في بلاده وبين اقوامه · نعم فهو قصر جليل يمثل العمائر الاسلامية الشرقية على احسن مثال ·

وقد أسفت كثيراً من كون المهندس الذي اقامه وبناه ليس من الاتراك العثمانيين ، بل من ابناء فرنسا · ومثل ذلك يقال ايضاً عن

القسم المصري والفارسي والمراكشي والصيني · والذي يوجب الاسف الاكبر ، ان هذه السراي العثمانية الفاخرة عبارة عن سوق يكثر فيها ازدحام السوقة والباعة ، المتسببين في بيع السلع الاسلامبولية القليلة ، والرومية الكثيرة · واهم هذه البضائع واكثرها عدداً ، ما كان مصنوعاً في اوروبا برسم المشرق خاصة ؛ فيعودون به اليها ويتيسر لهم بيعه على الافرنج ونوال الارباح الوافرة ·



﴿ صورة القصر العثماني ﴾

لم أَر شيئاً من خيرات الارض في بلاد الدولة (وهي كثيرة متعددة متنوعة) سوى بعض رواميز من اوراق الدخان : وقد احتكرته شركة أَجنبية ؛ وبعض انواع معادن الصنفرة بازمير: لشركة أَجنبية اخرى ؛ وبيانو لطيف ودراجة جميلة : ولكنهما ليستا من صنع العثمانيين ، بل ليت تجاري الماني ؛ ورأَيت بعض قضبان للسكة الحديدية وبعض نموذجات من الفحم الحجري : وكلاهما قد نال الامتياز باستغلاله واستخراجه بعض المتمولين من الافرنج . ورأَيت محصولات النبيذ الذي تشتغله المستعمرة الاسرائيلية في فلسطين بارض الشام : وهو من خيرات تلك البقعة الواسعة التي اشتراها البارون هرش ، وجعلها ملجأ لفقراء اليهود المطرودين من ممالك اوروبا . ورأَيت ايضاً زجاجات كثيرة من كونياك بولاناكي الذي يصنعه بالاسكندرية . ورأَيت الجدران كلها تغشاها سجاجيد وطنافس : واذا بها كلهـا معدة للبيع واثمانها مرقومة عليها ، وهي لتجار من الافرنج الاوروباويين وخصوصاً محل تجارة ميدان كليشى بباريس (A la place de Clichy)

فتركت ذلك كله أَسفاً وخجلاً ودخلت بهو الاستقبال او « غرفة التشريفة » فابتهجت طربا : اذ رأَيت نفسي في قاعة كبيرة مفروشة بالسجاجيد الفاخرة الغالية ، من ارضها لجدرانها لسقوفها وفيها « كوشة » ثمينة مثل التي يعدها اكابر الاعاظم للعرائس في ليالي الزفاف . ورأَيت الستائر من الاكلمـة الفاخرة . وفي الغرفة أَثاث نفيس من الصناعة الشرقية والطراز العربي . وكل هذه الموائد والكراسي ونحوها مغشى بسجاجيد

ذات قيمة · وفي داخل الغرفة « خزنة » تليق بها من كل وجه · فوقفت لحظة اتردد بين الاعجاب والابتهاج · ثم جلست على ديوان هناك لاستريح قليلاً وقلت في نفسي : « في هذا الكفاية : فكل الصيد في جوف الفرا » وكأن الدهر أجابني : « يا لها من فرحةٍ لو تمت · » فقد حانت مني التفاتة فرأيت على احد الكراسي بطاقة من الورق السميك مكتوب عليها عبارة فرنساوية بحروف فضية وذهبية : (A la place de Clichy) فعلمت وتحققت بمنتهى الاسف ان كل ما في هذه الغرفة والتي بجانبها لمحل تجارة كليشي ايضاً· فمن لي بمن يبلغ العثمانيين بان القليل الذي ظهر من صناعتهم وبراعتهم في باريس ، يستوجب الفخر الكثير والذكر الحميد ، ويعود عليهم بالربح العظيم والخير العميم ؟ فعساهم ينتبهون فينفعوا وينتفعوا · فاني رأيت اغلب العارضين من الحرافيش الذين ينتسبون اليهم لنوال الارباح باسمهم « واذا خلوا الى شياطينهم قالوا انا نستهزئ بهم » واما منهم لبريثون · ومن الذين اقبلوا على عرض بعض لمصنوعات بالقصر العثماني يونان اسلامبول (وفي جملتهم حتى صانع احذية) وكثير من الافرنج المقيمين باوروبا المتجرين ببضائع المشرق·

حتى التياترو ، فهو ليس بعثماني · بل هو يضارع و يعارض المصري والفارسي في كون الراقصات والطبالين من ابناء وادي النيل · وفيه روايات باللغة العربية · والذين التزموا تشغيله واستغلاله هم الخواجات شيحه وفرعون ، ومسديه وصهيون · وكان القائم بادارة التشخيص وعمل الروايات صاحبنا خليل افندي حصلب · ويا ليت الاول والثاني كانا انضما الى القسم المصري لتتم المشاكلة والمطابقة·

وقد اجتهد بعض السوريين في تمثيل اورشليم باعلى هذا القصر فيراها المتفرج بقبورها وطلولها ومساجدها ومآثرها ونحو ذلك وهي عبارة عن اقمشة كبيرة صورها بعض مهرة الصناع الفرنساويين ·

ثم بحثت كثيرًا وسألت طويلاً ، عما سمعته من ان الاميرال احمد باشا صنع جملة مراكب حربية صغيرة من الخشب ، تمثيلاً لدونتمة كبيرة ، وانها كلها من صنع يده · فلم اعثر عليها ، ولم اجد احدًا يرشدني اليها · فخرجت من القصر ، وطلبت ذلك في قصر الجيوش البرية والبحرية وفي الجواسق الملحقة به وفي قصر الملاحة التجارية والحربية وفي غير ذلك مما توهمت ان تكون به الدونتمة فلم اهتدِ لاحد يهديني · وقد بارحت باريس في يوم ١٢ يوليو ولم اقف لهذه الدونتمة على اثر · وربما كان قد تأخر ارسالها لباريس ·

نرجع للقصر العثماني · فنني احمد الله الذي اتاح لي في الختام رؤية شيء من المعروضات يستحق الذكر ويوجب الفخر · ألا وهو:



المحراث البخاري

فتضاعف عندي الفرح والسرور ، خصوصاً واني رأيت هذه التحفة على غير انتظار ، ولكونها منسوبة الى مصر · فان الذي اخترعه هو بوغوص باشا نوبار · ومما زادني ارتياحاً وابتهاجاً ، انه لما جاءت لجنة المحلفين ونظرت هذا المحراث ، وفّته حقه بالتمام من الاعجاب والاستحسان ·

وقد طلبتُ من الموكل به تسييره أمامي ففعل . ولعدم إلمامي بهذه الامور ، طلبت من احد اصدقائي المصريين العارفين بالزراعة ، فقدم لي شرحاً وافياً ، آتي هنا على ترجمة خلاصته ، بغير اشارة الى اسمه اجابة لطلبه والحاحه :

ساعدني الحظ فحضرت حفلة اقيمت بمصر لاختبار هذا المحراث في ارض طفلية اي كثيرة الصلابة فاذا هو عبارة عن « لوكوموبيل » معتاد مركب عليه المحراث مؤلفًا من ثلاث صفائح حديدية فيها اضراس من الفولاذ كثيرة العدد والمتانة . وهذه الصفائح تشابه المنشار المستدير . فمتى سار الوابور الزراعي (اللوكوموبيل) دارت الصفائح فحفرت الارض وجعلت عاليها سافلها وقلبت اجزاءها على بعضها ثم سحقتها سحقًا على امتداد ثلاثة امتار . وبعد مرور الوابور يجد الانسان الارض ممهدة كاحسن ما يكون ومعدة لاستقبال « التقاوي » والبذور

ومن اكبر مزايا هذا الاختراع انهُ يعمل في الارض في مرة واحدة كما لو جرى عليها المحراث المعتاد ست او سبع مرات . ويمكن حرث ۱۰ فدادين به في اليوم الواحد . ولا شك انهُ سيترتب عليهِ انقلاب عظيم ومفيد في نظام الزراعات الواسعة والابعاد الكبيرة . لانهُ يمتاز عن المحاريث البخارية المستعملة في مصر بما يأتي :

اولاً — ان ثمنهُ اقل منها بمقدار الثلث .

ثانيًا — ان المحاريث المستعملة في مصر وفي غيرها من الاقطار تقلب الارض ولكنها لا تسحقها بل تتركها كتلاً (قلقيلا) كبيرة بجانب بعضها فتستدعي الحال لمرورها عليها ثانية وثالثة مع المشط وغيره من الآلات الخاصة بذلك في المزارع .

ولا تزال بعض الكتل (القلقيل) باقية على حالها بعد تكرار العمل مع ان تحويل الارض لمسحوق ناعم مما يفيد الزراعة من الوجهة الكيماوية والطبيعية اذ يجعل الهواء واشعة الشمس تتخللها كما ينبغي فتأتي بالمحصول الوافر .

وقد وجه العلماء عنايتهم في هذه السنين الاخيرة لهذه المسألة المهمة وهي سحق الارض ولم يتوصلوا لوجود آلة عملية تفي بالمقصود . ولذلك قابلوا هذا الاختراع

المصري الجديد بالاحتفال والاستحسان

ومن مزايا هذا المحراث عدم وجود الاحبال في اشباهه المستعملة بمصر وسهولة الدوران والانتقال وانه بعد اتمام عملية الحرث يمكن استخدامه لرفع المياه وري الارض بعد حرثها ومتى جاء المحصول امكن تشغيله لدرس الغلال

*
* *

فخرجت من هذا القصر وانا اتمنى لهذا الاختراع المصري نجاحاً لمصر وفي مصر بل وفي العالم كله ·

واعلم ان مقدار ما انفقته الدولة العلية على اشتراكها في المعرض بلغ ١٩٥٠٠٠٠و٠٠٠ فرنك وهو مبلغ لا شك جسيم

ثم لا ادري كيف وجدت نفسي في عالم جديد اذ رأيت :

القصر الاميركاني

قال هيرودوت : « ان مصر ارض العجائب » · ولكن ذلك قبل اكتشاف العالم الجديد بقرون وأجيال · أما الآن فامريكا هي أم الغرائب ومعدن العجائب · وطالما سابقت اوروبا فسبقتها بل انها لا تزال حائزة للقدح المعلى في مضمار التقدم والاختراع · والدلائل اكثر من ان يحصيها سفر او اسفار ·

وهذه الامة تحب الانفراد والاغراب ، لاستلفات الانظار ونوال الامتياز على الدوام · فهذا القصر عبارة عن ناد يجتمع فيه ابناء تلك الامة الجليلة للمحادثة والمسامرة · فيجدون فيه كافة التسهيلات التي

توفر عليهم التعب وتختصر لهم الوقت وتقرب منهم البعيد · فيكون الرجل منهم فيه كأنه في بلاده وبين خلانه وجرائده ومرشديه وناقلي خطبه واقواله بالكتابة المختزلة (Sténographie) وآلات الكتابة التي تريحه من امساك القلم (Type Writer) · وهنالك تجيئه اسعار البورص فيما بين الساعة ٤و٦ بعد الظهر ويمكنه الاستعلام في الصباح عن مقادير الاسعار في نيويورك وشيكاغو · وليس في هذا القصر شيء من المعروضات على الاطلاق سوى قائمة منقوشة على عضادات احد الابواب ببيان الاقسام التي تفتخر فيها امريكا بعرض مصنوعاتها ومخترعاتها ودلائل تقدمها حساً ومعنى ·

يتألف هذا القصر من ثلاثة ادوار غير الطبقة الارضية التي تحتوي على مكاتب للاستعلامات وللبوسطة والتلغراف وبنك مالي حتى لا يحتاج ابناء امريكا الى غيرهم في شيء · وفيه دفتر كبير يكتبون فيه اسماءهم وعنواناتهم واماكن اقامتهم ليتعرفوا ببعضهم ويتمكنوا من الاجتماع لقضاء الحوائج والاشغال · وفيه مصعدتان (Ascenseurs) من آخر طرز يفوق كل امثاله في اوروبا · وهما مخصصتان لتوفير الوقت عليهم ورفع المشقة عنهم في الصعود والنزول بواسطة السلالم الى ومن الادوار العليا · وفي الدور الاول غرف للمطالعة والجرائد الامريكية كلها ومعظم الاوروباوية المهمة · وفيه غرف فرشتها رسمياً بعض الولايات لاظهار ما امتازت به من خيرات الطبيعة او اجتهاد الانسان · واما الدور الثاني فهو للمندوب العام ومساعده وكاتب اسراره وبقية رجال ادارة المعرض الاميركاني

في باريس • والدور الثالث مخصص للاجتماعات والاحتفالات العمومية وغرف للمحلفين وللمؤتمرات الخصوصية وتأسيسات النساء ولغرفة التجارة الاميركية بباريس •

وتعلو هذا القصر قبة شاهقة داخلها مدهون بالالوان الباهية بحيث تمثل الراية الامريكية في تجويف جميل على مثال بديع • ويوجد باسفله لوكندة امريكية وقهوة تشاكلها •

ومما يستحق الذكر في هذا المقام بمناسبة الاشارة الى ما خصصوا له الدور الثالث في القصر المذكور ان رجلاً من اغنيائهم واسمه انطوني پوللوك (Antony Pollok) غرق مع احدى البواخر الاطلانطيقية الكبيرة وهي قادمة من امريكا الى فرنسا فخصص ورثته من تركته مبلغ ١٠٠٠٠٠ فرنك وقرروه جائزة تعطى في القسم الامريكي لاحسن آلة او اداة يخترعها الناس لنجاة الغرقى ويعرضونها في باريس • فانظر الى اين وصل التفنن بهم في فعل الخيرات ونفع الجنس البشري • فيا حبذا لو قرأ هذه السطور بعض ابناء الاغنياء في بلادنا وتنافسوا في هذا الطريق بدلاً من الطرق الاخرى المعروفة لهم المأثورة عنهم حتى انه لا يمضي عليهم الا زمن يسير فيصبحون من ذوي المتربة ويتقلبون على الثرى (او على الحديده) ويكونون مضغة في في الافواه وسبباً في الخزي والعار •



وجميع القصر الامريكي مبني من الاخشاب ورسمه وهندسته وادواته وبناؤه وطلاؤه و زخرفته ونقشه كله من امريكا وبمعرفة الصناع الاميركيين · وقد بلغ الاعتماد الذي قررته هذه الجمهورية لاقامة قصرها وللاشتراك في سائر اقسام المعرض مبلغ ٣٬٢٥٠٬٠٠٠ فرنك · و بلغ عدد العارضين من ابنائها ٧٠٠٠ نفس · وامتازوا بما قدموا في المعادن والمناجم والمنسوجات والملبوسات والميكانيكا والكهرباء والزراعة والصنائع الكيماوية واعمال الهندسة الملكية ووسائط الانتقال والعلوم والمعارف والآداب والصنائع المختلفة ، (وخصوصاً فيما يتعلق بالمفروشات على انواعها) ، وفي ادوات الحرب في البر والبحر ، وفي الرسوم والتصاوير ، وفي الازهار والاثمار ، وفي المؤتمرات والاقتصاد الاجتماعي ، وفي الملاحة التجارية ، وفي الغابات والصيد في البر والبحر وغير ذلك ·

ولا يسعنا المقام لتفصيل كل ما رأينا من معروضاتها · وانما نذكر شيئاً عن الزراعة التي هي اساس الثروة في مصر · فللامريكان قسم مخصوص في رواق الآلات يتألف من ثلاثة ادوار ، وفيه معرض مفيد جداً لادوات الزراعة وكيفية تقدمها الفائق منها ما هو متركب من جملة ادوات كثيرة متعقدة في بعضها ولكنها تؤدي لارباب الزراعات الواسعة اكبر خدمة واجل منفعة · فمثال ذلك آلة للحصيد من وظيفتها حصد الزرع ثم جمعه حزماً حزماً ثم ربط كل حزمة على حدتها ثم حمله الى المكان الذي يريده سائق هذه الآلة النافعة · اما الدور العلوي فهو اهم من ذلك فان فيه غرفة للذاق مجاناً لوجه الله تعالى ولذلك فهي كالمورد العذب يؤمها الزائرون ، وان كانوا مثلي لا يدرون شيئاً في فن الفلاحة فيتناولون بعض المشروبات

يرون مطابخ من آخر طراز يطبخ القوم فيها الوانًا امريكية مختلفة في كل يوم وانواعًا كثيرة من الفطير · وكل ذلك مصنوع من الذرة لكي يتحقق الملايين الذين يزورون المعرض من فائدة هذا المحصول ويتيسر حينئذ للأُمة الاميريكية زيادة الاستفادة من كثرة تصديره الى اوروبا · ورئيس هذا المطبخ احد ميرالايات العسكرية · وفيه طاهيان وزنجيتان مشهورتان بعمل انواع الفطير والحلوى من الذرة ·

وقد كانت الحكومة الفرنساوية قررت لهذه الامة النشيطة مساحة قدرها ١٥٠٠٠ قدم مربع ، متوزعة في سائر ارجاء المعرض واقسامه · ولكن العارضين الامريكية وعددهم لا يقل عن ٧٠٠٠ مع بعد الشقة ، ما زالوا يوالون الاعتراض بالرجاء ، ويتابعون الاستعطاف بالالحاح حتى نالوا ٢٥٣٧١ مترًا مربعًا ، خلاف الارض التي اقيم عليها القصر الرسمي ·

ومما امتازوا به في معروضات المعادن هرم كله من خالص الذهب الابريز ، تبلغ قيمته مليونًا من الدولارات : اي ٢٠٠،٠٠٠ جنيه مصري

اما الكهرباء والميكانيكا ، فلهم فيها المقام الاول والنصيب الاوفر · ولا غرو فمنهم اديسون ، صاحب الاختراعات العجيبة التي لا تحصى في العدد ولا يفوقها شيء في الاهمية والفائدة العامة · وهنالك يرى الانسان مقدار ما ادخلوه من التحسينات في التلفون والتلغراف وجميع الاعمال التي تدخل فيها القوة الكهربائية ·

ومن الغريب انهم انفردوا عن سائر الامم بالاشتراك في كافة اقسام المعرض حتى في القسم الاستعماري مع حداثة عهدهم بالدخول في هذا

الميدان فانهم لم ينتزعوا جزيرة كوبا من يد الاسبان الا بالامس ·

وقد بلغ ما انفقته هذه الجمهورية العظيمة على اشتراكها في المعرض ثلاثة ملايين وربع مليون من الفرنكات ·

اقول الحق انني بعد ان طفت بالقصر الامريكي وفي سائر الاقسام الخاصة بالولايات المتحدة ، عجبت لهذه الامة التي ظهرت من عهد قريب على صفحات الوجود ومع ذلك افادت بني الانسان بما لم تتوصل اليه امة من الامم الكبيرة القديمة ·

وما خرجت من القصر الامريكاني حتى رأيت نفسي في اوروبا ثانية اذ رأيت :

القصر النمساوى

اقامته مملكة النمسا المعروفة باوستريا واتت بكل ما فيه من الزخارف والنقوش من بلادها حتى لا يكون لفرنسا فيه اثر سوى الارض المقام عليها ومساحتها ٦٠٠ متر مربع ·

امتاز هذا القصر عن امثاله باحتوائه على معرض الصحافة ففيه ١٢٠٠ جريدة نمساوية تترجم عن اميال الاحزاب العديدة والطوائف المتباينة التي يتألف منها جسم هذه المملكة · وهي في اكثر من عشرين لغة ؛ وتدل على مقدار تأثير الراي العام في تلك الاصقاع · اما الصحائف والمجلات الخصوصية اي العلمية والفنية فلها ايضاً شأن خطير ومقام كريم · ورأيت

هنا لك بعض الاعداد الاولى من تلك الجرائد ، محفوظة مع تقادم الزمان ؛ ولم أر جريدة واحدة عربية او تركية مع ان بلاد البوسنة والهرسك في قبضة النمسا الآن ·

ومما انفرد به هذا القصر ايضاً ، احتواؤه على معرض البوستة والتلغراف ولا يخفى على ذوي المعرفة والاطلاع ، ان لاهل هذه البلاد اليد الطولى في تعميم المواصلات البريدية والبرقية في اوروبا ، وان لهم فيها الاختراعات الكثيرة المفيدة ، واخصها ارسال جملة رسائل برقية في آن واحد على سلك تلغرافي واحد الى جهات متعددة

وقد اشتهرت ارض النمسا بينابيعها المعدنية ولذلك ترى مياهها كلها معروضة فيه ، وكل ينبوع يتفنن صاحبه في بيان فوائده ومزاياه ، كأنه ماء الحياة ·

واجمل غرفة فيه هي المخصصة لبلاد دلماسيا · ففيها انواع السلاح القديم الفاخر والوشي المرقوم والتطريز والتدبيج بما يقرب من الصناعات الشرقية · وفيه اساور وجواهر وعقود وقراطق مرصعة بالاحجار الكريمة بحيث يخالها الانسان آتية من بلاد عربية ·

وقد اقامت هذه المملكة خمس عمائر اخرى في المعرض ، اهمها في سراي الغابات والحراج ثم القصر التيرولي وهو رشيق أنيق ، تكتنفه اربعة ابراج وحوله روض بسام له اريج وعبيق بحيث يخيل للزائر انه في تلك البقعة البهيجة النضيرة · وهو جامع بين الحصن المنيع والقصر الرفيع · وكله من الاخشاب النفيسة التي تنتجها غابات تلك البلاد · وسينقلونه

بعد المعرض الى التيرول فلا يضيع عليهم شيء من المصروف . وبعض غرفه من عمل تلامذة مدرسة الصنائع . وفيه معروضات قليلة لم يستوقف نظري وفكري فيها الاشيان :

اولها — كرسي شمعة مطعم بالعاج والصدف والباغة بالشكل الشرقي تماماً كما هو المعهود قديماً بمصر في عهد المماليك . حتى البرامق شكلها مصري بحت . فيخاله الناظر اليه من اهل بلادنا انه كان في ملك السلطان قايتباي او انه مسروق من دار التحف العربية بالقاهرة او انه مصنوع في ورشة برونزاو هاتون او ملوك او نحوها من الذين اعادوا في هذه الايام صناعة اجدادنا . وليس فيه شيء على الاطلاق يشير الى انه من بلاد الافرنج او انه من مصنوعاتهم المحلية الخاصة ببعض اصقاعهم سوى انه منسوب للتيرول ومصنوع في بلدة كورتينا دامبتزو Cortina d'Ampezzo وهي منفردة الى الآن بهذه الصناعة في تلك الاقطار الشمالية . وثمنه ٨٠٠ فرنك .

وثانيها — مائدة تنطوي على بعضها . ويقال فيها مثل ما قيل في الكرسي . وثمنها ٩٠٠ فرنك .

وهنا محل للسؤال عن مناسبة وجود هذه الصناعة بتلك البلاد ، وعن الداعي لبقائها فيها زاهرة رائجة الى الآن ، وعن الارتباط الذي ربما كان بين التيرول ومصر في وقت من الاوقات . وهنا ايضاً محل للعجب بل للخجل : اذ كيف تبقى هذه الصناعة الفائقة المعجبة في بلاد الشمال مع ان اهلها في مصر قد فرطوا فيها و في المخلفات الجميلة التي ابقاها لهم الدهر حتى جاءهم افرنكي فاعادها لهم وهو الخواجه برونز .

ومما امتازت به النمسا في المعرض آلات الجراحة . ولا غرابة فلاهلها الباع الطولى والقدح المعلي في صناعة الطب والجراحة ، وهم كعبة المرضى من جميع بقاع الارض .

وامتازت ايضاً في صناعة الكراكات المائلة التي تمهد الجبال وتفتت الصخور في قيعان البحور · واهمها عبارة عن مركب بخاري كبير جداً فيه الماكينات بقواديسها وبجانبه مركب آخر يشبه الصندل او الماعون · فتلقي القواديس المواد في المركب الثاني فتدخل في ابوبة تتصل باخرى موضوعة على عربات واقفة على سكة حديدية ، وتتواصل العربات وعليها الانابيب بالامتداد المطلوب لالقاء المواد في الجهة المقصودة بعيداً عن الشاطئ · وقوة الدفع تستمر بواسطة الماكينات التي تُحدث تاثيرها في قاع البحر وفي القواديس وفي دفع المواد الى المسافة المطلوبة ·

وقد بلغ ما صرفته النمسا على اشتراكها في المعرض ٧ ملايين ونصف مليون من الفرنكات ·

وبجانب هذا القصر عمارة شرقية اسلامية وهي عبارة عن

قصر البوسنة والهرسك

فيه كثير من البوشناق يشتغلون امام الجماهير الذين يتقاطرون على زيارة هذا الجوسق الظريف ، ويرون فيه بدائع صناعتهم المشتقة من الصناعة العربية الاسلامية · فان اهل هذه البلاد يبلغ مجموعهم الآن ١٩٥٠٠٠٠ نفس منهم ٣٠٠٠٠ كاثوليكي و ٦٠٠٠٠٠ ارثوذكسي والباقون مسلمون فهم يزيدون عن الثلث بقليل · وكل هؤلاء الاقوام من السلالة السلافية · وكلهم يتكلمون باللغة الصقلبية ، غير ان المسلمين وعدد عظيم من مواطنيهم يحسنون اللسان التركي ايضاً · واعلم ان المسلمين

هنا لك من ذرية اشراف تلك البقعة الذين دانوا للاسلام في ايام الفتح العثماني ·

وقد رأيت عالمهم في النقش على النحاس والخشب وتطريز الحرير فاذا بها تماثل مصنوعات الاستانة المعروفة عندنا وكلها تزدان بكلمات وعبارات حروفها عربية ·

وفي هذا القصر مناظر تمثل عاصمة البلاد المعروفة باسم سراية فو ويكتبها الافرنج هكذا (Serajewo)·وعلى يمينها ويسارها صورة اجمل ما في هذه البلاد من المناظر: وهي مساقط الماء في الجهة المعروفة بسراي يايتزه (Yaitze) ومنابع بونا (Buna)·وقددبروا الماء بحيث يسيل و يتفجر حقيقة بجانب الرسوم والمشاهد كما دبروا النور الكهربائي لاضاءة التصوير ولكي يخال الانسان نفسه قد انتقل حقيقة الى تلك الاصقاع، خصوصاً وان الاهالي من رجال ونساء، وجنود وحجاب كلهم يشتغلون في القصر بملابسهم الوطنية التركية·

وفي داخل القصر ايضاً تمثيل «حرملك» اسلامي «مفتخر» وهيئة بعض الدور البوشناقية الحديثة التي لعامة القوم هنالك · وفيها تماثيل من الشمع تمثل الرجال والنساء والحشم والخدم بملابسهم المالوفة وعلى هيئاتهم المعتادة في داخل بيوتهم · والحرملك مزدان باخشاب مخروطة ومصنوعة صناعة دقيقة على الشكل المتعارف في مشربيات القاهرة ·

ومما استوقف نظري بنوع خصوصي في معروضات نظارة المعارف بالدور العلوي كثيراً من المطبوعات التي تدل على حركة التقدم العقلي ،

كما ان الطبقة السفلى مخصصة لاظهار الارتقاء المادي · غير انني لم اجد بهسوى ثلاثة كتب فقط بحروف عربية (ويا ليتها لم توجد) : احدها كتاب صغير لتعليم اللغة التركيــة ؛ وثانيها سالامة ؛ وثالثها قرات على الصحيفة الاولى منه ما نصه بالحرف الواحد :

حاشية حداد النصول على مرآت الوصول شرح مرقة الوصول تاليف الفاضل المحقق والمولى المدقق مصطفى صدقي المفتي بمدينة موستار طبع في مطبعة الحكومة في سراي بوسنه سنة ١٣١٦

وحينئذ خرجت من هذا القصر ، داعياً لهذه الامة بدوام التقدم والارتقاء ، مع المحافظة على القليل الذي ابقاه لها الزمان ، وفي نفسي ما في نفسي من الاسف والاشجان · فرايت قصر هنكاريا فكانها محصورة بين النمسا والمجر حتى لا تفلت من ايديها والملك لله يؤتيه من يشاء

قصر هنكاريا

من المعلوم ان هذه المملكة تابعة للنمسا ، ولكن لها استقلالاً داخلياً خاصاً بها · فحكومتها مستقلة عن النمسا تمــام الاستقلال ومن كل وجه بمجلس نوابها ونظارها ، ولا ترتبط بالنمسا الا بوجودهما معاً تحت سلطة امبراطور واحد · وهذه هي اول مرة انفردت فيها بنفسها في المعارض العامة ؛ ولذلك ارادت الظهور في ميدان الحياة وبين الامم ، فتانقت في بناء قصرها حتى جعلته محطاً للزوار والانظار · وهو عبارة عن بناء فخيم لا يقدر الانسان ان يقول انهُ قصر او كنيسة او دير بل هو كل ذلك · ولا شيء من

ذلك في آن واحد · وهو يحتوى على نفائس وذخائر ويبلغ عددها ٢٥٠٠ قطعة مع تمثيل الاواني والاسلحة التي كانت تستعملها الامة المجرية قبل زمان التاريخ· ومتى دخل الانسان من الباب وجد امامه هيئة قبور اثرية فخيمة من المرمر ومن النحاس اقيمت لبعض ملوكهم وملكاتهم وشجعانهم في القرن السادس عشر والسابع عشر للميلاد ·

والقصر كله مبني بالعقد · وفيه متحف من الآلات التي يستعملها الفرسان والنقود القديمة · وفيه عظام هيكل آدمي وجدوه في القرن التاسع للميلاد واستدلوا مما بجانبه من عظام الحيوانات الهائلة والتمائم والتعاويذ ونحوها على انه لاحد الوثنيين · واجل شيء فيه غرفة الفرسان المعروفين باسم الهوسار اي العشرينيين لان الحكومة المجرية في بعض حروبها مع الاتراك اخذت رجلاً من كل عشرين نفساً من مجموع الامة · وفي هذه الغرفة مجموعة فاخرة من الاسلحة والدروع والسيوف واليطقانات والخوذ والطاسات واللامات والسروج · وكل غرفة لها سقف مخصوص بنقوش تنفرد بها عما عداها وفيها رايات من التي غنموها اثناء حروبهم

وقد عرضت هنكاريا في غير هذا القصر مؤلفات رجل اريب له عندهم المكانة الاولى من الاحترام والاجلال لانه الف لهم روايات يبلغ عددها مائة مجلد كبير · وكلهم يقرؤونها كلها · بل قد ترجمت بحيث لو جمعوا الاصل والتراجم لتالفت منها مكتبة واسعة · وللمجر في عمل الاثاث (الموبيليات) امتياز كبير ظهر بمقارنتها على مصنوعات الامم الاخرى في المعرض· وامتازت هنكاريا في غير هذا القصر بما ارسلته من الاحجار المختلفة

الانواع وخصوصاً الصخور الملحية

وقد بلغ مجموع ما انفقته مملكة هنكاريا على اشتراكها في المعرض مليونين من الفرنكات

ومن هذا القصر ننتقل الى الغرب المطلق وندخل في :

القصر البريطاني

اذ يتصور الانسان انه انتقل الى الجزائر البريطانية حقيقة . فانه قصر بسيط من الظاهر يجلله السواد الوقار ، بينا القصور التي تكاتنفه تزدهي بالالوان والانوار . ولكنه يحتوي على كل ما يلزم لراحة الانسان ويوجب على داخله الانبهار والاندهاش . اذ يرى فيه صور الرسومة على ستائر من الحرير ليس لها قيمة والواحاً نقشتها يد ابرع المتفننين ، وجلّت عن النظير والمثيل . وغرفة في الدور العلوي مغشاة بالقطيفة الثمينة والمخمل النفيس فيمكنهم نقلها بعد المعرض والاستفادة منها . بخلاف الدول الاخرى فان الاصباغ والادهان ، التي غرمت عليها الاصفر الرنان ، ستدخل في خبر كان ، هي والجدران تحت معول البناء . وفيه مجموعة من الاواني الصينية من اول صناعتها وترقيتها بالتدريج حتى وصولها الى نهايات الاتقان والكمال في النقش والزخرفة والجمال : وليس لها نظر في سائر المعرض . وفي احدى غرف القصر سرير بسيط وثلاث سجاجيد عجمية . وبقية الغرف مفروشة بحصر من النخ تشبه الذى يستعمله البرابرة في مصر . ولها ابسطة فاخرة لم يفرشوها حتى لا يهلكها كرّ الغداة ومرّ العشى بل كر الرجال ومر

النساء (بفتح الميم وضمها) ·

وهذا القصر معدّ لنزول وليّ عهد السلطنة الانكليزية ، حين قدومه لزيارة المعرض · ولذلك لا يدخله الناس جزافاً ولا يتقحمونه افواجاً ، بل جماعات جماعات وبانتظام فمتى فرغت ثلة تاتها اخرى ، بعد الاستئذان من الحجّاب ·

فمن ذا الذي يفتكر ان هذه الدولة الفخيمة الهائلة ، يكون قصرها في غاية البساطة ؟ ولكن تلك سنة الانكليز على الدوام وفي كل مكان · واذا اردت الوقوف على دلائل عظمتهم فاتبعني ، ايها القارىء العزيز ، الى مستعمراتهم · فمثلهم كرجل آتاه الله بسطة في الرزق والجاه ، وخصه بالاملاك الواسعة والضياع التي تدر البركات والخيرات ، ومع ذلك تراه يقيم في منزل بسيط ، ولكن لا ينقصه شيء من حاجات الرفاه والنعيم ·

المستعمرات الانكليزية

يبلغ مسطح الارض المقامة عليها ٧٠٠٠ متر مربع في جهة التروكادرو تحيط بها قصور اليابان ومصر والترنسفال والمستعمرات الهولندية والجزائر ·

وهي تنقسم الى قسمين متجاورين : احدهما لبلاد الهند ، والثاني لسائر المستعمرات · ومن الغريب ان البناء الذي اقيم لها كله من اخشاب استحضروها من بلاد السويد في شمالي اوروبا مع ان الهند والمستعمرات الانكليزية مشهورة بغاباتها الكثيرة الكثيفة النفيسة · ولكن للقوم مقصد اقتصادي ، وهو ان ثمن ومصاريف استحضار الاخشاب من السويد لا يذكر في جانب

تكاليف الاتيان بها من الهند او المستعمرات ·

*
* *

« فاما الهند » فموارد الثروة والصناعة فيها اشهر من ان تذكر واعرف من ان تعرف · ونكتفي بالاشارة الى قليل يدل على الكثير · رأيت فيها جميع العطور والاباز ير والافاويه والتوابل التي جعلت للهند شهرة طبقت الخافقين · وهذا خلاف الجواهر والاسلحة والاحجار الكريمة واللؤلؤ المختلف الالوان والباغة باشكالها العجيبة مما يقف الانسان امامه حائرًا مبهوتًا · وقد امتازت معروضات بنجاب في مصنوعات الفضة والنحاس المموه بالمينا والحرير والخشب؛ ومعروضات مدراس بمصنوعات الذهب والاخشاب العطرية المشغولة بكيفية انيقة و باواني النحاس والفخار، و رأيت في معروضاتها صحونا من الخشب لا يخالها الناظر الا ذهبًا حوى جواهر · واما ولاية ميسور فقد امتازت باعمال الحرير والتطريز والتدبيج والموائد المطعمة بسن الفيل · وولاية بنقال (Bengale) بسن الفيل والتماثيل والشفتشي والزجاج الرقيق ·

وفي داخل هذا القصر بوابة اثرية نخيمة تمثل قنطرة مشهورة في بلاد بُرما · وهي كبيرة بحيث يتيسر للفارس ان يمر بجواده تحتها · وكلها من الخشب النفيس المنقوش نقشًا بديعًا المفرّغ تفريغًا عجيبًا ؛ وفيه محاريب وحنايا وزوايا وخبايا تحتوي على تماثيل صغيرة لالهتهم الكثيرة

ورأيت فيها صورة سمو النظام · ولفظة نظام عندهم مثل كلمة خديو عندنا · وهو صاحب حيدر اباد الدكن ومن كبار ملوك الهند

الذين حافظوا على الاستقلال مع الارتباط ببعض قيود بحكومة الهند · رأيته بالملابس الافرنكية من ساسه الى راسه · ولا شيء فيه يدل على انه من ملوك المشرق سوى عمامته الهندية الضخمة · فهو مثل الاتراك والمصريين في الاندفاع مع تيار الغرب وترك الزي الشرقي الاهلي ·

والخلاصة ان الانسان بعد بضعة دقائق في هذا القصر تتمثل له حالة الهند واهلها ومصنوعاتها ونباتاتها ومعادنها وحيواناتها وسائر محصولاتها· ولكن الذي يفوق ذلك كله في الغرابة ، ان حكومة الهند اعلنت عدم امكانها تقرير المصاريف اللازمة لاشتراكها في المعرض ، نظرًا لما حلّ بها من القحط والمجاعة والطاعون ، بحيث اثقل كاهلها ومد يدها للسؤال · فدبت النخوة في راس رجل من دار الندوة البريطانية (البرلمان) وهو المستر م· سيمور كنج وتبرع لذلك بمبلغ ١٢٠٠٠ جنيه انكليزي من جيبه الخاص · ولكن لما عرضت لجنة المعرض الانكليزي رسوم هذه السراي وتصميماتها على ادارة المعرض العام بفرنسا ، قضت ببعض تعديلات وتغييرات ، فجاراها المهندسون الانكليزيون · ولكن ذلك لم يرق عين المتبرع فسحب ماله وكاد المشروع يذهب ادراج الرياح ، لولا ان تداركته حكومة الهند واعلنت اللجنة بانها مستعدة لتقديم مبلغ الاثنى عشر الف جنيه من خزينتها ·

*
* *

« واما سيلان » فهي الجزيرة المشهورة عند العرب وفي كتبهم باسم

سرنديب . و يحق لنا ان نفيض قليلا في الكلام عليها لقلة العلم بها و باحوالها ، خصوصاً وقد رأينا في القسم المعدّ لها كثيرًا من البيانات والمعروضات التي افادتنا في بضعة ساعات فوائد جمة عن ماضيها وحاليها وآتيها . ولا يطمعن القارىء في الاشارة الى كل ما رأيناه فان ذلك يستغرق مجلدًا ضخماً ولا نكون قد وفينا الكلام حقه .

كانت هذه الجزيرة تسكنها في سالف العصور قبيله من المتوحشين تسمى الودّاه ولا يزال بعض افراد قليلين منها في اقاصي الغابات واعماق الكهوف الى هذه الايام . ولو كنا من العالمين باللغة السرنديبية لتلونا افكارهم ومعتقداتهم فيما تركوه من الصحائف المكتوبة على الخوص ، وعرفنا كيف ان إلههم بوذه تقمص ٥٥٠ مرة ، ولوقفنا ايضاً على مذاهبهم في الفلسفة والاخلاق وعلى عقيدتهم التي يدين بها اكثر من ٤٠٠ مليون من بني آدم . وهم يفاخرون بان ابي البشر قد وضع قدمه في جزيرتهم في اول نزوله الى هذه الارض ، وان اثر قدمه لا يزال باقياً على قمة احد جبالهم .

هذه الجزيرة كائنة في الاوقيانوس الهندي ، وموقعها في الجهة الغربية من الطرف الجنوبي لبلاد هندستان . و يبلغ عدد اهلها ٣ مليون ونصف مليون من النفوس . ولا يتجاوز عدد الافرنج فيها ٧٠٠ نفس بما فيهم الحامية الانكليزية .

والسرادق المخصص لها في المعرض يشابه هيكلا بوذيا . و يحتوي على بيان كافة محصولاتها الطبيعية . فترى الاشجار فيه بحيث تستدل على مقدار الخصوبة العظيمة في اراضيها . ولها ازهار مختلفة الاشكال والالوان ، وتحتها

حيوانات كثيرة غريبة من اسود وفهود وقرود وسبنديات وغيالس وسناجب ودلادل وايائل وافيال وافنـاك ويحامير محجلة وخفافيش وخنازير وسنانير وقطاط الزباد وغير ذلك من الطيور والهوام والحشرات ·

وقد رايت هنالك اعجب مجموعة للاحجار الكريمة ولا نظير لها في كثرة العدد وجسامة المقدار وصفاء المائية ، وبجانبها اللآلي والدراري في اصدافها · ومن معادنها الرصاص الذي يستعمل في الاقلام وهو المسمى بالبلومباجين · ويبلغ ثمن ما تصدره منه سيلان الى الخارج ١٢ مليون من الفرنكات في كل عام ·

والشجرة الطيبة المباركة في تلك الاصقاع هي شجرة النارجيل ، المعروف عندنا بجوز الهند ؛ فمنها يستخرجون زيتاً يستعمل كثيراً في اصطناع الصابون؛ ومنها يصنعون كثيراً من الحلوى والمربيات اللذيذة ؛ وفضلاتها تتغذى بها البهائم غذاءً نافعاً · والخلاصة ان جزيرة سيلان تستفيد من هذه الشجرة في كل عام مبلغاً قدروه باربعين مليوناً من الفرنكات · وهم يصطنعون من اليافها واوراقها حبالاً واسفاطاً وانخاخاً · ويستعملون افلاقها في المباني والعمارات ·

وقد كانت شجيرة البن من موارد الثروة الطائلة والرزق العظيم في تلك البلاد · غير ان حشيرة طفيلية تسلطت عليها فاعدمتها · ولذلك رأت الحكومة الانكليزية ان تستبدلها بما يعوض على الاهالي هذه الخسارة الجسيمة · فاستلفتت انظارهم الى الشاي بعد ان ادرّت عليهم الخيرات بادخال شجرة الكنكينا الى بلادهم · ولذلك عملوا بنصيحتها منقادين ·

وقد كانت مساحة الارض التي استنبتوا بها الشاي ١٠ فدادين في سنة ١٨٦٧ . فلم تات سنة ١٨٩٨ حتى بلغت ٢٦٤٠٠٠ فدان . وفي سنة ١٨٧٨ بلغ الشاي الصادر من الجزيرة ٢٣٢ رطلاً فما جاءت سنة ١٨٩٩ حتى وصل الى ١٢٩٨٩٤١٥٦ رطلاً . وفي سنة ١٨٨٣ كان الشاي المستهلك في انكلتره بنسبة ٦٥ في المائة من وارد الصين و ٣٣ في المائة من الهند و ١ في المائة من سيلان . وفي هذه الايام نزل وارد الصين الى ٩ في المائة وبلغ وارد الهند ٥٤ في المائة ووصل وارد سيلان الى ٣٧ في المائة ؛ ومع ذلك فقد هبطت اسعاره في لوندره هبوطاً عظيماً عن ذي قبل .

وقد رايت الفرنساويين جميعهم يقرّون في هذا السرادق بارجحية الطرق الانكليزية في الاستعمار ، ويعترفون بان جيرانهم في هذا الميدان لا يشق لهم غبار ، ويعيرون حكوماتهم بالتأخر في هذا المضمار .

***

« واما كندا » فهي من اهم مستعمرات الانكليز بامريكا . كانت في الاصل ملكاً لفرنسا ولا يزال اغلب المستعمرين بها من ابنائها . ثم استولت عليها بريطانيا العظمى وتوصلت الى جعلهم يخلصون لها الولاء . ويبلغ عدد سكانها خمسة ملايين من النفوس . وهم يحسنون التكلم بالفرنساوية والانكليزية على حد سواء . ومعروضاتها تشغل اربعة اخماس القسم الخاص بالمستعمرات الانكليزية . واهلها يبارون الامريكيين والاوروبيين في كل مضمار . فقد امتازوا بالبراعة في الزراعة والصناعة كما اشتهروا بالمهارة في التجارة ، حتى اصبحت بلادهم جنة تفيض عليهم الخيرات والبركات .

وخص الله ارضهم بالغابات العظيمة والمعادن الوفيرة · وقد تقدموا في المعارف لدرجة يغبطهم عليها كثير من الامم المتمدنة التي تعدّ الآن في الطبقة الاولى ، حتى لقد انبهر القائمون بالتربية والتعليم في اوروبا من المكانة العالية التي وصلوا اليها على حداثة عهدهم ·

ووقفت انا · بصفتي المصرية وصبغتي الشرقية ، باهتاً حائرًا حاسرًا· وقلت : هكذا الدهر ادوار ، والايام دول بين الناس ·

رأيت معروضات هذه الامة الجليلة بجانب معروضات انكلترة في كافة اقسام المعرض · وكلها تشهد بفضلها وتدل على عظيم تقدمها وارتقائها ، مع ان الامم الصغيرة اذا وقفت بجانب الامم الكبيرة ، كان ذلك موجباً للحط من مقامها · وهكذا كان لهذه الامة مقام كريم في معروضات الفنون الجميلة ؛ والاداب والمعارف والفنون ؛ وعمل الآلات ؛ والكهرباء ؛ والهندسة الملكية ووسائط الانتقال ؛ والزراعة ؛ وتربية الازهار والاثمار ؛ والغابات ومصائد الاسماك ؛ والمحصولات الغذائية ؛ والمناجم والمعادن ؛ وزخرفة المساكن وتأثيثها ؛ وصناعة المنسوجات ؛ والمتحصلات الكيماوية ؛ والصنائع المختلفة مثل الورق ولوازم السفر والكاوتشوك (وخصوصاً اتخاذ الاحذية منه) ، وفي الوسائط الصحية والاعمال الخيرية ·

* * *

« واما أستراليا الغربية » فيخال الانسان نفسه في منام ، اذا علم بان العلماء والمكتشفين كانوا منذ ثلاثين سنة فقط يرودونها ويتعرّفون مجاهلها ، كما هو الشأن الآن في اواسط افريقية · وقد وصلت في مدة قليلة الى درجة

عظيمة من التقدم الذي لا نظير له في التاريخ. وما احسن شهادة الارقام في هذا المقام: كان عدد سكانها في سنة ١٨٣٠ لا يزيد عن ١٫٧٦٧ نفساً فوصل في سنة ١٨٩٠ الى ٤٦٫٢٩٠ وفي سنة ١٨٩٩ الى ١٧١٫٠٢٢ اي ان مجموع سكان هذه المستعمرة كلها لا يكاد يساوي عدد النفوس في احدى المديريات الصغيرة بالقطر المصري[1] . ومع ذلك فسأروي لك بعض ما رايته في معرضها، وهو مما يقضي بالعجب العجاب .

اول ما يراه الداخل الى سرادقها كتلة عظيمــة الحجم من الفحم الحجري، وزنها اربع طولوناتات ونصف ويقول الخبيرون انه من اجود الانواع . وقد كان اكتشافه بارضها في سنة ١٨٩١؛ ومتى تم استغلال مناجمه كلها تتضاعف ثروتها، بلا شك، مئات من المرات . فان الذي عليه مدار سطوة انكلترة وثروتها هو موقعها الجغرافي ووجود هـذا المعدن في بواطنها حتى اطلقوا عليه اسماً غريباً وهو « خبز الصناعة ». فبلاد اوستراليا اصبحت تشابه انكلترة من هذين الوجهين . فهل تكنّ الايام للبلاد الشرقية انجلترةً ثانيةً يكون لها في الشرق ما لملكة البحار في الغرب .

رأيت في معرضها ايضاً جذوع اشجار هائلة من غاباتها الكثيفة المظلمة

(١) اقل مديريات القطر المصري سكاناً اقليم بني سويف (٣١٤٫٤٥٤) ثم الفيوم (٣٧١٠٠٦) ثم القليوبية (٣٧١ و ٤٦٥) وهي المديرية الخصيبة الكائنة على ابواب القاهرة وعدد السكان فيها يعادل ضعفهم في اوستراليا الغربية ويزيد مع ذلك فلا يتجاوز ايرادها في العام ٣٦٨٫٠٠٠ جنيه مصري (انظر ميزانية سنة ١٩٠٠) واما اوستراليا الغربية فلا يقل ايرادها عن مليونين من الجنيهات الانكليزية . فتامل .

حيث لا يندران يبلغ ارتفاع الشجرة ١٠٠ قدم !

ورأيت روامز جليلة من الاصواف ، ولا غرو فهي موطن احسن انواع الشعاري ، ومنها تستورد المعامل في العالم كله ، المقدار الاعظم من اوبار الماعز والضان . ومن ذا الذي يجهل وفرة اللحوم فيها حتى انها تصدر منها الكميات العظيمة الى بلاد اوروبا وغيرها ، محفوظة كما ينبغي بالوسائط التبريدية التي تقيها من العفونة والفساد ، وتجعلها امام المتناول كانها ماخوذة من حيوان قد ذبحوه منذ بضعة ساعات .

وهذه البلاد اصبحت بفضل العقل والاجتهاد تكاد تستغني عن صنائع بقية الامم ومحصولاتها . ففيها معامل كبيرة كثيرة : للاحذية والصابون والشمع والسجائر والزيوت والمربيات والحلويات والسروج والعربات (بسائر اصنافها) والفرش (بضمة ففتحة) والاطارات (البراويز) والامتعة والاثاثات والمفروشات ونحو ذلك . وقد رأيت في معروضاتها آثار هذه المصنوعات كلها ، وهي دليل على استمرار التقدم والعمران .

ولكن اين هذه الصناعات ، واين هذه المصنوعات ، من تلك الحرفة التي تفوقها كلها في المال والجمال والجلال ، واختلاب العقول واستهواء الافكار ؟ فلقد رأيت من آثارها ما يجعل الناظر والباحث في حيرة مستمرة ، امام الذهب في هذه المستعمرة . رأيت التبر باصنافه وانواعه وركائز الابريز وقضبان النضار وسبائك العسجد بدرجة تسيل اللعاب وتسبي الالباب . ناشدتك الله ! أ نّى يرى الانسان (ولو في المنام) ، كنزاً مثل الذي رأيته بالعيان في المعرض العام . ومن الغريب ان هذا الكنز يشبه الدفائن التي يذكرها اهل

الخرافات والاوهام : نعم تحيط به الطلاسم والارصاد ، ويقف في وجه قاصده الموكلون والاعوان ، غير انهم في صورة انسان: اذ كلهم من الحجاب والاعوان. فكنت انظر ، مثل ابطال الروايات والاقاصيص ، الى كتل الذهب كما هي في باطن الارض مختلطة بصخور الكوارتز او بعد استخلاصها من الشوائب الاخرى وكلها على حالها الطبيعية : فليس للصانع فيها من اثر ، كما لم يكن لي عليها من سلطان سوى النظر . فكانت العين بصيرة واليد قصيرة . ولكنني حمدت الله ، الذي لا يحمده على الضراء سواه ، وتمثلت بقول الشاعر الأوّاه :

وانك ان ارسلت طرفك رائدًا لقلبك يوماً اتعبتك المناظرُ
رأيت الذي لا كله انت قادرٌ عليه ولا عن بعضه انت صابرُ

ولقد آليت على نفسي في هذا المقام ، ان اتأسى عن وضع اليد وحبسها ، بارسال العين الى هذه العين وحسنها ، واطلاق العنان للسان والبنان في بيان وصفها ، حتى يشاركني القراء في اللوعة والحسرة ، ويعذروني الف مرة ومرة .

فقد كان استكشاف اهم مروج الذهب في هذه المستعمرة في سنة ١٨٩٣ فقط . فبالغ القوم في العناية باستخراج دفائنه وكنوزه وكل يوم جشعهم يزيد و يتجدد والمعدن لا ينفد . حتى لقد بلغ المتحصل منه ٤٠٠ مليون من الفرنكات ، في ظرف سبع سنوات ، اين منها السبع السمان ، في عصر فرعون وهامان ؟ ولا يتصورنّ القارئ او السامع ان هذا المبلغ البالغ الهائل ، فيه شيء من المبالغة او الاغراق او المغالاة ، بل هو ثابت من الارقام الرسمية والاحصاآت الصحيحة المعتمدة . ولا غرابة في ذلك فان مسطح مروج

الذهب يزيد عن مليون كيلو متر مربع ! ! !

وقد رأيت الركائز الطبيعية من النضار، على اشكال مختلفة وصور متنوعة، كما وجدوها في دفائنها . واغربها ما يخاله الناظر قد صنعته الطبيعة على مثال « التنتلة » التي يتأنق في صنعها العذارى . ومن هذه الركائز ما توازي قيمته اكبر ربح يناله الانسان اذا اسعده الحظ في يا نصيب البنك العقاري : اي مائة الف فرنك . ولكن الطبيعة اجود واصدق من سراب البنك الكاذب : فقد شاهدت ركائز اخرى توازي قيمتها ضعفي ذلك بل وثلاثة اضعافه : اي ۳۰۰،۰۰۰ فرنك ! ! ! وهي من النوادر في اسواق الذهب بل اسواق العجب . ولذلك يعتبرها العارفون (وخصوصاً الفقراء من الكتاب والقراء) من اغرب ما حواه هذا المعرض العام . ورأيت قطعة من الذهب الابريز وزنها ۷۱۳ جراماً وقيمتها ۲۲۹۰ فرنكاً، قد وجدوها في سلالة « جيبب » رجل القى بنفسه في احد الانهار، وغالب الانحدار « وقاوح التيار» حتى تحصل على هذا النضار؛ ولكن ما لبث ان خانته قواه، وصرعته المياه، فذهب ضحية هواه، من حيث كان يرجو غناه، فرحمة الله، على شهيد الثروة والرفاه ! وكلنا ذلك الرجل في هذه الحياة !

ورأيت نصفين آخرين من ركيزة واحدة قد عثر عليها رجلان من عملة المناجم، فاقتسماها بالعدل والانصاف، فجاء الفرق بين الشطرين عبارة عن ۳۷ فرنكا ونصف فرنك، ثم اقترعا عليهما فيما بينهما . والقسم الاكبر يزن ۹۹۷ جراماً وثمنه ۲٦۸۰ فرنكاً . وقد اشترت الدولة منهما هذين النصفين لحسن نيتهما ومهارتهما في القسمة وعدم بغي احدهما على الآخر . ورأيت

بعيني رأسي ، وقبضت بكلتا يديَّ ، ومنتهى قوتي على ستة قضبان من خالص الذهب الابريز ، فما استطعت حملها ولا زحزحتها عن مكانها . ولو كان في مكاني عنترة او جبار الجبابرة ، لأقر مثلي بالعجز وعدم المقدرة : ومجموع ثمنها ١١٥٦٣ جنيهاً انكليزياً : وهي عبارة عن محصول الذهب في شهر واحد من منجم واحد . وقد تكون منها ثروة طائلة ، لاحدى عشر عائلة !

والخلاصة ان الداخل الى هذا القسم من المعرض ، يخرج منه (مثلي) وقد زهد في هذه الحياة ، أو بلغ منه الهوس منتهاه : اذ يكون قد رأى بعيني رأسه ، أو لمس باصابع يده ، اكبر كوم من الذهب في أصغر مكان ، بهذا المعرض العام ، بل في هذا العالم كله . فكيف لا يحتقر بعد ذلك ما يقرأه او يسمعه عن الكنوز والدفائن ، والارصاد والطلاسم ، وهذا خيال ، وذلك عيان ؟ نعم ! نعم ! فان قيمة الذهب الذي عرضته هذه المستعمرة (المبروكة او الملعونة) يبلغ ثلاثة ملايين من الفرنكات .

وقد رأيت هنا لك هرما ، ولا كالاهرام ، لانه كتلة من الذهب الوهاج يمثل بطوله وعرضه وارتفاعه وسمكه ، حجم الذهب الذي استخرجه القوم من هذه المستعمرة المسحورة . ورأيت عليه نقوشا كثيرة ليست من الهيروغليفي في شيء ، بل كلها ارقام أرشدتني الى ان المتحصل من هذا المعدن الثمين كان في سنة ١٨٩٩ عبارة عن ١،٦٤٣،٨٧٥ أوقية ثمنها ٦،٢٤٦،٧٢٨ جنيهاً انكليزياً ؛ وان عموم محصوله من سنة ١٨٨٦ الى سنة ١٨٩٩ كان ٤،٣٣٦،٦٧٩ أوقية يبلغ ثمنها ١٦،٤٧٩،٣٨٣ من الجنيهات الانكليزية . مع ان ايراد هذه المناجم كان في اول سنة استكشافها وهي سنة ١٨٨٦

عبارة عن ٣٠٢ من الاواقي لا يتجاوز ثمنها ١٠١٤٧ من الجنيهات · فانظر يا رعاك الله ! الى اطراد هذه الزيادة التي يضيع معها الرشد والصواب ، وسارع معي في البعد عن مكان الفتنة والغواية ·

ولكنني على رأي المثل العامي «خرجت من العرب هاربة · فلقيت الترك والمغاربة » · اذ رأيت في ركن آخر ان عجائب البحر تفوق عجائب البر · ففضلاً عما حواه باطن هذه الارض من الذخائر والكنوز ، تحتوي بحارها على ثروة لا تنفد واخصها اللؤلؤ · فقد رأيت ايوانًا شائقًا يتألف من جدرانه لاعمدته لسقوفه لافاريزه من اصداف الدراري وهي كبيرة فسيحة ، مصفوفة بتنسيق بديع ، يوجب الاستحسان ويقضي بالعجب العجاب · وفي وسطها تمثيل رجل من الغطاسين الذين ينزلون الى اعماق البحر ، لالتقاط الدر : وهو بملابسه اللازمة من الكاوتشوك (١) لكي يمتنع نفوذ الماء الى جسمه ؛ وعليه الاثقال الكافلة لسرعة نزوله الى هاوية اليم ؛ وعلى رأسه ناقوس كبير بحيث يبقى رأس الرجل في تمام الحرية في حركاته ، وفي الناقوس ثلاث فتحات عليها نظارات من البلور ، ليرى وهو في اعماق الماء ، مكامن اللؤلوء سواء كانت امامه او عن يمينه او عن يساره ؛ وفوق الناقوس جهاز متصل بانبوبة طويلة متينة تغوص معه و يبقى طرفها في البر ، وبها يتجدد الهواء للرجل حتى يتمكن من البقاء في الماء ما شاء ·

ولست اطيل عليك الكلام بوصف ما رأيته من اللآلىء والدراري

(١) الكوتشج كما يسميه المسلمون في السنكال حيث استفدت ذلك منهم في معرضهم

التي يلتقطها هذا المسكين و ينتفع بها غيره من اهل الملايين سنة الله في خلقه ولكنني اذكرك صليب الجنوب : فكل الصيد في جوف الفرا

هذا الصليب الغريب العجيب عبارة عن سبعة دراري يتيمة كبيرة ، مصفوفة بجانب بعضها على خط مستقيم ، وعلى يمين الثانية ويسارها درتان كبيرتان مثلها . فيتألف من هذه التسعة لآلئ صليب طبيعي . وهذه المجموعة النادرة المثال ، قد وجدها القوم في مصائد اللؤلؤ في سنة ١٨٩٤ في صدفة واحدة كما هي الآن بالتمام ، ملتحمة ببعضها تمام الالتحام . فحفظوها وحافظوا عليها لجمالها وصفاء مائها وغرابة تركيبها الذي يعد من فلتات الطبيعة . وهي كنز ثمين وتبلغ قيمته ٢٠٠٠ جنيه انكليزي

نظرة عمومية

على المستعمرات الانكليزية

امتازت معارضها بالجد فلا يشوبها هزل اذ جردوها من الملاهي والتياترات والحوانيت ونحو ذلك من المساخر وجعلوها كدرس مفيد من كل وجه قل يخرج منها الزائر الا وقد ازداد علماً وعجباً

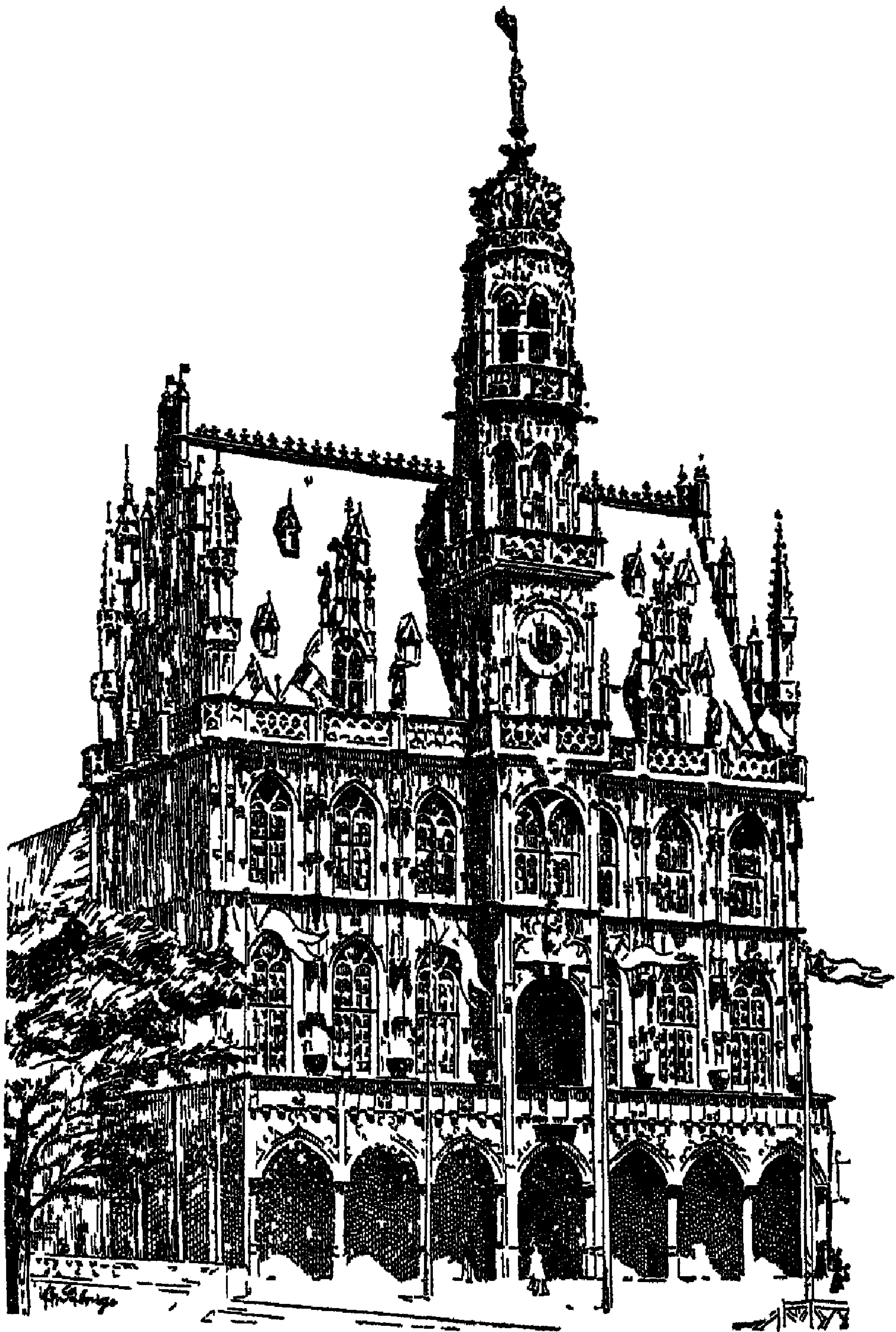
هذا وقد اتفقت حكومات المستعمرات البريطانية على اقامة مطعم استعماري بجانب هذه المعروضات بحيث لا يدخله شيء من المآكل والمشارب والمصنوعات والمحصولات الا ما كان وارداً من احدى تلك المستعمرات وقد كان له نجاح باهر خصوصاً وانه كان سبباً (في بابه) في زيادة العلم بوجوه الارتزاق في هذه المستعمرات . فلله درّهم !

واني اكتفي الآن بما خطه اليراع في هذا المقام · وربما تكلمت عما يستحق الذكر من معروضات الانكليز الواردة من بريطانيا العظمى نسبها ، اثناء سياق الحديث عن القصور والجواسق والدساكر التي عرضت فيها الامم كلها صنائعها وما ثرها مصفوفة الى جانب بعضها · ولكنني أُنبه القراء الى ان القصر البريطاني أُقيم هيكلة من الحديد لا من الخشب ، وفوقه طلاء من الجبس والجير ، ليكون كغيره شبيهاً بالبناء وقد خرجت منه فرأيت بحيالهِ :

قصر البلجيكا

وهو بناء فخيم جليل ، يستوقف الانظار ، والحق يقال · اقامته هذه المملكة النشيطة ، على مثال دار أمانة احدى حواضرها الشهيرة : وهي مدينة اودنارد (Audenarde) · وقد انتهت في هذه الدار ، براعة المهندسين في هاتيك الاقطار ؛ وجاءت الصورة في باريس ، طبق الاصل بالتمام · وهو مثل اغلب مباني المعرض : من حيث كونه مقاماً من الاخشاب ، يغشاها الشيد والجبس ، على مثال البناء المنسوب لبغداد · ولكنهم موّهوا هذه القشرة بطريقة تجعلها كأنها من الاحجار الصلدة قد مرت عليها الايام والاعوام ؛ فيخدع الناظر حتى يخاله أثراً عتيقاً ، ولكن لم تعبث به صروف الزمان · أما الاصل ، فهو من صنع مهندس متفنن من ابناء بروسل (١) واسمه ڤان پيد (Van Pede) ويلقبونه « عاشق الاحجار » · وما اصدق هذا النعت عليه ! فان غرامه بل هيامه بتعشيق الاحجار وتنسيقها وتزويقها على صور الاوراق والازهار (وخصوصاً سلطان الجنان) ؛ وتخريمها ، نحتها على

(١) ولا تقل بروكسل وان كانت تكتب في الافرنجية هكذا (Bruxelles) فان اهلها يهملون النطق بالكاف فاحفظ ذلك وتنبه اليهِ · وهي عاصمة بلجيكا ·



قصر بلجيكا

هيئة الحيوان (وخصوصاً الافعوان ، الذي اخرج الانسان من الجنان) ؛ كل ذلك يدل المتأمل في بناء هذا القصر ونقوشه واساطينه على هذا الغرام ، بحيث يكاد يقول بلسان الحال . سبحانك ربي ! ان هذه إلاّ صناعة عبّاد الاحجار والاوثان !

في واجهته الاصلية وابة عظيمة تحف بها وائك فوقها شرفة (بالكون) . وفوق عقد البوابة ، صرح ممرّد ، كأنه « التنتلة » في الاحجار ، يعلوه بطل من صاديد الشجعان .

وقد اكتفت لجيكا في هذا القصر ، باظهار ما وصلت اليه من الابداع ، في صنعة المعمار . ولذلك ترى كل من نظر اليه يشهد لها بالسبق في هذا الميدان . اما مصوعاتها ففي سائر اقسام المعرض ، تشهد لها ايضاً بالتقدم والبراعة ، في مضماري التجارة والصناعة .

وفي الدور لاسفل من هذا الجوسق ، بهو تكتنفه عرفتان لتمثيل اهم المناظر الشائقة ، في اكبر حواضر البلجيكا ، مع كافة البيانات التي تلزم للطائف في هذه البلاد : من جداول و برنامجات ورواميز ومؤلفات ونحو ذلك ؛ و خصها البيانات التي تدلك على تقدم تجاراتهم ورواج سامهم في البُلدان الاخرى ، حتى في نفس المانيا وانجلترة وفرنسا . وكل دلك تشويقاً وتحريضاً لزوّار المعرض على الرحلة الى بلادهم وصرف المال في ارضهم . وهكذا هم يستجرّون المكاسب والمغانم !

اما الدور العلوي ففيه غرف الاحتفال والاستقبال . وفي وسطه بهوٌ كبير فيه تحف نادرة المثال .

ومما يجب ذكره في هذا المقام، انهم احتفلوا بافتتاح هذا القصر في يوم ١٠ مايو سنة ١٩٠٠ . وقد زرته مراراً ، فما كان يؤذن لي ولا لغيري برؤية شيء سوى ما في الدور الارضي . فكان اشتياقي يزداد في كل يوم ، لرؤية ما أعده القوم في الدور العلوي . لان الانسان مطبوع ، على الولوع بالممنوع . او كما قيل :

احب شيء الى الانسان ما منعا

فسعيت حتى توصلت بعد التعب لزيارة هذا الدور في يوم ٥ يوليو . فرأيت العمال لا يزالون يشتغلون بتنسيق ابسطة عجيبة وطنافس ثمينة وغير ذلك من الاثاثات القديمة التي انتهت اليها صناعة اجدادهم الاولين ، وهم بها يفاخرون الآخرين . ومن الغريب ان هذه التحف النادرة ، قد ارسلها رجل واحد من اغنيائهم اسمه دسونزى (Dsonzee) ؛ وكلها مما جادت به قرائح ارباب الفنون ، في متوسط القرون .

وليس لهذه المملكة نصيب في الاستعمار . فان الكونجو البلجيكي الكائن في اواسط افريقية هو عبارة عن ولاية مستقلة تمام الاستقلال . وقد اتفقت السياسة الاوروباوية على تمليكها لشخص ملك البلجيكا الحالي وهو ليوبولد الثاني . ولم تشترك هذه الولاية المستقلة في معرض باريس . ولكن اهل بلجيكا قد امتازوا بصنع ما لزم للمستعمرات عموماً والبلاد القاصية حتى لقد احتكروا توريد ما يلزم من العربات والادوات والقضبان والآلات لكافة السكك الحديدية في بلاد الصين . ولذلك انفقت جمعية الصناع المتحالفين فعرضت في الجناح الايسر من قصر التروكاديرو مجموعة من

مصنوعاتهم التي برسم المستعمرات ، واخصها الزجاج والخرز والمسامير ومشغولات الحديد المتنوعة والمنسوجات القطنية وغيرها .

ثم انك لا ترى فيها ما يدل على التأنق في الصناعة ، ولكنها دليل على تقدم القوم في التجارة وفوقانهم على غيرهم في معرفة طرق الاكتساب . وقد بلغ ما قررته بلجيكا لاشتراكها في المعرض مليون واحد من الفرنكات

ثم خرجت من هذا القصر فدخلت في :

قصر النرويج

من المعلوم ان هذه البلاد واقعة في الشمال الغربي من اقصى اوروبا ، ويتكون منها مع السويد شبه الجزيرة المشهورة باسم اسكنديناوة . وهما مملكتان مرتبطتان ببعضهما ؛ ولكن لكل واحدة منهما نظام خاص ، واستقلال تام بشؤونهما الداخلية ، من جميع الوجوه : كما هو الشأن في النمسا والمجر . فلا يجتمعان ايضاً الا في شخص الملك ؛ وهو الآن اوسكار الثاني الذي فاق كل ملوك عصره في تشجيع اهل العلم وايصال الرفد اليهم واغداقه الفضل عليهم ، حتى الشرقيين والناطقين بالضاد .

ما اشبه اهل هذه المملكة بالمجريين في الغيرة الشديدة على استقلالهم ، واغتنام كل فرصة للمناداة به والمحافظة عليه ! حتى انهم جعلوا بين سرادقهم في هذا المعرض العام وبين الجوسق الذي اقامته مملكة السويد سداً منيعاً ، بل سدوداً عديدة من العمائر الخاصة بالمانيا واسبانيا وموناكو واليونان ؛ ولو استطاعوا لجعلوا بينهما بُعد ما بين المشرقين .

يمتاز هذا القصر بالالوان الزاهية من اخضر واحمر وابيض ، كما جرت به

العادة في ارياف تلك الاصقاع الباردة ، القريبة من المنطقة الجامدة · وكله من اخشاب الصنوبر المقطوعة من غاباتهم ، وليس عليها مثل قصور الدول الاخرى طلاء من الجبس والجير · بل زينته وزخرفته منحصرة في تقطيع الاخشاب بالمنشار وتعشيقها مع بعضها على اشكال رائقة جميلة · ومن المميزات الخاصة به انه صنع كله في بلاد النرويج ، ثم جاؤوا به قطعاً قطعاً الى باريس وركبوها على بعضها : فجاء هذا الجوسق (الكشك) فتنة للانظار ومحطاً للزوار · وسينقلونه بعد انتهاء المعرض الى بلادهم وينتفعون به · وقد قرر مجلس نوابهم مبلغ ٥٥٠,٠٠٠ فرنك لاشتراكهم في المعرض العام ·

ومن اكبر مميزات هذه الامة مهارة ابنائها في السباحة والملاحة ، ولا يكاد يكون لهم مثيل في تربية الغابات والانتفاع باخشابها وسائر محصولاتها · ولذلك امتاز قصرهم ايضاً بعرض كل ما له علاقة بهذه الامور ، وبيان تفننهم في وسائل الاستفادة من بحارهم وحراجهم · والذي يستوقف انظار الزوار هو تمثال الرحالة الدكتور نانسن الذي كاد يصل الى القطب الشمالي ، وطبقت شهرته الخافقين · ترى نصفه العلوي من الرخام ، بجانب سفينته المسماة فرام (Fram = الى الامام) · وهو كأنه يحدثك عما صادفه في رحلته العجيبة المجيدة ويسرد لك ما لاقاه فيها من الغرائب والشدائد ، ويقول لك بلسان الحال كيف استخدم ما حوله من الكلاب والدواب ، والآلات والادوات بينما كانت تتزاحم عليه جبال الثلوج وشدائد البرود ، التي تحرق (نعم تحرق !) الابدان وتصعق الانسان والحيوان ·

ومما يجب ذكره في هذا المقام ، وينبغي تداوله على ألسنة الخاص والعام

ان جلالة امبراطور المانيا الحالي وهو غليوم الثاني المشهور بسعة المدارك والتضلع من كافة المعارف ، الممتاز على امثاله بالبسالة والاقدام قد بالغ في الاحتفال والاحتفاء بهذا البطل المقدام حتى انه في اثناء مقابلته استدعى اولاده في حضرته وقال لهم : يا بني انكم لا تزالون في نعومة الاظفار وشرخ الصبا فلستم تفقهون ما أهمية لكم هذا الانسان الذي ترونه امامكم الآن . ولكنكم متى علمتم تاريخه في مستقبل الايام ترنحت اعطافكم عجباً وخفق فؤادكم طرباً اذ تتذكرون انكم رأيتموه بالعيان . فاحفظوا هذه الصورة الجليلة على صفحات الفؤاد واجعلوا لها في نفوسكم محل الاجلال والاعتبار . فهكذا يكون الملوك وهكذا تكون الافكار والاقوال !

اما انا . . . . نعم لم يسعدني الحظ الاعمى ، بان اكون من ابناء الامبراطور ، ولم يسعفني الطالع برؤية طلعة نانسن المشهور ؛ ولكن ذلك لم ينسني هذه الكلمات الحكيمة الرشيدة ، امام هذه الصورة المجيدة . ومن فاتته العين اكتفى بالأثر ، وعلى القارىء ان يقنع بالخبر .

وقد رأيت في القصر اساليب القوم في اصطياد الاسماك الهائلة ، ولا سيما الحوت (الهائشة) ، و بجانبها طيور الصخور ووحوش البرور والبحور . وهل كنت في منام ، او أعوبة في يد الاحلام والاوهام ؟ ولكنني احقق للقراء انني كنت اشم رائحة البحر ومحصولات البحر . ولم يرع قلبي ولم يسترع ناظري مثل شيخ البحر (الفقمة) المسمى بالفرنساوية (Phoque) : حيوان ضخم الجثة كأنه اسد الشرى ، له يدان مثل قوائم الثيران ، ونابان كانياب الافيال ؛ بل كأنهما اوهما « انياب أغوال » بل انظر يا رعاك الله الى هذا المثال (1)

(١) ستصدر هذه الصورة المريعة البديعة في الرسالة القادمة (الادارة)

وترى هنا لك ايضاً صور ديار القوم في عصور مختلفة وطرائقهم في الانتقال ، وخصوصاً الزحافات (Traineaux) التي تجرها الكلاب على صحاري الثلوج ·

قلنا ان ملك هذه البلاد اوسكار الثاني مشهور بمحبة العلم والعلماء ، فلا غرو أن اصبحت بلاده كلها عكاظاً في عكاظ ؛ ولا غرابة في ان نظارة المعارف كان لها في هذا القصر مكان رحيب بل اعظم نصيب · فهنالك ترى المعروضات التي ارسلتها مدارسها الكثيرة وهي لا تقل عن عشرين نوعاً · حتى الطباخة والملاحة وصيد البحر ، لها عند القوم مدارس خصوصية ·

وقد امتازت النرويج في جملة اقسام من المعرض · ففاقت الامم الاخرى في قسم التغذية بعرض المربيات والمأكولات المحفوظة من سائر الاصناف والانواع فان لها في هذا النوع من التجارة اهمية عظيمة لا تزال آخذة في الزيادة والانتشار ، في سائر الاقطار ؛ حتى لقد بلغت قيمة الصادر منها في سنة ١٨٩٧ ٧٢،١٩٩،٨٠ فرنكاً · وقد امتاز اهلها ايضاً بصناعة البيرة (الجعة) المشهورة بصفائها وحسن مذاقها ؛ كما شهد به السائحون في بلادهم وكما تحققه الزائرون لمعروضاتهم ·

وقد امتازت ايضاً بما عرضته من معادنها واحجارها ومصنوعاتها وخصوصاً سيما جيدها وأكلمتها وابسطتها وطنافسها : فانهم يصنعونها باليد بحيث تكون كل واحدة منها فريدة في بابها ؛ ولا تماثلها قطعة اخرى · فانظر الى ما يقتضيه هذا التفنن من اعمال الفكر مع اليد ، في تجديد الاختراع بمقدار عدد القطع المصنوعة ! ولما كانت هذه المصنوعات لا يتيسر اقتناؤها الا لمن آتاه الله

بسطة في العيش ، فقد قامت بينهم شركة تعضدها الحكومة بحولها و بمالها ؛ لاسعاف الفقير بما يلزم من الفراش والرياش . فنالت نجاحاً وقامت بخدم جليلة .

واشتهر اهل هذه البلاد بالدعة و بالميل الى المسالمة ومع ذلك فكأني بهم قد وصل الى آذانهم قوله تعالى :

وأعدّوا لهم ما استطعتم من قوة .

فلذلك تفننوا ايضاً في اصطناع آلات القتال وعرضوها في قسم الجيوش البرية والبحرية . فحيّاهم الله وبيّاهم !

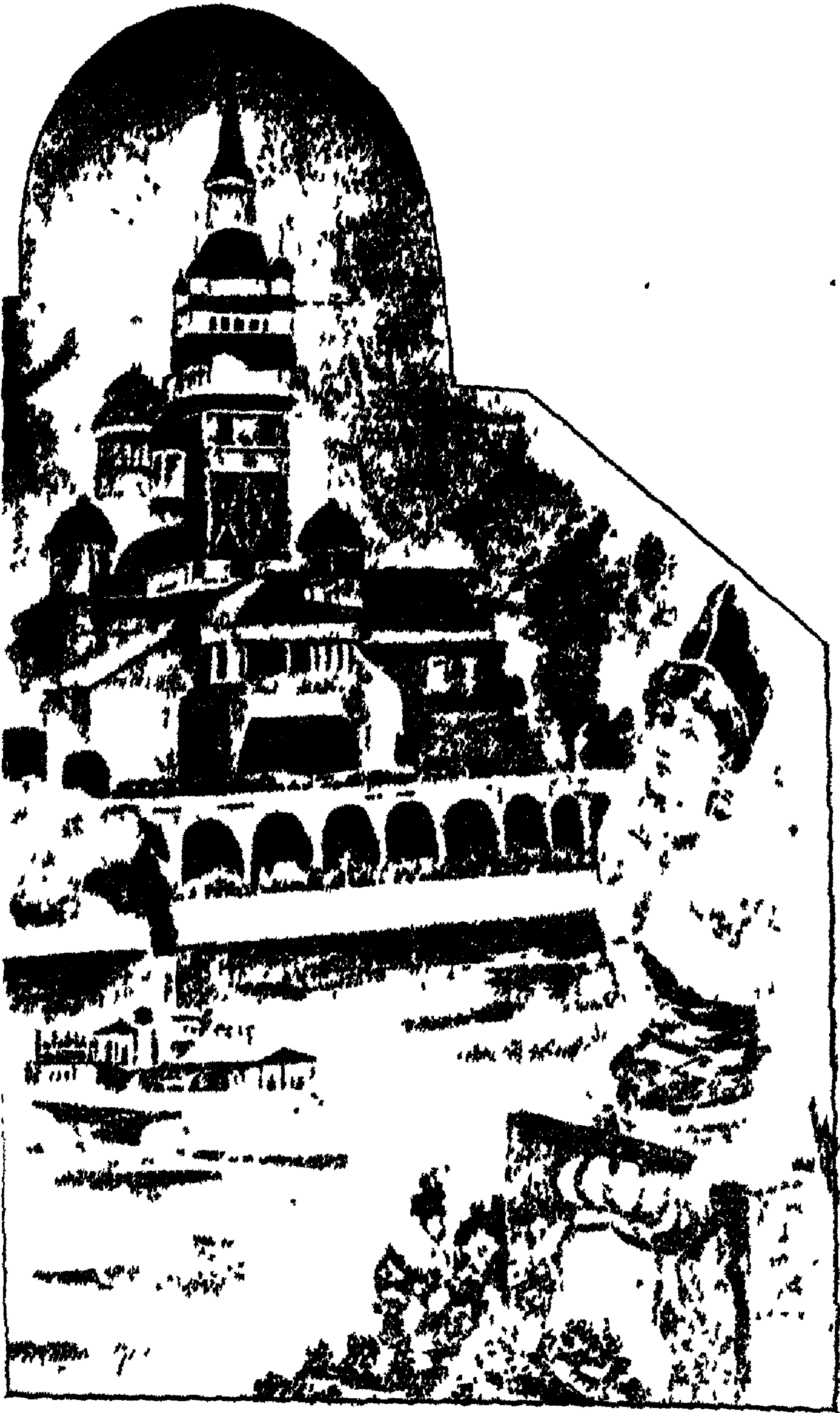
وعند خروجي من هذا القصر[1] رأيت وجوب زيارة السويد معتذراً الى صاحبنا اهل النرويج فان السياسة والملك قضيا بانضمام الامتين الى بعضها . وحسبي أنني ميزتهم بالتقديم .

قصر السويد

يستوقف الانظار بجلاله وفخامته ، خصوصاً وانه يعلوه صرح رفيع العماد ، يرسل سهمه في كبد الفضاء ، على ارتفاع ٣١ من الامتار .

امتاز نساء هذه البلاد بالمهارة في الترقيم ، والرشاقة في التطريز ، والاجادة في التدبيج . وقد رأيت في القصر بعض العذارى والفتيات يتنمقن في هذه المصنوعات امام الزائرين والزائرات . وكذلك كثير من الصائغين يشتغلون بعمل الحلى والحلل ، باشكال تناسب ذوقنا ، فترتاح النفس (خصوصاً الشرقية) من رؤية الصناعة والصانعة والصانعين . كيف لا وأن منسوجات هذه

(١) وقع خطأ في صحيفة ١٩٦ عند ذكر مقدار ثمن المتصدر من المأكولات المحفوظة وصوابه ٧٣،١٩٩،١٨٠



﴿ تمثال الجمال في اقاصي الشمال ﴾ ﴿ قصر السويد ﴾

الاقطار المترامية في الشمال هي و بلاد النرويج وفلنده والبلغار تحاكي ما اشتهر به الشرق [1] في حياكة الاقمشة والابسطة وتزويقها بالاشكال والالوان. حتى خيل لي ان الفريقين تلقيا عن استاذ واحد ونسجا على منوال واحد . فاذا قلنا ان البلغار اخذت ذلك عن الاتراك ، فمن اين وصل الى اهل اقاصي الشمال ، وبقي فيهم الى الآن مع انه كاد يضيع من المشرق ، امام انهمار تيار المصنوعات والاساليب والتقاليد الغربية ؟ ان في ذلك لحكمة لمن يفقه او يتدبر ...

ومما اوجب عندي زيادة التأمل ، صورة كبيرة تمثل هيئة القصر الملوكي في استكهلم عاصمة تلك البلاد . نعم ان ذلك ليس بغريب في القصور الاخرى . ولكن اذا ظهر السبب زاد العجب . فان صانع هذه الصورة ... هو البرنس اوجين ابن ملك السويد والنرويج . رسمها بنفسه على احسن مثال ، لاظهار المكانة التي يجب ان يصل اليها ابناء الملوك ، في العلوم والفنون ، والسعي في نوال الفخار بالكد والاجتهاد ، لا عن طريق الميراث والميلاد فمن لنا .... ؟

— ويحك ! ... صهٍ ! صهٍ !

. . . .

رأيت هنالك صررة الليالي في الشتاء وصورتها في الصيف بتلك الاصقاع وهي تكاد تغني الناظرين عن رؤية الطبيعة . فان الاولى تمثل احد

(١) رأيت في معروضات ولده التي سيأتي الكلام عليها احرمة من الصوف تحيلتها آتية من المحلة الكبرى ، ولكنها قد ضلت محلها في معرض مصر !!! فاستقرت بجوسق هذه البلاد القريبة من المنطقة الجامدة ... فرارًا من الحر وتدليلاً للهواء .

المعاهد فوق الدائرة القطبية بمائة كيلومتر نحو الشمال · وفيها غلام لاهستاني (اي من لا پونيا = Laponie) يرعى قطيعاً من الرانات [1] في انتظار اهل القافلة · وترى الكواكب قد علاها الاصفرار ، وفي اقصى الافق نيران باهية تترامى كأنها الصواريخ والالعاب النارية في كبد السماء ، دلالةً على قرب بزوغ الشفق الشمالي : والكهرباء هي التي تقرب الحقيقة بل تكاد تمثلها بالتمام ·

اما المنظر الثاني ، فيمثل حالة استكهلم في ليلة ٢٤ يونيو التي يكون فيها الاحتفال بعيد القديس يوحنا [2] · ترى هذه العاصمة عند انتصاف الليل ، ساكنة هاجعة كانها في منام ، وارصفة البحر خالية من الاقدام ، والماء يتسلسل بلطافة وانتظام · وهو ماء حقيقي يتموج ويجري فيه التيار ، كما هو الحال في بحار تلك الديار · والماء لا يشق اديمه زورق ولا يعلوه غمام · وكل ذلك بقوة الكهرباء · وترى المنازل عاليها وسافلها يغشاها ضياء الزبرقان قد علاه الاكفهرار ، مؤذناً بانصرام الليل واقتراب النهار ؛ ولكنه ليس بالفجر الصادق ولا الكاذب ، بل هو وسط بين الخيط الاسود والخيط الابيض : لا يمكث الا لحظة او بعض لحظة · وفي جهة الغرب ترى النار تتلهب في الفضاء ، منبعثة عن اشعة سلطان الضياء ، الذي لا يكاد يحتجب في تلك الانحاء · وهو منظر يقضي بالعجب العجاب ، على السائحين الذين يزورون هذا الصقع وليس لهم به من عهد ·

---

(١) الرانة (Le renne) حيوان خاص بالمنطقة الشمالية بمقدار الدعير يستخدمونه في الجليد والزمهرير كما يستخدم الاعراب الجمل في الهجير والسعير ·

(٢) اي بعد الانقلاب الصيني بثلاثة ايام فان يوم ٢١ يونيو هو اطول ايام السنة ·

ومما امتاز به هذا القصر ، ان مصلحة البريد والتلغراف في بلاد السويد قد ربطته مع كافة اقسام المعرض التي اشتركت فيها مملكتها بأسلاك التلفون ، وجعلت المخاطبة بها مجاناً لجميع الناس ؛ ووضعت مركز هذه الاسلاك فيما عرضته في القسم الخاص بالكهرباء . وانت تعلم ان هذه البلاد قد اشتهرت بالبراعة في صناعة التلفون وادواته ، وكادت تحتكرها في كافة اقطار الارض ، حتى ان اغلب بل كل الجهازات التي تستخدمها الشركات الانكليزية المؤسسة في القطر المصري ، تستوردها من هناك ، لافضليتها من حيث العمل ورخص الاسعار . وقد انتشرت اسلاك التلفون في بلادهم انتشاراً يفوق التصديق ، حتى ثبت من الاحصاء ان ثلث اهاليها قد ادخلوا التلفونات في دورهم وحوانيتهم . ولم تعادلهم في ذلك امة من الامم الاخرى .

وهذا القصر كله من باطنه وظاهره ، مركب من الاخشاب ليس الاّ . وقد اقامته شركة النجارين في استكهلم . ثم فكوه قطعاً قطعاً وارسلوها بطريق البحر الى النهر حتى رست في قلب باريس ، امام الرصيف الذي اقاموها عليه ، قصراً انيقاً يعجب الناظرين بلغت اكلافه ١٥٠,٠٠٠ فرنك . وهو مقام على ارض لا تزيد مساحتها عن ٥٥٠ متراً مربعاً . ومن المهارة والوطنية ، انهم بعثوا الى عاصمة فرنسا اثني عشر عاملاً فقط من بلادهم فركبوا القطع المفككة وعشقوا الاجزاء المتفرقة ، من غير ان يحتاجوا لفرنسا ولا لاهلها في شيء ما .

ومن اعجب ما حواه ، مجموعة انيقة في وسطه تتألف من التحائف والنفائس والحلى والجواهر ، التي قدمها الاهالي ، لمليكهم الحالي ، بمناسبة اعياده العديدة . رايت فيها صفيحة عليها نصُّ خطبةٍ (يقولون انها رشيقة اللفظ

بليغة المعنى) قدمها البناؤون الاحرار (الماسون) الى هذا الاخ المتوَّج في حفلة عيده الذهبي الماسوني ، اسيـ عند دخوله في السنة المتممة للخمسين من انتظامه في هاتيك العشيرة . والخطبة مرقومة على صفيحة من الفضة الخلصاء دلالة على نقاء السرائر واخلاص الضمائر .

واعلم ان اوسكار الثاني هو اول ملك زار المعرض ثم تلاه جلالة الشاه المعظم مظفر الدين صاحب ايران . فعساه يجري على اثره في ترقية امته واعلاء منار المعارف ، ليفتخر به الشرق ، ويكون خير وارث لتاج الاكاسرة الكرام .

جائزة انقاذ الغرقى

اشرت في صحيفة ١٦٤ من الدنيا في باريس الى الجائزة الجليلة التي خصصها ورثة الامريكي انتوني پولك ، لمن يخترع احسن جهاز لانقاذ الغرقى . وقد علمت من الجرائد الواردة في هذه الايام ، ان ارباب القرائح والعقول الذين تسابقوا الى نوال هذا المبلغ الطائل (١٠٠٠٠٠ فرنك) وصل عددهم الى ٤٣٥ مخترعاً . وقد اجتمع مجلس المحلّفين للنظر في اساليبهم ، فوجد مع الاسف انها كلها لا تفي بحاجات الغرقى ولا بغرض المتبرعين . فلذلك حكم بانه ليس فيهم من يستحق نوال الجائزة باكلها . غير ان رجلاً من ابناء لوندرة واسمه المستر روپر (Roper) عرض جهازاً يمتاز على ما قدمه مسابقوه ، وعلى ما تقدم من امثاله الى هذا اليوم ، فرأى المحلفون فيه ما يوجب مكافأة صاحبه بعشر الجائزة فقط : اي عشرة آلاف فرنك .

ثم قرر المحلفون جعل المبلغ الباقي جائزة جديدة لمن يوفقه حسن حظه وسلامة اختراعه ، لايجاد الوسيلة الكافلة لسلامة السفائن من الغرق و (بنوع اخص) لنجاة كافة ملاحيها وركابها ، فيما اذا تغلب عليها اليمّ وقضي الامر ٠ وقرر المجلس المذكور اصدار برنامج ببيان تفاصيل المسابقة في هذا المضمار والشروط الواجب مراعاتها على كل من يريد المباراة فيه ٠ وسينشرها على العالمَ كله في اول يناير سنة ١٩٠١ ويبلّغها الى الحكومات باجمعها ، لتعميم العلم بها في كافة بقاع الدنيا ٠

وكنت اود لو تأخرت عن مصر هذه المصيبة التي المّت بابنائها في هذا الشهر بغرق الباخرة « الشرقية » بل كنت اود انه ما كان ٠ ولكن بهذا قضت الايام ، ولا حول ولا قوة الا بالله ! وهل يتاح لرجل من ابناء مصر نوال هذه الجائزة او الاقدام على الدخول في هذا الباب ؟ ٠٠٠٠ لست من الانبياء ولكني اقول كلا ثم كلا والف كلا ٠

الاسكندرية في ٢٥ سبتمبر ١٩٠٠

جوائز لاهل العرفان

في المعرض العام

للاوروباويين شغف عظيم بتنشيط اهل المعارف بالمال الذي هو حياة الوجود وعلة الارتقاء والعمران ٠ وقد ذهب عصر الخلفاء وانقضى من الشرق وكأني به لن يعود ، الا اذا صحت الاحلام ٠ ولكن اغنياءه الكثيرين

يتفانون في جمع المال ، من الحرام ومن الحلال ؛ ثم تراهم (وخصوصاً ابناءهم من بعدهم) يبذرونه فيما يعود عليهم وعلى بلادهم وأممهم ، بالخزي والعار والخسران . فلم يبق لاهل القلم وسيلة سوى ذكر مآثر أمثالهم في الغرب ، ومعاودة الضرب على اسماعهم ، كلما حانت الفرصة ، عساهم يفيقون ، اوعلّهم تتنبّه فيهم عاطفة من عواطف اجدادهم ، فيكون لهم لسان صدق في الآخرين وحسنة يوم لا ينفع مال ولا بنون .

وأقتصر الآن على ذكر ما جاد به واحد فقط من المحسنين بحجة هذا المعرض العام . وهم في كل يوم لهم حجة ؛ واغنياؤنا لهم في كل ساعة الف حجة على التقتير والتبذير في غير مواضعهما ، حتى ساءت سمعتهم بين الامم .

ففي فرنسا رجل من الاغنياء اسمه اوسيرس (له نصيب اكبر من مسماه الذي كان إله الخير والبركة عند قدماء المصريين) قد تبرع بمناسبة معرض باريس السابق (في سنة ١٨٨٩) بجائزة قدرها ١٠٠٠٠٠ فرنك لاعظم عمل يقام فيه يجمع بين المهارة والجسارة . ونالها المهندس الذي بنى رواق الآلات .

ثم اغتنم فرصة هذا المعرض فتبرع بمائة الف فرنك اخرى لمن يأتي باجمل عمل او بافيد مشروع فيه ، وعهد بتقرير هذه الجائزة الى نقابة الصحافة في باريس .

وكأني به لم يكتف بهذه الاريحية العظيمة ، بل رأى ان هذه الجائزة لا تتكرر فلا يكون له يد في دوام التحريض على الاتيان بعظائم الاعمال . فسلك في سبيل الايقاف خطة أرجو أن يكون لها صدى في بلادنا وتأثير على الواقفين

من ابنائها : فانهم لا يعرفون سوى تقرير المبالغ الطائلة على بعض القبور ، فلا يكون من ورائها سوى زيادة عدد الكسالى بيننا وانغماسهم في الملاهي والمحرمات وحرمان الامة من اعمال ايديهم وعقولهم ؛ وبئست العاقبة . ذلك انه أوقف على مجمع العلماء بفرنسا (Institut de France) دوراً واملاكاً كثيرة يبلغ ريعها ٣٢٩٠٠٠ فرنك في كل عام . وقرر لهذا الوقف شروطاً تدل على سعة مداركه وسمو افكاره وطموح نظره العالي الى موالاة الخير على بني الانسان . وعندي انه بذلك يخلد اسمه مقروناً بالمدح والحمد ، اكثر من ذلك الذي كان يعبده آباؤنا الاولون .

فقد قرر الموسيو دانيال اوسيرس ان ايراد هذه الاملاك يتجمد في كل ثلاث سنوات حتى يتحصل منه مبلغ مائة الف فرنك ، ويعطى جائزة لمن يأتي باعظم اكتشاف او باجل عمل في بحر الثلاث سنوات الماضية : في المعارف او الآداب او الفنون او الصنائع او (بطريقة الاجمال) في اي امر يعود بالخير العام على جميع الانام . وقال ان اقصى امانيه ان ينال هذه الجائزة المشتغلون بالجراحة والطب ، اذا توصلوا لايجاد الدواء الشافي او المخفف للأدواء والاسقام التي لا تزال الى الآن بحيث لا ينجع فيها علاج او دواء ؛ حتى ولو لم تيسر لهم سوى الدلالة على الوسائل التي تكون ممهدة لمقاومتها أو الشفاء منها .

واشترط ان المجمع المذكور يعقد جمعية عمومية في كل ثلاث سنوات ويقرر الجائزة لمن يفوز بقصب السبق في هذا الميدان . وقد زاد هذا الجواد على كرمه ، فقرنه بجميل اللطف وحسن الانعطاف : اذ قرر على المجمع

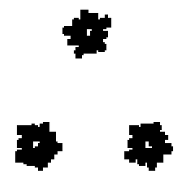
المذكور ان لا يكتفي بمن يتقدم اليه من الطالبين ، بل اوجب عليه البحث بنفسه ايضاً على اهل الفضل والاستحقاق ، لانهم يمتازون في الغالب بالتواضع والانزواء والاعتكاف . وقد نظر الرجل الى وطنه وما له عليه من الحقوق ، فقصر الجائزة على ابناء فرنسا دون سواهم . فاذا كان العمل قد اشترك فيه اكثر من واحد اشتراكاً اصلياً جوهريا بطريقة متلازمة لا انفكاك فيها ، وجب تقسيم الجائزة على المشتركين بقدر حصتهم في الاجتهاد والايجاد . ثم نظر الى بني الانسان بوجه عام ، فقضى ان الجائزة اذا صادف حلول ميعادها احد المعارض العامة تعطى لمن يستحقها ، فرنساوياً كان او غير فرنساوي . ولكنها على كل حال لا تعطى الا لرجل واحد حتى يصح الانتفاع بها على وجه التحقيق . واذا كان ميعاد المعرض يأتي بعد حلول ميعاد الجائزة بسنة او سنتين ، وجب الانتظار واضافة الريع الى قيمتها حتى تبلغ ١٣٣٠٠٠ او ١٦٦٠٠٠ فرنك .

فهكذا تكون الهمم ! وهكذا يكون الكرم ! وبمثل هذا تحيى الامم !

تشخيص المعرض

﴿ وبيان عظمته بالارقام ﴾

طلب مني جماعة من اكبر اهل القطر فضلاً وعلماً ومقاماً ، ان اتحف قراء « **الدنيا في باريس** » بزيادة في التفصيل على عظمة المعرض ، فوق البيانات الوافية التي صدّرت بها هذه الرسائل . فما رأيت افضل من تعريفي القارىء بالطريقة التي التي كنت اقضي بها نهاري ، وإيراد بعض احصائيات ، رويتها عن الثقات .



هذا المعرض قائم على فسحة مترامية الاطراف بحيث لا يمكن لاي انسان ان يقول انه طافه كله او رأى جميع ما فيه او فحص كافة المعروضات : فان ذلك يحتاج لسنين تعد بالعشرات ، وهيهات ! هيهات ! ان يلمّ العقل بما حواه ! واني اجاهر بان نفس القائمين بنظامه لا يجسرون على الادعاء بالاحاطة بما فيه ، بل ان المتولين ترتيب بعض الاقسام او غرفة واحدة ، لا يسعهم مثل هذا التصريح . ولا غرابة فان القارئ قد يشتري لنفسه او لبيته بعض الملابس والاثاث ، وكثيرًا ما يذهل عنها ، او يجهل موضعها ، بل ربما نسي وجودها ، فجددها عند حاجته اليها .

ترى الرسوم والجداول والقوائم والتقاويم والرواميز وكافة انواع المعروضات ، مصفوفة في الارض او ملصوقة على الجدران او متعلقة باهداب السقوف ، سواء كان البناء من طبقة واحدة او مثنى او ثلاث . فكيف نتمكن من رؤيتها ومعرفة كل ما فيها ؟

تدخل من احد ابواب المعرض ، وترسم لنفسك خطة تسير بمقتضاها فلا تلبث ان ترى نفسك كبني اسرائيل في التيه . كلها تتجاذبك فلا تعود تدري ماذا ترى والى اين تسير .

يفتح المعرض ابوابه من الساعة الثامنة فلا ترى سوى جيوش من الكناسين والفراشين والموردين والمتعهدين والبدالين والجزارين والسماكين والبستانيين ونحوهم ونحوهم ، قد احتلوا رحباته وساحاته وباحاته وعمائره ودساكره بانفسهم وباتباعهم وبدوابهم وبمركباتهم للقيام بلوازم الحياة والنظام ، في هذا

الكائن الهائل . حتى اذا جاءت الساعة العاشرة من الصباح ، برز متبرجاً متبهرجاً يسترق الانظار ويستغرق الافكار . فتقضي فيه ساعة :ثلاثة ارباعها في التسيار والمزاحمة والانتقال ، والربع الباقي في المشاهدة والاستقصاء . وحينئذٍ يحل وقت الطعام ، فان لم تبادر ، وجب عليك الصيام (ولا أجر لك) .

علمتَ ان مسطح المعرض لا يقل عن ١٩٠٨٠٩٠٠٠ متر مربع ، وان مبانيه تشغل نحو النصف او ٤٦٠٩٠٠ متر مربع على وجه التحقيق . واذا قلت لك الآن ان نصف هذا النصف مشغول بالمطاعم وما يلزمها ويتبعها من المرافق ، فاعلم اني لا اكون بعيداً عن الحقيقة : اذ لا تكاد ترى قصراً او او داراً او جوسقاً او دسكرة او قمرية او كوخاً اواي مكان مسقوف ، إلا وفي احد اركانه او تحته او بلصقه او فوقه مطعمٌ ، اللهم الا اذا لم يكن هو كله مخصصاً للآكلين والشاربين . وفضلاً عن ذلك فان عامة الافرنج وسوقتهم ، وخصوصاً اهل الارياف منهم ، يدخلون المعرض ومعهم «الزوّادة» فيأكلون ويشربون تحت ظل الاشجار ، او فوق بساط الاعشاب . فاذا اتاح الله لك عدم الانشغال بالمعروضات وتوجهت الى احد المطاعم ، في الوقت اللازم ، فربما عثرت على مكان تجلس فيه وتستريح .. حتى يأتيك الخادم بما تسد به الرمق . نعم انك ترى في كل مطعم جيشا من الخدم . وتراهم يهرولون في الاقبال ويسرعون في الادبار ، ولكنهم اقل من القليل ، في جانب الواردين والمترددين . فلا تكاد ترى مقعداً خالياً ولا يداً عاطلة ولا فماً ساكتاً (عن طلب المآكل) او ساكناً (عن المضغ والازدراد والالتهام) ،

والناس كلهم في خبال واستعجال : كأنهم يتزودون من هذه الحياة الدنيا. وقد علمني الاختبار ان اطلب ثلاثة او اربعة الوان في آن واحد ، واكتب اسماءها للخادم ؛ فيمضي ولا يأتي بها كلها ، لان غيري كلفوه ايضاً بطلبات اخرى. ولكنه كان يحضر لي لوناً بعد لون ، فكنت استحليها في المذاق ، بغير مرارة الانتظار . وبهذه الوسيلة كان يتوفر لي قليل من الوقت ، أخصصه لرؤية المعرض في ساعة الاكل .

فكنت اراه بخلاف المعهود ، في كل جهاته وسائر طرقاته وغالب عماراته: اذ يكون عبارة عن مطعم هائل قد اجتمع فيه الآكلون ، وهم بعشرات الالوف يعدون : وقد برزت منهم الاحداق ، الى الصحاف والاطباق ، وفغرت الافواه والاشداق ، وامتدت الرؤوس والاعناق ، حتى اذا اسعفهم الغلمان بالالوان ، تناولوها مسرعين «مسعورين» وعجلوا بها الى هاوية البلاعيم ، بعد ان اعملوا فيها الاضراس ، واستعانوا على الازدراد والالتهام ، بالشراب الحلال والحرام. ثم يتعجلون في الخروج ، لاخلاء المكان لغيرهم من الواقفين لهم بالمرصاد ، المتربصين نهايتهم بفارغ الاصطبار . فاذا كانت الساعة الثانيــة ، أقفلت المطاعم كلها ابوابها في اوجه المساكين المتأخرين ، فيقضى عليهم بالتبلغ حيثما كان وكيفما اتفق . وتتجدد هذه الحال من الساعة السادسة الى التاسعة في كل مساء . وكنت في الغالب اتناول غذائي كل يوم في مملكة غير التي اكلت فيها بالامس حتى اكون طفت الارض آكلاً ... شارباً ... حامداً ... شاكراً . وذلك لعدم الخروج من حومة المعرض وتوفيراً للوقت ... ولأجرة الدخول مرة ثانية .

واعظم ما فقدته من الزمن كان في الانتقالات، لبعد المسافة وانعدام وسائل المواصلات السريعة في داخل المعرض ٠

*
* *

كان يرد على المعرض في بعض الايام نصف مليون من النفوس بل ٦٠٠٠٠٠ اي نحو عدد سكان القاهرة ٠ وانت تعلم ان اهل باريس يزيدون قليلاً عن مليونين ونصف مليون ٠ وعدد العربات التي فيها من جميع الانواع لا يتجاوز ٥٠ ألف عربة ٠ فلذلك كانت وسائل الانتقال من المعرض واليه غير كافية على الاطلاق ، حتى لقد تألفت شركات كثيرة جديدة ، وأُهرع الجم الغفير من الملاحين ومعهم عربات « طوفانية » لتكثير وسائل الانتقال ٠ وصارت المدينة واهل المدينة ورجال البلدية والحكومة يصرخون مع كل ذلك ويتضجرون من عدم كفاءة شركات الاومنيبوس والتراموای الحيواني والبخاري والكهربائي والزوارق البخارية ٠ فاذا كان الانسان ساكناً في اطراف المدينة ، أو على مقربة من رأس احد الخطوط أوجب عليه التبكير في القيام واخذ تذكرته في اوائل المبكرين : ليضمن له مكاناً في احدى العربات او البواخر العمومية ٠ والا اضطر لانتظار الباخرة او العربة الثانية او الثالثة وهلم جرًا ٠ فان كان بعيداً عن رأس الخط ، ضاع عليه الزمن الكثير ان لم يؤثر اتباع الطريقة الفضلى ، وهي استخدام تلك الوسيلة الصادقة النافعة الناجعة التي منحها الباري لكل انسان : واعني بها الاقدام ، لان خسارة نصف ساعة في المشي اولى من انتظار ساعتين او ثلاث ، وهيهات ان يتسنى له الركوب مع تزايد الازدحام كلما مضت ساعة من النهار ٠ اما استخدام عربات الركوب فلا ينبغي له ان يفتكر فيه ، الا اذا كان من اصحاب اليسار ، او كان مضطرًا للاقرار رغماً عن ميزانيته بان « الوقت اثمن من المال »

ولا تتصورن ان الزحام في المعرض اثر على باريس في شيء ما ٠ فهي هي المدينة المعروفة الموصوفة ، المشهورة المشهودة ، والمعرض مدينة طارئة مسحورة ، قائمة الى جانب الاولى مستقلة عنها في كل لوازمها الكثيرة ٠

*
* *

هذه المدينة المسحورة تحتوي على اكثر من مائة الف ساكن : من تاجر وصانع ومحترف

ومتسبب (وهم العارضون) ، خلاف المستخدمين عندهم والمساعدين لهم (وهم اضعافهم) . ويزورها في اليوم اربعة امثال من فيها على التعديل المتوسط . وفيها كل شيء حواه البر والبحر او تضمنه باطن الارض ، او كانت له علاقة بالهواء والسماء . وفيها كافة اصناف الخلائق بجانب بعضها من ابيض الى اصفر ومن اسود الى احمر . وفيها من بدء تلك الكراريس التي يخطها الاطفال في الكتاتيب (وهم لا يزيد سنهم عن الرابعة) لحد الآلات الضخمة الهائلة المخيفة التي تنقل في اليوم الواحد آلافاً من الناس الى آلاف من الكيلومترات وتعمل في الدقيقة الواحدة ما يعمله آلاف من الناس في اليوم او في الاسبوع ، او تبيد في الثانية الواحدة آلافاً من الاجساد : ويقف امامها ابن آدم حائراً باهتاً مذعوراً . وفيها افخر الكنوز المجموعة في متاحف العالم كله .

واني ارجو القارئ ان يتبعني فيما يأتي ليعلم شيئاً عن عظمة هذه المدينة الهائلة

تقررت اقامة المعرض في ١٣ يوليو عام ١٨٩٢ . فاهتمت بامره الامم الحية الحساسة كلها ، واجتهد المجتهدون الذين يصح ان نطلق عليهم لفظة « انسان » لاظهار ما وصلوا اليه من المكانة العالية في معترك الحياة ومضمار الفخار . وتدرج الناس كلهم في سبيل نظامه وانتظامه ، فما جاءت سنة ١٨٩٥ حتى وصل عدد القائمين بترتيبه ١٥٠٠ نفس من ارباب المدارك والاطلاع . وحينئذٍ استقر مندوبو الدول في نفس باريس ، لمباشرة العمل . فجاء على اثرهم العارضون من ٣٠٠٠٠ الى ٥٠٠٠٠ الى ٧٥٠٠٠ الى ١٠٠٠٠٠ بل ازيد . وتكاثرت العلاقات مع ادارة المعرض العام ، حتى بلغ عدد المكاتبات الصادرة منها ٣٠٠٠٠٠٠ رسالة ؛ ولا شك ان عدد الوارد يضاهيها ، ان لم يزد عليها . وبلغ عدد العملة التابعين لهذا الديوان الكبير ٣٥٠٠٠ نفس من شغال ومستخدم وصاحب امتياز ورب التزام . اما الذين طلبوا من هذا الديوان الاذن بزيارة المعرض في الثلاثة شهور الاخيرة من عام ١٨٩٩ ، اي قبل الافتتاح الرسمي وانتهاء الاعمال ، فقد زاد عددهم على ٩٠٠٠٠ نفس . ووردت الى هذا الديوان طلبات تزيد على ١٣٠٠٠٠ لنوال التذاكر المجانية ، وشفع اصحابها كتابتهم بمستنداتهم وصورتهم الفتوغرافية ، فبحث فيها ورتبها ولصق الصور على التذاكر

وختمها وسجلها . وذلك غير الطلبات التي اهملها ، وغير التي صرح بها بعد انقضاء شهر اغسطس الماضي .

*
* *

بلغ عدد العمال المشتغلين في القسمين الكبيرين من المعرض (الشانزليزيه والشان دومارس) ٣٠٠٠ و ٢ عامل مستديم من عام ١٨٩٦ الى عام ١٨٩٩ ، وكان هؤلاء هم الاساسيون (التملية) . اما المعاونون لهم (الظهورات) فكانوا كثيرين جدًا ومنتشرين في جميع انحاء فرنسا وكافة بقاع الدنيا : يقطعون الصخور الكبيرة ويصبّون الكتل الهائلة من الحديد (في فرنسا) ، ويصنعون ابوابًا لايكاد العقل يتصور جسامتها وضخامتها (في الهند الصينية) ، ويصبون في قوالب هائلة معبدًا وثنياً كبيرًا (في بلاد الجاوه) ، وغير ذلك . فكان ما يصنعه العامل الواحد في حومة المعرض مكملاً لما عمله عشرون آخرون على الاقل : بحيث لايقل مجموع العمال الذين اشتغلوا باحداث وتشييد هذه المدنية المسحورة عن ٥٠٠٠٠٠ نفس في مدة اربع سنوات متواليات .

اما الصخور التي استعملت في بناء القصر الكبير والصغير فقد بلغ وزن بعضها ٨٠٠٠ كيلو جرام : اي ثمانية طونولاطات : اي قريبًا من ١٨٠ قنطارًا . وكانوا يقطعونها بمناشير الالماس ، لزيادة التعجيل في العمل والاتقان . وقد استنفد القوم مناجم كثيرة من الفحم والحديد اللذين اودعتهما فيها الطبيعة ، وتركوها قاعًا صفصفًا . ولقد بلغ وزن الحديد المستخدم في بهو الاحتفالات وحده ٣٥٠٠٠٠ كيلو جرام ، اما مجموعة في مباني المعرض وسقائفه فهو ٣٠٠٠٠٠٠٠ كيلو جرام ، ومساحة الارض المغطاة بسقائف الحديد تبلغ ٢٢٠٠٠٠ متر مربع . وقد كان نقل هذا الحديد على ٣٠٠٠٠ عربة من عربات البضاعة في السكك الحديدية ، فلو جعلناها مصفوفة بجانب بعضها لتألف منها قطار طوله ١٤٠ كيلو مترًا : اي ان اول هذا القطار يكون في القاهرة وآخره في دمنهور

اما الآجرّ والزجاج والاصباغ (البويات) والطلاء (الورنيش) والجبس والجص والجيّر والشيد ، فقد كان استعمالها بما توجبه هذه النسبة الهائلة . واستشهد على ذلك بمثال واحد : وهو ان برج ايفل وحده اشتغل بتجديد الوانه ٥٠ عاملاً في مدة

ستة شهور بلا انقطاع · وقد بلغ ثقل هذه الاصباغ وحدها ٦٠٠٠٠ كيلو·

ومن الغرائب ان هذه المدينة توجد تحتها مدينة اخرى، لا يراها الناظرون· ولكن العلم بشيء منها يزيد في الحيرة والاندهاش · نعم فان تحت المعرض شوارع حقيقية يبلغ عرضها متران و٦٠ سنتي ، وارتفاع عقدها وقبوها متران و٧٠ سنتي ، ومجموع طولها ١٥٠٠٠ متر · وهي عبارة عن قنوات تحت ميدان شان دومارس يجري فيها الماء والبخار والكهرباء · وكذلك الكتفان (او البغلتان) الغائصان في اعماق الارض على ضفتي النهر لاستناد قنطرة اسكندر الثالث عليها فقد بلغ البناء فيها ١٥٠٠٠ متر مكعب · وهذا البناء كله مدفون في الماء ، فلا تكاد تراه العين او تخيله الذهن ·

تلك بعض ارقام تدل على عظمة المدينة المسحورة وضخامتها ، ولكن الرشاقة والخلاعة اللتين استأثر بهما ابناء الفرنسيس ، كان لها فيها اكبر حظ واوفر نصيب · فانهم تعللوا بوجود المنفرجات والمنعرجات بين الدور والقصور والعمائر والدساكر فجعلوها رياضاً غناء وحدائق فيحاء يبلغ مسطحها ١١٠٠٠٠ متر مربع ، منها ٤٠٠٠٠ فرشوه بالعشب النضير ، بساطاً عديم النظير · وفي هذه الحدائق ٣٠٠٠ شجرة و٢٨٠٠٠ نجم و١٠٠٠٠٠ نبات من ٥٠٠ نوع من الازهار وغيرها · وهم يتعهدونها كلها بالعناية يومياً بل و بالتجديد عند اللزوم ويسقونها بما يعادل ٣٠٠٠٠٠ لتر من الماء تقريباً في كل يوم ·

اشهر ما امتاز به هذا المعرض توليد قوتي الحركة والكهرباء ، في مدينته العجيبة الغريبة · فانه يرسل ما يلزم من الاولى للآلات والمعامل والمصانع وكل ماله علاقة بالاعمال الميكانيكية في النهار ، حتى اذا احتجبت الشمس ظهر المعرض كله متألقاً بالانوار · ولاجل ذلك عرضوا في قسم الكهرباء والآلات جهازات لتوليد القوة المزدوجة اللازمة ، ومنها ما تعادل قوته ٣٠٠٠ حصان بخاري : فتتولد عن مجموعها في كل دقيقة واحدة قوة تعادل ٢٠٠٠٠ حصان بخاري · واذا دعت الضرورة، امكن لهم مضاعفة ذلك ، اي جعلها ٤٠٠٠٠ حصان بخاري ·

وحياة المعرض بالليل اكثر منها بالنهار · فتراه لذلك يستهلك من الانوار ما يزيد على حاجة مدينة كبيرة يبلغ عدد سكانها ٤٠٠٠٠٠ نفس · وقد استخدموا فيه كافة وسائل الاضاءة من مصابيح الزيت والبترول والغاز والاسيتيلين .... ولكن الفضل الاكبر واليد الطولى ، هما للكهرباء بلامراء · بل انظر الى ما يأتي :

البوابة الاثرية وحدها تضيئها في كل ليلة ٣١١٦ مصباحاً من المصابيح المعظمة للنور و٣٦ فانوساً كبيراً ، وفي قسم الشانزليز به ١٧٤ فانوساً كبيراً ، وفي قسم الانواليد ٢١٥٤ مصباحاً ، وعلى قنطرة الاسكندر الثالث ٥٠٨ ، وفي بهو الاحتفالات ٤٠٥٠ وفي القصر المنير ١٠٢٠٠ مصباح صغير (ولكن انوارها تتضاعف الى ما شاء الله بفضل البلور والزجاج) ، وفي قصر الكهرباء ١٢ فانوساً كبيراً و ٥٠٠ مصباحاً معظماً للانوار وفي قصر الماء ١١٠٠ مصباح متصل بالجهازات التي تنوع انوارها والوانها بما يدهش العقول وخصوصاً الابصار (واسلاك هذا الاتصال لا يقل طولها عن ٨٠ كيلومترا) . فاذا جمعنا كل هذه الانوار الى بعضها لتألفت منها ثريا تتيه على الثريا : اذ يكون ضوءها معادلاً لسبعة آلاف الف شمعة . واما القوة التي تتولد عنها هذه الانوار في ليالي الزينة والوقود المعتادة ، فانها تكفي لرفع برج ايفل في مدة ٢٥ دقيقة فقط الى ارتفاع ٣٠٠ متر في الفضاء . وانت تعلم ان ارتفاعه ٣٠٠ متر وان ثقله ٧٢٣٠٠٠٠٠ كيلوا جرام .

وبهذه المناسبة ، اقول ان الفحم الحجري الذي يستهلكه المعرض في كل يوم لتوليد هذه القوة الهائلة هو عبارة عن ٣٠٠ طونولاطه . واما الماء اللازم لادارة هذه الآلات فهو ١٥٠٠٠٠ لتر في كل ساعة واحدة : فلو تركوا حنفياته مفتوحة مدة عشر ساعات فقط ، لاغرق ميدان شان دومارس كله وجعله بحيرة يبلغ عمقها ٤ سنتيمترات . وقد اخبرتك ان هذا الميدان تبلغ مساحته ٥٠ هيكتاراً مربعاً . ولو اوقدوا تحت هذه البحيرة المتباعدة الاطراف ، المائتي طن من الفحم التي يستخدمونها في المعرض يومياً ، لاوصلت حرارة مائها كله الى درجة ٣٠ فوق الصفر بميزان سانتيغراد . وليست الكهرباء وحدها هي التي تبتلع الماء ، بل هنالك ايضاً نوافيره وفوارانه ومساقطه الصناعية في القصر المخصص له ، فقد يصل عرضها الى ١٠ امتار وارتفاعها الى ٣٠ متراً . ويلزم لها في الساعة الواحدة **اربعة ملايين ونصف مليون لتر من الماء** .

ولهذه المدينة حراس واعوان ، فان حركتها لاتسكن الا بعد انتصاف الليل بثلاث ساعات ، اذ تنطفئ الانوار كلها . ولكن لا ينقطع منها طواف العسس والنوبة وهم لا يقل عددهم عن ٣٠٠ رجل ، بخلاف الخفراء المخصصين لبعض الاقسام بجانب كنوز نادرة وتحف نفيسة . ويتعاقب طوف العسس مع طوف المطافئ ، مبالغة في الحفظ

والوقاية : فلا يكون السكون والهجوع تامين على الاطلاق ، في هذه المدينة الوفيرة الغنى ، حتى في اخص الاوقات بالمنام ·

فاذا لاحت غرة الصباح ، اي في مبدإ الساعة الخامسة ، استيقظ عمال البساتين والحدائق لكنسها ورشها وتجديد نظامها · ثم يتوارد المراقبون على ابواب المعرض ، حتى تكون الساعة السادسة فتشتد الحركة وترتفع الجلبة بمجيء الموردين وعما لهم وما معهم من الاصناف ، وخصوصاً خدم القهاوي والمطاعم والتياترات والملاهي بلوازمها · وفي الساعة الثامنة يأتي الوقادون والميكانيكيون لينفخوا روح الحياة في هذا الكائن العظيم ، فترتفع في الفضاء قعقعة يصحبها دوي هائل وارتجاج متواصل ، دلالةً على ان دواليب الآلات البخارية والكهربائية قد اخذت في الدوران · فاذا جاءت الساعة الثامنة توافد السكان الرسميون لهذه المدينة العجيبة على ابوابها : وهم ٤٠٠ مراقب لدخول الجمهور ، و ١٠٠٠ حارس في الاروقة والقصور ، و ٣٠٠ بستاني للقيام بالرش في الحدائق والجنّات ، و ٦٠٠ رجل من ارباب الحفظ والشرطة ، و ٣٠٠ فارس و ٥٠٠ جندي من الحرس الجمهوري ، وبعض رجال البوليس الدرّاجين (اي راكبي الدراجات) ، وفرقة الغطاسين و ٦٠ رجلاً من رجال المطافئ · فمجموعهم يبلغ نحو ٣٠٠٠ رجل كلهم بالكساوي الرسمية · وزد عليهم ١٥٠٠٠ غلام بالاقل من المستخدمين في القهاوي ، خلاف المخصصين لخدمة المطاعم والملاهي الاجنبية (١) ودافعي الكراسي المتحركة وعمال البريد والسكة الحديد ، ونحو ١٠٠٠ نفس ممن يبيعون تذاكر الدخول على الابواب · فلا يقل جمع الجموع الرسمية من هؤلاء السكان عن ١٢٠٠٠ انسان ، يكتسب الواحد منهم في المتوسط ١٥ فرنكاً في اليوم على الاقل ·

اما عدد الداخلين يومياً الى هذه المدينة فيبلغ متوسطة ٢٠٠٠٠٠ نفس بالاقل ، ويقول اهل الاحصاء ان مجموعهم سيصل عند انتهاء المعرض الى ٤٠ أو ٤٥ مليون من بني آدم · ولا غرو فقد بلغ عدد القادمين من الاغراب عن طريق محطة الشمال بمدينة باريس ١,٤٦٨,٤١٩ وذلك من ١٥ ابريل الى ١٥ يونيو ، ومن محطتي الشرق (ستراسبورغ والباستيل) في شهر مايو فقط ١,٣٧١,٨٤٠ ، ومن محطتي الغرب

(١) فقد بلغ عددهم ٢٠٠ نفس في تياترو الهند الصينية وحده

(سان لازار ومونبارناس) في النصف الاول من شهر يونيو ۲۷۲و۰۹۰و۱ ؛ بل قد بلغ عدد الراكبين من سكان باريس من محطة سان لازار الى محطة الانواليد بالمعرض في يوم احد واحد في شهر يونيو ٤٨١و١٠٣ ؛ بل قد انتق كثير من اهل القرى في فرنسا و بلجيكا والمانيا على التقتير والتوفير من قوتهم اليومي مدة بضعة شهور حتى تجمد لهم مبلغ زاروا به المعرض ؛ وكانوا يحضرون اليه زرافات زرافات وعلى رؤوسهم علامات اصطلاحية ليتعارفوا بها ويجتمعوا بالنظر اليها ، فلا يضلون ولا يتفرقون في الازدحام الشديد ؛ بل فرض امير بخارى جزية على رعاياه لجميع المال اللازم لزيارة المعرض والاشتراك فيه ؛ بل جاءت اليه قوافل من بوادي بلادالعرب قطعت المسافة في ١٥ شهرًا مشتغلة بالكسب والتجارة في اثناء طريقها ؛ بل ان رجلاً متوسط الحال من اهل ويانة عاصمة النمسا اصطنع لنفسه كرسيًا كبيرًا له عجلات ووضع فيه زوجته وولديه ثم صار يدفع الكرسي امامه حتى دخل المعرض ؛ بل ان احد كبار المعامل في اسكتلندة (من اعمال بريطانيا العظمى) لم ير طريقة لمكافأة الصادقين المجتهدين من عماله سوى انه ارسل ۳۰۰۰ منهم على نفقته الخصوصية الى ذلك المعرض ؛ بل ان ۳۰۰ رجل من صائدي الاسماك في احد ثغور فرنسا (وهو بولونيا) اشتركوا مع بعضهم فوفروا من ثمرة اتعابهم الزهيدة مبلغًا تيسر لهم به زيارة المعرض ؛ بل ان ١٠٠ تلميذ من طلبة المدارس في بلاد السويد اقتصدوا من مصروف « جيبهم » مبلغًا حجوا به الى هذه الآية الكبرى ليزدادوا علمًا واطلاعًا في وقت قصير وبمال يسير ؛ بل ان اثنين من الشبان تراهنا مع جماعة آخرين على ان يذهبا من اطراف النمسا الى وسط المعرض سائرين على الاقدام ، وهما يدفعان امامهما برميلاً كبيرًا مصنوعًا باحكام ، يدفعانه على الطرقات وعلى منزلقات الروابي والجبال في الصعود ، ويحفظانه من التهشم والانكسار في حالة الاندفاع والسقوط اثناء الهبوط ؛ وقد كسبا الرهان ؛ بل ان العمـلة المشتغلين بالبساتين في بلاد الدانيمرك وبالكروم في بلاد البرتقال ، وبالحديد في بلاد المجر ، وبالفنون في بلاد النمسا توافدوا جماعات جماعات بمثل هذه الوسائل للتمتع بمجالي هذا المعرض الجميل الهائل . وبهذه المثابة كانت حومته تحتوي في كل يوم ۳۰۰ ألف الى ٤٠٠ ألف نفس من جميع الطبقات والعناصر والاصقاع والممالك .

وهذا بيان بسيط بليغ عن مقدار المأكول والمشروب في المعرض في شهر واحد :

اولاً — (بالكيلوجرام) — ٩٠٠٠٠٠٠ من اللحوم ، و٢٥٠٠٠٠٠ من الاسماك ، و٥٠٠٠٠٠ من الطيور ، و٢٠٠٠٠٠٠ من الزبدة والمسلي والجبن ، و٩٤٠٠٠٠ من البيض و٣٠٠٠٠٠ من الخبز ، و٦٠٠٠٠٠ من الملح ، و٤٠٠٠٠ من الفلفل ، و٢٠٠٠٠٠ من الخردل (المستردة)

ثانياً — (بالهكتولتر) — ٥٦٠٠٠٠ من النبيذ ، و٢٦٠٠٠٠ من الجعة (البيرة) و٢٠٠٠٠ من الكحول والمشروبات الروحية . وهذا وذاك خلاف الاصناف الاخرى التي لا تدخل تحت حصر ، ولا يضبطها ميزان ولا مكيال .

ولاجل زيادة التقريب الى الاذهان ، اقول ان المشروب في يوم واحد معتاد يبلغ ١٠٠٠٠٠ لترمن الجعة اي ٤٠٠٠٠٠ كوب [1] و١٨٠٠٠٠ لترمن النبيذ . واما المأكول من الاصناف الاساسية فكان عبارة عن ٣٠٠٠٠ رطل من الخبز و١٠٠ ثور و٢٠٠ رأس من الضأن . فتأمل !

اما ثروة هذه المدينة البديعة النظير ، فتعد بالمليارات ، ولا سبيل الى التقدير . فان المصنوعات الثمينة المجموعة في القصر الكبير والصغير وفي قصور الامم الاخرى ، مما لا يكاد العقل يقبل قيمتها : لانها تفوق كل الحدود ، فنتركها وشأنها . واعلم ان باباً واحداً في مابنى واحد (رهو الطواف حول الارض) جعلوه محاكياً لباب احد المعابد الهندية ، فزادت اكلافه على ١٠٠٠٠٠ فرنك . ومعرض الجواهر وحده يساوي مئات الملايين : اذ فيه حجر واحد من البهرمان أي اللعل وهو الياقوت الاحمر (Rubis) قوّموه بمبلغ ٣٠٠٠٠٠ فرنك . وقد أفضنا لك في الكلام على الملايين المعروضة في القسم الخاص باوستراليا في صحيفة ١٨٣ وما يليها ، وقد عرضت مستعمرة الكاب اي « رأس الرجا » حجر الماس واحد وأمنت عليه احدى شركات التأمين من السرقة « السكورتاه » بمبلغ ١٠ ملايين من الفرنكات (وهو بعض قيمته) . وبلغت قيمة التامين من السرقة على القصر الكبير والصغير وحدهما ٨٠ مليون من الفرنكات ، مع انهم

---

(1) الكوب لفظ عربي معروف . ومن الغريب ان مقابله (بوك = Bock) هو اللفظ الافرنكي المستعمل بنوع خصوصي للدلالة على الكاس الذي يشربون فيه الجعة .

يؤكدون ان التحائف التي في القصر الصغير تزيد على ذلك زيادة فاحشة . ومعرض مدينة باريس مؤمن عليهِ بمبلغ ٤٠٥٠٠٠ فرنك . ومجموعات بعض المعارض الرجعية (Expositions Rétrospectives) بمبلغ ٣٠ مليون . فاذا اضفنا الى ذلك المبالغ المخصصة للتامين على الحريق ايضاً وصل مجموعها عن هذه الانواع الثلاثة فقط ٢١٠ مليون . ومع ذلك فهنالك معروضات كثيرة لم تجترئ شركات التامين على ضمانها لارتفاع قيمتها الى ما هو فوق المعقول، فبقيت بلا تامين تحت حراسة الاعوان والارصاد والموكلين : وذلك مثل قصر المجر وغيره . والحق يقال ان ثروة هذا المعرض لا يمكن الوصول الى معرفتها او تقديرها ولو بطريق التقريب والتخمين . وذلك بخلاف ميزانيتهِ فانها معلومة ظاهرة : اذ هي تتألف من ١٠٠ مليون من الفرنكات (٦٠ من البونات و٢٠ من الحكومة و٢٠ من مدينة باريس) بخلاف ما يستولي عليهِ من قيمة الامتيازات والالتزامات والمزادات . واما مصروفهُ فقد بلغ ٣٥ مليوناً لبناء القصرين ، و٦٠٠٠٠ فرنك للبساتين والرياض ، ومليون واحد لزخرفة قنطرة اسكندر الثالث . فهو ينفق عن سعة و يد مبسوطة حتى ان مصاريفهُ في ليلة الوفود الواحدة تكلفهُ ٥٠ الف فرنك وزيادة .

وبلغت مقادير الاعتمادات التي قررتها الدول الاجنبية لاشتراكها في المعرض ٤٦ مليوناً . واكبرها ما صرفتهُ النمسا (٧٥٠٠٠٠٠) فالمانيا (٦٠٠٠٠٠٠و٦) فالولايات المتحدة بامريكا (٧٫٥٠٠٫٠٠٠) . وكل هذه الاعتمادات هي في الحقيقة ايرادات دخلت في خزينة المعرض .

اما الملاهي المتنوعة والالتزامات الصغيرة والامتيازات الحقيرة ، فكان لهُ منها دخل عظيم . فقد رسا المزاد على نشر البرنامج الرسمي اي قائمة كافة المعروضات (Catalogue) بمبلغ ٣٥٢ ألف فرنك ، وزاد ثمن ايجار المتر المربع من الارض الفضاء بميدان شان دومارس على ١٠٠٠ فرنك ، ودفع قصر البصريات عن ايجار الارض التي يشغلها ٨٥٠٠٠٠ فرنك ، وقصر الازياء ٤٥٠٠٠٠ ، وقرية سويسرة ٣٠٠٠٠٠ . بل ان احد الملاهي في جهة التروكاديرو التزم بدفع مبلغ ١٢٠٠٠٠ فرنك . . . فقط لاجل ان ينال الاذن بفتح بابين موصلين لحومة المعرض . وبائع السجق او تذاكر البوستة داخل المعرض يجب عليهِ ان يدفع رسماً للادارة قدره اربعة آلاف او خمسة

آلاف فرنك . وإدارة مناظر « الطواف حول الدنيا » التزمت باستعمال رأس مال قدره ۳ مليون ، واقل ملهى في شارع باريس المسمى بشارع التفريح تديره شركة رأس مالها ۳۰۰٫۰۰۰ فرنك .

فانظر بعد هذه الارقام وهذه البيانات الى ما يجرّه المعرض من تداول الاموال وتبادل المنافع واشتراك المصالح . فكل ذلك موجب لازدياد الثروة وتوسيع نطاق العمران . ولا شك ان الامة والافراد الذين قاموا بهذا العمل الجسيم الهائل خير قيام ، قد وصلوا الى درجة عالية ومكانة راقية من العلم والحضارة ، ومن المقدرة على العمل وتذليل الصعوبات الحسية والمعنوية . وسيبقى هذا الأثر النافع من كل الوجوه ، خالدًا في النفوس والصدور ، وبه يكون الفخر والفخم ختام ، للقرن التاسع عشر الذي ينتهي في هذا العام .

عود الى المحراث البخاري

اشرت في الرسالة التاسعة الصادرة في ۲۸ اغسطس سنة ۱۹۰۰ الى هذا المحراث الذي اعتبره علماء الفلاحة والميكانيكا من افضل آيات المعرض، واطنبتُ في شرحه وبيان فوائده على قدر ما وسعة المقام .

ومن الغريب ان هذا البحث الذي كان يجب ان يهتم له اهل مصر بنوع خصوصي لكون الاختراع منسوبًا اليهم (ويؤجر المرء رغم انفه) ، ولكون فوائده العظمى تعود على مزارعهم ، لم يتفطنوا اليه بالكلية ، الا نفرًا قليلاً طلبوا مني زيادة الشرح والبيان . اما مجموع الامة ومجموع جرائدها فقد بقيا في غفلة ومنام .

أفلا يحق لمصر ان تخجل من تركها هذا الامر المهم في زوايا النسيان ؟ وان تتنبه له جريدة « البشير » الغراء : وهي كما يعلم الناس لسان حال الآباء اليسوعيين وتطبع في بيروت وقد وقفت نفسها على خدمة المذهب الكاثوليكي والادب العربي . ولكنها يحق لها الفخر والشكر لانها رأت وجه الفائدة فنقلت عبارة المحراث « عن الدنيا في باريس » . كيف لا وان جريدة « صدى الاهرام » التي تطبع في الاسكندرية تنبهت لهذا الفصل ولو بعد حين فنقلته في اواخر سبتمبر الماضي عن « البشير » عن « الدنيا في باريس » . نعم كان الاجدر بها ان تكون السابقة في التنبيه اليه والتنويه به لانها سبقت « البشير » في الاطلاع عليه ولانها احق منه بخدمة مصر . وعلى كل حال فهي جديرة بالثناء لانها

انفردت عن سائر الجرائد المصرية بهذا الأثر ، ولو انها جاءت متأخرة .

ولقد صدق القائل : «ليس لنبي كرامة في وطنه » . فاني رأيت كثيراً من الافرنج بمصر يلهجون بأمر هذا المحراث ساء على ما رأوه في جريدة « اجيبشان غازت » وقد نشرت عنه فصلاً طويلاً باللغة الفرنساوية في عددها الصادر في ٩ اكتوبر وما يليه . ولم تخرج عن حد الوصف والبيان اللذين سبقناها فيهما باتحاف قراء العربية .

فحبذا لو افاقت جرائدنا المصرية من غفوتها وغفلتها ، وخصصت لمثل ذلك شيئاً من وقتها وكتابتها ، ووفرت جزءاً من مادة مما اعتادته من الترترة والمهاترة . والوقيعة بعضها في المناظرة والمكابرة . فذلك اخلق بها وايسر لما خلقت له . والله ولي التوفيق .

عود الى آلة مسح الاحذية

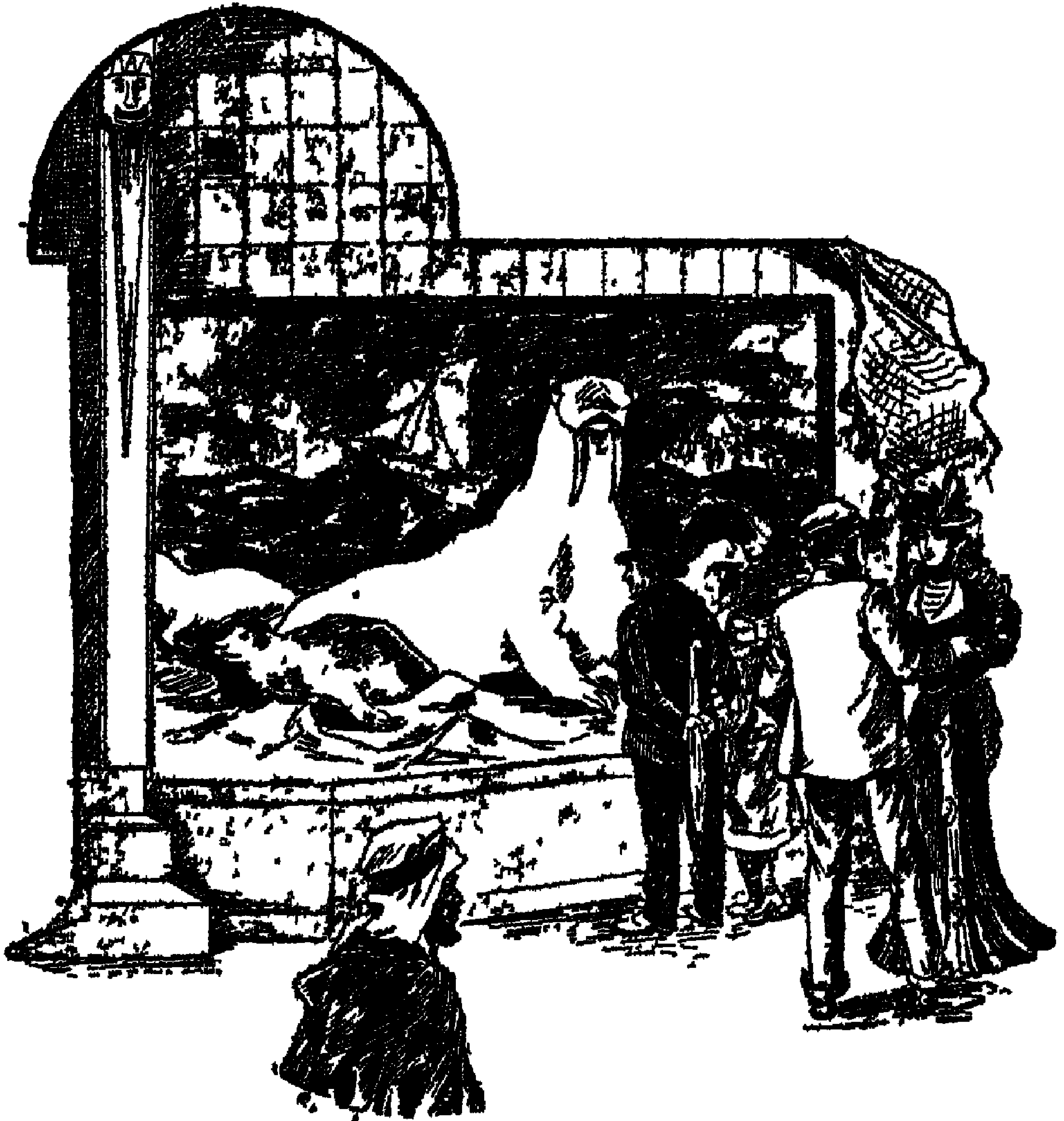
ومما يدخل في هذا الباب ايضاً ، اني اشرت في صحيفة ١٤٤ من الرسالة الثامنة الصادرة في الرابع من شهر اغسطس سنة ١٩٠٠ الى الآلة الميكانيكية التي تمسح بنفسها الاحذية (الجزم) . وهنا استميح القراء في ابداء سروري الكثير لاني سبقت في ذلك جريدة « الدينا » الشهيرة التي تطبع في نفس باريس ويكاد يكون لها في فرنسا ما لجريدة التيمس من المكانة العليا في بريطانيا العظمى . فانها إنما اشارت الى هذا الاختراع في عددها الصادر في ٢١ سبتمبر الماضي . ولست ارى بعد ذلك موجباً لزيادة الاطالة في الكلام . وإنما اشرت الى هذا الامر والذي قبله لخطارة الجرائد المذكورة ولاهمية المواضيع التي دار البحث عليها .

اما كون البعض او الاغلب انتحلوا كثيراً من البيانات التي اوردتها والتحقيقات التي تحصلت عليها ثم وسعوها وتحولوا فيها فذلك ما يسرني ايضاً وان كانوا لم يعرفوا الفضل لاصحابه لان هذه عادة الكتاب في الشرق ولا ارى موجباً للايضاح لان الامر عندي طفيف تافه . وإنما اسأله تعالى ان يكثر بيننا من الكتاب والباحثين الجديرين بهذا النعت لنتعاون كلنا على رفع شان الشرق بنية خالصة وقلب سليم .

هذا وقد سألني بعض المغرمين بالميكانيكيات عن اسم وعنوان الشركة القائمة بعمل آلات مسح الجزم فافيدهم انها تدعى .

شركة الآلات الماسحة للجزم نمرة ٢٣ شارع جدر انتين باريس

Société Française de Circurs Automatiques,
23 Rue de la Chaussée d'Antin Paris



صورة الفقمة

التي سبق الكلام عليها في صحيفة ١٩٥

من الرسالة الحادية عشرة



القصر الالماني

المعارض على العموم كلها ميدان مغالبة ونضال ومزاحمة ورجحان ، بين اهل الصناعات والتجارات ، وكل ما يدخل في حيز الافكار والاعمال . فاذا كانت عمومية دولية ، اتسعت فيها دائرة القتال ، ولكنهُ قتال سكينة وسلام : يفوز فيها الغالب بالافتخار ، ويستفيد المغلوب بالاعتبار والاستبصار . وكلاهما يقول :

وحيثما كلنا يسعى الى غرض فحبذا ناضل منا ومنضول

وقد كانت للمعارض اليد الطولى في ارتقاء الشعوب والاجيال ، الى الدرجة العصرية التي لا يكاد يدركها طائف الخيال ، ولا يحوم حولها طائر الافكار .

فلما عزمت فرنسا على اقامة هذا المعرض الهائل ، دعت الدول كلها والامم بأجمعها ، للاشتراك معها ، في تمجيد هذا القرن التاسع عشر : تمجيداً يليق بما تمّ فيهِ من الاكتشافات والاختراعات ، وخصوصاً تقريب البعيد ، وجعل المستحيل من الممكنات . فلبَّاها العالَم بأسره ، ووالت الامم الحية الحساسة سعيها بالليل والنهار ، لابراز ما صات اليهِ من علالي الارتقاء وموجبات العز والفخار . وكانت المانيا (جارتها وخصيمتها) اوَّل من أجاب النداء ، لتثبت على رؤُوس الاشهاد ، في هذه الفرصة السانحة ، أنها قطعت في طريق التقدم والعمران ، شوطاً لا يدانيها فيه غيرها من الامم والبُلدان . ولتبرهن انها السابقة على حدّ سواء : في مضماري السيف والقلم ، وانها تكاد تكون المنفردة بين الامم : في الاخذ بناصيتي العلم والعمل . فتألفت آلاف من اللجنات في عواصمها وحواضرها وقواعدها ، لارشاد الامة بأجمعها الى الوسائل التي تضمن

لها الحلول في المقام الاول ، والاستقرار في المركز المحمود ، والرسوخ في المقـام المغبوط ؛ وساعدتها الصحافة على اختلاف المشارب والاميال ، وتباين المقاصد والاغراض ؛ وانبرى اهل اليراع واللسان في ميادين الجرائد ، وفوق أعواد المنابر ؛ وكان اهل المظاهر والحيثيات يستخدمون جاههم ونفوذهم في النوادي والمجتمعات : وكلهم يرمون الى قصد واحد، ألاَ وهو وجوب التعاون (بالاجماع والاجتماع) للوصول إلى هذه الغاية السامية التي لا تكاد تُنال ، في مثل هذا المجال . وتخالط الوزراء والحكام بأصحاب التجارة والصناعة والزراعة ، يشجعونهم ويحضونهم بما هو اشبه بالامر الواجب الامتثال . وكان مصدر هذه الحركة الجسيمة العميمة ، شخص ولا كالاشخاص ، بل فرد واحد اجتمعت فيـهِ الآلاف . وهو هو الغربيّ ، الذي يصدق عليهِ قول العربيّ :

وليس على الله بمستنكرٍ　　ان يجمع العالم في واحد

هذا هو امبراطورهم الهمام المقدام { غليوم الثانى } حامل لواءهم الاكبر ، والمتحلي بتاجهم الافخر ، والقابض على صولجان ملكهم الازهر ، وقائد العسكر المظفَّر ، المجدّد في الغرب لسنة هارون والمأمون ، في الفوز باكبر نصيب في جميع العلوم والفنون ، وفي رفع شأن اهل المعارف ، وموالاتهم بالعنايات والعوارف ، وإدنائهم الى مقامه العالي ، وغمرهم بفضله المتوالي . ومن كان هذا نعته ، فليس بعجيب ما نرويه عنه : من أنهُ كان لا يأنف من محـادثة الصغير ومجاملته ، وحث الكبير وملاطفته ، ليجعل أمته في مقدمة الامم ، كما جعل لدولته المقام الاوّل ، في سياسة الدول ، حتى صح لها ان تمثل ، بقول السموأل :

ونكر إن شئنا على الناس قولهم　　ولا ينكرون القول حين نقول

فقد أمر بفتح اعتماد قدره ستة ملايين وربع مليون من القرنكات ، لاشتراك دولته في المعرض العام . ثم دلّته بصيرته الكاشفة وحكمته السامية ، الى ان هذا المبلغ البالغ لا يفي بما قام في نفسه الكبيرة ، وطمحت اليهِ همته الجليلة من التوسع في الاشتراك ، والاجتهاد في الفوقان والرجحان ، لاحراز قصب السبق في كل ميدان ؛ فزادهُ حتى اوصلهُ الى ٦,٦٠٩,٠٠٠ اي ٢٣١,١١٥ من الجنيهات المصرية . ثم انهُ امر بعمل مسابقة بين نوابغ المهندسين الالمانيين ، لرسم القصر الذي تتمثل فيهِ دولته في شارع الامم بمعرض باريس . فلما تقدموا اليهِ بما ابتكرتهُ قرائحهم ، عقد جمعية من اكابر العلماء تحت رياسته الفعلية (لا الفخرية) . وكان في وسطهم في برلين ، اشبه الملوك بالمأمون العباسي في بغداد ، والحكم الاموي الاندلسي في قرطبة : يشاركهم في البحث والمناقشة والتعقب والاستدراك والاستحسان بالبرهان والتعليل بالدليل حتى قر الرأي على احد المشروعات . ثم انفرد هو بهذا المشروع ، وتولى تنقيحه بنفسه ، تنقيحاً طأطأ لهُ العارفون رؤوسهم : لا لكونه الامبراطور ، بل لانهُ العالم العامل ، والحافظ العارف ، والحجة الثقة ، ابدى من سمو الافكار ، وبُعد الانظار ، ما جعلهم كلهم يشهد لهُ باصابة المرمى ، وتوفيق الامر طبق المرام .

وهكذا فلتكن الملوك والحكام .

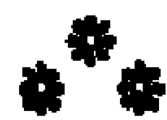
هذا ، وقد أعرب (بل ترجم) مدير المعرض الالماني عن رأي الامبراطور في الغرض الذي تسعى وراءهُ المانيا ، اذ قال : « إن الملأ يتغامزون علينا ، ويعيّروننا باصطناع الخسيس الرخيص . وسيتحقق الناس اجمعون بان هذا الانتقاد ، ليس لهُ نصيب من الصواب والسداد ، متى رأوا معروضاتنا سابقة

فائزة في كل باب . »

وقد هبّت الامة الالمانية عن بكرة أبيها ، فأظهرت ان هذا الظن كلهُ إثم وإفك وبهتان ، انما دعا اليهِ انخذال الاغيار ، في ميدان المناظرة في الاصطناع ، والمزاحمة في الاتّجار ، وأن هذه كانت ولا تزال ، الحجة التي يتمسك بها المغلوب في اي مضمار .

ولم يكتفِ الامبراطور بذلك ، بل انتقى بنفسه جميع الاعضاء العاملين في القسم الالماني ، وامرهم ان يحيطوه علماً بكل دقيق وجليل ؛ واشرف بنفسه على جميع اعمالهم ، حتى تتحقق امنيته في جعل المعروضات الالمانية ، رسمية أو غير رسمية ، ذات الفائدة الكبرى والمظهر الابهر ، ليكون مجموعها من نوادر الزمان ، يتحدث عنها الركبان ، وتضرب بها الامثال . وتعلقت ارادته بجعل القصر الالماني دليلاً على ثمرات العقول ونتائج الآداب ، في امبراطوريته الواسعة الاطراف . فجاء هذا القصر جامعاً للاعمال التي ساعدت على تحرير الفكر وزينته ، وللاعمال التي حوّلت الفكر ، الى ما يعود بالخير العام على بني الانسان .

ونحن نصف لك الآن هذا القصر الجليل بالتفصيل القليل ، ثم نجري على عادتنا مع الامم الاخرى ، في إتباعه بالكلام ، على معروضات الالمان بوجه عام .



ارسلت المانيا عمالاً من ابنائها ، لتشييد هذا القصر على مسطح من الارض لا يتجاوز ٧٠٠ متر مربع . وقد جعلوهُ دليلاً كاملاً على اساليبهم في العمارة والبناء ، قديماً وحديثاً . ولم يتفق ذلك لامة اخرى . فكل واجهة من

واجهاته الاربع لها رمز مخصوص ، ومنظر مخصوص . وكلها تدل على الضخامة والفخامة ، والمتانة والصلابة ، مع ما فيها من اساليب الزخرفة والرفاهة .

ولا يدخلهُ الناس جزافاً ، بل طائفةً بعد أخرى . فلما تجاوزتُ بابه ، عرتني (مثل الدين معي ومثل الذين سبقوني والذين لحقوني) دهشة يصحبها إعجاب واجلال ، وتملكت فؤادي عواطف التبجيل والتوقير ، وأرسلتُ الطرف الى ما حواه ، وجسماني كله خاضع ، رغماً عني ، لعلامات الاكرام والاعظام .

فقد امتاز هذا القصر المتناهي في الجلال والجمال ، من حيث التشييد والبناء ، بأمرٍ لم يخطر على العقول والالباب . لذلك ترى العامة والذين ينظرون الى الاشياء بنظر سطحي ، وفكر بسيط ، يخرجون منهُ وهم لا يدرون شيئاً سوى انهم معجبون بما فيهِ من موجبات الابهة ومجالي البهاء . نعم فقد جعلوهُ دليلاً على ما وصلت اليهِ العقول وابرزتهُ القرائح في بلادهم ، من الوجهة العلمية فقط . وشحنوا اقسام المعرض الاخرى ، بنتائج هذه الافكار وآثار هذه التصورات ، من الوجهة العملية . رأيت فيهِ مجموعة الكتب وكافة طرائق التدريس والطبع والنقش والتصوير والتعريف والاعلام والاعلان . فهو يحتوي على خلاصة ما جادت بهِ العقول ، ودلت عليهِ المدارك في سائر انواع العلوم . وليس على التاجر والصانع والزارع وسائر طبقات الناس ، سوى الاسترشاد بما حوته هذه الاوراق . فالقصر هو إذن عبارة عن معرض للكتاب . وانت ادرى ان الكتاب هو اقوى آلة وافضل سلاح ، في ميدان الفوز والفتح والنجاح . فكأنّ هذا القصر مدرسة لكل داخل . إذا تصفح الكتب ، وقف بالطريقة النظرية على حركة المانيا وتقدمها المدهش . فاذا اراد ان يقرن العلم بالعمل ، ويعرف مقدار

ما وصلت اليهِ من العظمة والجلال ، توجه الى سائر اقسام المعرض ، فرأى ما يوجب لهُ الحيرة والذهول .

واوّل ما يراهُ الداخل ، هرماً ضخماً أقاموهُ في وسط البهو الكبير ، من سائر اصناف حروف المطابع ، ورأى على قمة الهرم تمثال غو تمبرغ الذي تفخر بهِ المانيا على المتمدنين اجمعين : لانهُ مخترع فن الطباعة التي هي اساس الحضارة العصرية .

وقد ازدانت جدران هذا البهو الشائق ، بتمثيل اطوار الانسان من يوم بلوغه سن الرشاد ، الى أن يأتيه الكتاب ، الى أن يُحشر في يوم الجزاء ، لينال حقه من العذاب ، أو يصيبه نصيبه من العقاب . وفوق رؤوس الزائرين ، يرى الانسان ، في السقف ، صوراً رمزية تمثل الحقد والحسد والحرب وكافة الرذائل والنقائص التي ينحصر فيها شقاء بني آدم .

فاذا صعد الى الدور العلوى ، ارتاحت نفسه وانشرح صدره . اذ يرى ثلاث صور تمثل « الدين والوطن والعدل » اي ينابيع السعادة والهناء في هذه الدنيا . وهي بحيث تأخذ بالعقول وتستهوى الالباب . واذ انتقل في غرفه ، زادت دهشته من معروضات ثمرات العقول ، في بطون الدفاتر والاوراق .

وفي هذا الدور يرى الممتازون (بتذاكر خصوصية صعبة المنال) غرف الاستقبال ، وقد انتهت اليها اساليب الزخرفة وفنون الجمال . ذلك لان الامبراطور العظيم ، اراد ان يجعلها تحفة لا تخطر على البال ، وتكون فتنة للعقول والالباب . فارسل اليها طرفاً عديمة النظير ، مما جمعهُ جده فردريك الكبير ، وطال تشوف الناس لرؤيتها ، وخصوصاً اهل فرنسا : لانها من آثار ارباب القرائح من

ابائهم الاوّلين . وهي عبارة عن تصاوير وتزاويق وموائد ومفروشات واثاثات وستائر وابسطة وطنافس ونحو ذلك من بدائع التحف التي يقف العقل امامها باهتاً حائراً . فكنتُ ارى اعاظمهم يكادون يلتهمونها ولا يشبعون من النظر اليها ، وتبدو عليهم علائم الحسرة واللهفة واللوعة والاعجاب والاستحسان التام ويكاد لسان حالهم يقول : « هذه غنائم توازي ولايتي الالزاس واللورين » لان المانيا احرزتها في السلم بقوة الدرهم والدينار ، كما استولت على المقاطعتين في زمن الحرب بقوة الصارم البتار . وقد استحسن كتّابهم وفضلاؤهم ذوق الامبراطور في ارسال هذه التحف الى معرضهم ، ولطالما كانوا اليها مشتاقين . وعندي انهُ رمى طائرين بحجر واحد : فانهُ جاملهم واجاب امنيةً كانت تتردد في افئدتهم من زمان مديد ، وأظهر للناس فضل المانيا بتوصلها الى الاستئثار بهذه الذخائر والاعلاق ، ومحافظتها عليها . أما الغرف التي وضعت فيها هذه النفائس فجديرة بالاعجاب من كل الوجوه . لان سقف احداها ، كأنهُ الفضة الخالصة بل هو احلى واغلى : اذ هو البلاتين ، ان لم يكن بعينه فبلونه . ومما يستحق الذكر لابناء الشرق (الذين لا يدركون الى الآن قيمة التصاوير والنقوش) سكردانٌ بديع مغشى بالذَبَل (الباغة) كأنها قطعة واحدة وهي مصفحة بالفضة والبلور . ورأيت في احدى الغرف تمثالاً نصفياً لڤولتير حكيم فرنسا الشهير ، وكان الناس يتقاطرون لرؤيته افواجاً . وكان من اكبر اصدقاء فريدريك المذكور . وقد بالغوا في الاحتفاظ بالتحف التي فيه ، فلا يراها الا خواص الخواص ، كأن ابناء الالمان ادركوا قول العربي : (كل معروض يهان) ، ولو في المعرض العام .

والخلاصة ان الطائف في غرف الدور العلوي ، يرى حركة العقل مستمرة ، ويخرج من القصر متعجباً مندهشاً ، خصوصاً وان المانيا ليست مثل بعض الدول والامم الثانوية ، في جعل قصرها المنيف عبارة عن سوق وقهاوٍ ومراقص وملاهٍ ونحو ذلك من السخريات . بل هو عبارة عن معرض العقل والعلم والجد ، ولله في خلقه آيات !

عموميات

« على المعروضات الالمانية »

اشترك اهل هذه البلاد في اغلب اقسام المعرض ، وناظروا بل فاقوا الجم الغفير ، بل السواد الاعظم من العارضين : في حسن الذوق ، وكمال الاتقان ، واسترعاء الانظار ، واختلاب الالباب .

وكأني بهم قد ارادوا جعل الضخامة رائدهم ، فاتخذوا الضخامة شعارهم ، في كل معروضاتهم .

فلقد امتاز قصرهم الرسمي بالضخامة في البنيان ، وفي السلم الكبير المنقور في الرخام ، وفي الثريات المعلقة في السقوف ، وفي التصاوير التي ازدانت بها الجدران .

وانفردت رسومهم وتصاويرهم في قصر الفنون الجميلة بالضخامة ايضاً ، خصوصاً مع الستائر الصفيقة والطنافس الكثيفة التي كانت تخفت معها الاصوات وتوجب على الطائفين خشوعاً تاماً ، كأن على رؤوسهم الطير .

وتجلت الضخامة في اكبر مظاهرها ، في معروضات الصنائع المختلفة بقسم

الانواليد : حيث يرى الزائر في وسط القسم المخصص لالمانيا ، صخوراً كبيرة متراكمة على بعضها ، وفوقها نسر ضخم قد نشر جناحيه في الفضاء وهو يصرع بمخليه تنيناً هائلاً . وحول هذا النسر ، الذي هو شارة الدولة ورنكها ، حوانيت ارباب المصنوعات كأنها تستظل بجناحيه ، وتستمد منه القوة والنشاط ، .... وخصوصاً الضخامة .

واذا ذهب الزائر الى قسم الآلات التي عرضتها الامم والشعوب ، استرعت الضخامة أبصاره ، وتملكت فؤاده ، فانصرف بكليته الى القسم الالماني . كذلك تسود الضخامة على مصنوعات الحديد الالمانية ، في سراي المعادن . فاذا ذهب الانسان لمعروضات الزراعة رأى الضخامة في المحصولات الالمانية تكاد تفترس بكل ما حولها مما ابرزته اراضي الامم الاخرى ، باجتهاد العاملين في حرثها وغرسها ، واستنباتها واستثمارها . وكأني بالقوم خافوا انطماس آثار الضخامة اذا ولى النهار ، فجعلوها في الليل ترفع لهم المنار ، على سائر الانوار . فلذلك ابتنوا « فناراً » أو مناراً تمثيلاً لواحد مما في بلادهم ، فتراه بالليل يقذف بانوار الكهرباء ، الى جميع الجهات في اعالي الفضاء ، بحيث تتضاءل امامه انوار الفنارات الاخرى ، وتبقى كأنها قناديل الزيوت ، امام السراج الوهاج . لعمري ! لقد توصل القوم لالزام تسعة اعشار الزائرين بالاقرار بانهم المنفردون بالضخامة .

ولذلك كان لهم النجاح التام ، في هذا المعرض العام . وحيثما نظر الباحث في المعروضات الالمانية ، اخذه العجب والاندهاش من براعتهم في التنسيق ، وإبداعهم في اظهار المعروضات ، بما يستوقف الرائح والغادي ، ويقضي لهم

بالافضلية والرجحان . حتى الاشياء الدقيقة ، والجواهر الانيقة ، تراها مجتمعة مع بعضها ، بما يوجب الاقرار بانفرادهم في اظهار الضخامة في اكبر مظاهرها ، وانهم دون سواهم المحتكرون لهـا . ولكن اذا نظرت الى هذه المعروضات ، وجدتها منسجمة برقة ، ومرتبة بلطافة ، بحيث لا تفارقها العين ، الا بعد طول النظر والاستمتاع ، وخوفاً من ضياع الوقت الثمين ، وطمعاً في رؤية غيرها من الغرائب والتحائف . وطالما وقف الپاريسيون والپاريسيات ، معجبين ومعجبات بما عرضه اهل المانيـا من الحلى والجواهر ، والعقود والقلائد ، وفضلوها على ما اشتهرت به ِ باريس ، وكادت تحتكرهُ في العالم . (هذا هو الذي سمعته ورأيته وليس لي خبرة بهذه الامور) .

حتى الألاعيب بمناظرها وحركاتها ، كانت تستوجب انشراح اطفال الفرنساوية وغيرهم : فتفتر ثغورهم ، وتبرق أسِرَّتهم ،[1] وتمتد اليها ايديهم اللطيفة ، ضاحكين فرحين منشرحين ؛ ولا يبدو منهم نصف هذه العواطف امام معروضات الامم الاخرى التي تهتم بها احلامهم الصغيرة ويباتون يحلمون بها ومعها .

والخلاصة ، ان الاجماع حكم بالاولوية للالمان ، في كل ميدان . واذا قلنا ان حكم العامة والجمهور ، لا يعتدّ بهِ في مثل هذه الامور ، وكذبنا قول القدماء « ألسنة الخلق اقلام الحق » فلابد من ان نطأطئ الرؤوس امام تأييد هذا الحكم من المحكمة المختصة بالفصل في هذه المسائل الفنية . فان لجنات المحلفين المحكّمين المختارين من جميع الامم والشعوب ، قد قضت للالمان باحراز قصب

(١) جمع سِرار بكسر ففتح وهو خطوط الكف والجبهة والخطوط في كل شيء يقال شرقت أسرة وجهه . اه

في السبق كل رهان ، وحكمت لهم بمكافآت لم تنلها أمة اخرى : لا في العدد ، ولا في الاهمية ولا في علو الدرجات . وليس يمكن الطعن في امثال هؤلاء القضاة ، بانهم انخدعوا مثل العامة ، امام الزخارف الظاهرية ، أو حسن التنسيق وجمال الترتيب . فثبت من ذلك ان تقدمهم اصبح بديهياً في جميع الصنائع ، وانهم تقدموا بسرعة حتى ادركوا شأو الامم الاخرى في زمن قصير ، ثم فاقوها وفاتوها بمراحل كثيرة .

وقد طبعوا برنامجات ضخمة ببيـان معروضاتهم على التفصيل . والامر الذي يستحق الذكر في هذا المقام انهم صبُّوا حروفاً قوطية مخصوصة لطبع هذه البرنامجات ، لتأتي على غير مثال سابق بما حوتهُ من النقوش والزخارف .

وحينئذٍ ، فلا غرابة في ان ينابيع الثروة قد تفجرت في بلادهم ، وفاضت الاموال عليهم ، حتى توصلوا الى رفاهة لم تكن معروفة عنهم ، ولم يكونوا يعرفونها منذ عشرين عاماً . بل شكت الجرائد الفرنساوية نفسها ، من ان كثيراً من ابناء بلادها ، يرسلون بما يتوفر لديهم من المال الى المانيـا لاستغلاله واستثماره بما يعود عليهم بالنفع الكثير . بل لا غرابة ايضاً في كون اوساطهم اصبحوا يأنفون من الركوب في عربات الدرجة الثـانية من قطارات السكة الحديدية ، مع ان الكثير من اغنياء الانكليز لا يستنكفون الركوب في الدرجة الثالثة (في بلادهم !) ان لم نقل انهم يفضلونها تفضيلاً . ولقد كان اكثر السيَّاح الذين تتطلع رؤيتهم في الشتاء الاقاليم التي خصها الله ببعض المزايا مثل بلاد مصر وجنوب فرنسا وايطاليا اكثرهم من الانكليز والامريكان والروس فأصبح الالمـانيون الآن ولهم القدم المعلى في هذا الميدان . ألا ترى انهم يتوافدون في كل عام في

بواخر مخصوصة الى شطوط النيل ؟ وما ذلك كله الا بفضل العلم والصناعة والتجارة فانها اساس الثروة والرفاهة والاقتدار .

فسلاماً سلاماً على كل من عرف قدرها ، وسعى في اعزاز وطنه بها ! ويا حبذا لو كان لهذا الكلام ، صدى في ديار مصر وبين اهلها ! اللهم اجعلهم ممن يستمعون القول فيتّبعون احسنه ! !



شذرات

« على بعض المعروضات الالمانية »

من اغرب الغرائب التي لا يكاد يصدقها القارئ ، ان ابناء المانيا هم الذين كانوا متعهدين باضاءة القسم الاعظم من المعرض العام بالنور الكهربائي . (وانت تعلم مقدار كراهة الفرنساويين لهم ومقدار أَثرتهم بانفسهم وتفانيهم في الانانية والوطنية ... ولكن للضرورة احكام !) .

ولكنّ هذا الاستغراب يزول اذا علمنا ان الالمان قد كادوا يحتكرون الاضاءة بالكهرباء في سائر بقاع العالم ، وان في بلادهم شركة كبيرة توزع الكهرباء حتى في القرى الصغيرة والعزب والكفور وتقدم لمشتركيها ما يلزمهم من حركة وحرارة ونور . ولذلك فلا غرابة في رجحانهم العظيم على سائر الامم الاخرى من هذه الوجهة . وهم قد عرضوا في المعرض العام آلة لتوليد هذه القوة السحرية العجيبة . وهذه الآلة وحدها اكبر واضخم واعظم من كل آلة وُجدت فيه . وهي وحدها تكفي لانارة باريس كلها لان قوتها ٢٠,٠٠٠ حصان ! وقد اشترتها

امريكا بمبلغ جسيم جدًّا لا اتذكره الآن، فقد ضاع رقه من المفكّرات والملقّات التي اخذتها من باريس .

وامتازت المانيا في قسم الآلات امتيازاً ضخماً هائلاً على جميع الامم الاخرى . فمن اعجب العجائب انها كانت اوّل دولة أعدت احدى الآلات الكبيرة التي تبلغ زنتها ٧٥ طونولاطه لتوليد الحركة في المعرض العام . فانها شادت قنطرة متحركة ضخمة ، استعان بها القوم على نقل ووضع الجهازات المتجمعة في رواق الآلات . وهذه القنطرة تعدّ من معجزات الميكانيكا والكهرباء . اذ يكفي رجل واحد (ان لم نقل غلاماً) لتحريكها وادارتها ، فيكون لها دوي لطيف يشابه غطيط النائم ، فترفع الاثقال التي لا تكاد تتصورها العقول بكل سهولة ، ثم تحملها بلا عناء وتسير بها الهوينا ، وتدور بها بغير مشقة بل برشاقة ، حتى تضعها في المكان اللازم . وقد قضت هذه الآلة على كل من شاهدها من جميع الامم الاخرى ، بالعجب العجاب . فشهدوا الالمانيا بالسبق والبراعة والابداع . فنالت بهذا اوّل نجاح ضخم هائل . ولكنها لم تقف عنده ، بل عقّبته بغيره وبغيره وبغيره ، حتى حيرت العقول والافكار .

ولها في قسم الآلات، آلة ثقلها ٣٠٠٠٠ كيلو . ولها ايضاً عجلة لمنشار كبير، محيطها هائل جدًّا . بحيث اضطر العارضون لاستعارة عربة من عربات السكة الحديدية المستعملة في عمل مدافع كروب ، لاجل نقل هذه الآلة وهذه العجلة من بلادهم الى باريس . لان شركات السكك الحديدية المعتادة ، تعجز عن عمل مثل هذه العربات البالغة في الكبر والضخامة .

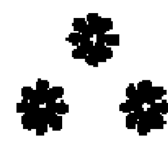
ومن الغرائب انني لما زرت قسم الطباعة في المعرض العام ، رأيت مطبعة عجيبة عرضتها ادارة احدى الجرائد الفرنساوية، التي لا تعادلها في الانتشار صحيفة اخرى عندهم . فانها تطبع في كل يوم واحدٍ مليون نسخة (١،٠٠٠،٠٠٠) . وفي كل اسبوع يظهر لها ملحق ادبي مصور بالرسوم المختلفة ، وتطبع منهُ مئات من الآلاف ، توزعها في سائر الاقطار ، بأزهد الاثمان : (ثمانية بارات او مليمان في الجملة أو اقل) . لا شك ان القراء ادركوا أني اشير بذلك الى جريدة البتي جورنال (Le Petit Journal) أي الجريدة الصغيرة . وهذه المطبعة عبارة عن اسطوانات كثيرة متوالية متصلة ببعضها تشغل مسطحاً من الارض لا يقل طوله عن ستة امتار ؛ وكلها تدور بقوة البخار . فيجمعون الحروف ثم يصبونها صباً على صحائف مستديرة منْ الفولاذ ليتحمل قوّة الضغط وكثرة الطبع ، ويضعونهـا فوق هذه الاسطوانات . ثم يضعون بجانب هذه الآلة العظيمة لفائف كبيرة من الورق قد صنعته الفابريقات برسمها ، مخصوصاً بهـا . ثم يُدخلون طرف اللفة في فم الآلة ، فتدور بهِ وتنقله من اسطوانة الى اخرى ، حتى يخرج من الطرف الآخر مطبوعاً بالالوان المختلفة أو باللون الاسود فقط ، وكل نسخة تكون منفردة عن الاخرى بمقص ميكانيكي ، ومطوية على بعضها بتدبير الميكانيكا ايضاً . فيستلمها الباعة أو توضع في الغلاف وترسل للمشتركين في سائر انحاء فرنسا وفي كافة اقطار المعمور .

فأعجبتُ بها كثيراً ، ولكني مشيت بضعة خطوات ، فرأيت للالمانيين بجانبها ، آلة أخرى شبيهة بها من كل الوجوه ، وتؤدي جميع وظائفها بالتمام . ولا عيب فيها سوى انها تزيل من نفس الناظر اليها كل أثر من الاعجاب الذي تملّك

فؤاده برؤية جارتها . ذلك لانها تفوقها من حيث السرعة والاتقان .... والاقتصاد . فان الالمانيين رأوا المطبعة الفرنساوية تشغل مسطحاً كبيراً من الارض ، وتمتد على مسافة طويلة هم في حاجة لاستعمالها في منافع أخرى . ورأوا ان امتار الارض تباع بالدنانير الكثيرة ، واما الارتقاع في طبقات الجو فهو ميسور لمن يملك متراً أو مترين ، حتى يمكنه ان يصل بين الارض والسماء ، ان استطاع لذلك سبيلاً . فدعاهم حب الاقتصاد الى وضع الاسطوانات كلها فوق بعضها بدلاً من اصطفافها بطريقة افقية ، وتوفر عليهم بذلك مسطح الارض ليضعوا فيه آلات أخرى . فأصبحوا لا يحتاجون الا لغرفة يكون مسطحها عشرة امتار مربعة بدلاً من اضطرار الفرنساويين لوضع آلتهم في غرفة يعادل مسطحها ضعف ذلك تقريباً . واما السقف فيمكن رفعه الى ما شاء الله بل ان في ارتقاعه مزايا صحية كثيرة لا تنكر .

ومن الغرائب ايضاً ، اني رأيت بهذا القسم فتاة جالسة امام ماكينة (ولا اريد وضع الاسم بالعربي) وهي ترفع قدماً وتضع أخرى . والماكينة تشتغل بخياطة ملازم كتاب ، بسرعة تقضي بالعجب العجاب . واقول الحق ان الكتاب والماكينة لم يسترعيا نظري كثيراً .. ولكنني اردت التحكك (عفواً) فقد جاءت النتيجة بفائدة كبيرة من حيث الاطلاع والمعرفة ، وعادت على الالمان بالفخر والفخفخة) . وذلك اني جعلت الكتاب حجة لي ، فأخذت انظر اليه ، واذا به دليل للمعرض العام بطبعه مخزن البون مارشي (Au Bon Marché) وهو احد المخازن الثلاثة التي لا يعادلها غيرها في باريس ، من حيث الكبر والجسامة ،

واتساع نطاق الاعمال. فتذرعت بهذه الوسيلة ، لفتح باب المسامرة ، مع تلك الفتاة الزاهرة. ولكنها ، وآسفاه ! لم تكن تعرف شيئاً من الفرنساوية ، وأنا لست ادرى كلمة واحدة من الالمانية. فقضت عليَّ الظروف بالاستعانة بترجمان... وليته ما كان. فعرفت منها (بواسطته) ان ادارة المخزن المذكور تطبع من هذا الكتاب نسخاً تُعَد بمئات الآلاف وستقدمها هدية لعملائها وزبائنها ، زيادةً في إشهار اعمالها والتعريف بتجارتها . وعرفت ان هذه الآلة واردة من ألمانيا . ولعلمي بما بين الالمانيين والفرنساويين من الضغائن والسخائم ، اظهرت عجبي من كون بيت من بيوتاتهم التجارية يعهد بهذا العمل الجسيم ، في نفس باريس وفي قلب المعرض العام ، لمن ينظر اليهِ قومه بعين العداوة والبغضاء . فقالت لي (دائماً بواسطة الترجمان !) : « ان هذه الآلة من أحدث اختراعات الالمان ، وليس لدى الفرنساويين ولا غيرهم ما يضارعها في سرعة العمل واتقانه مع رخص الاسعار . ولذلك اضطروا (رغماً عنهم) لمقاولة الصانع الالماني على تجليد هذا الكتاب ، حتى يظهر في اقرب الاوقات وتعطي الهدية في اوانها . » ولما رأت مني علائم الاستغراب والاستنكار ، ارشدتني للبحث فيما حولي وحولها من جميع آلات وادوات التجليد التي عرضتها الامم الاخرى. فرأيتها قد اخبرت بالواقع ، وانصرفتُ من حضرتها ، تتناوبني عواطف الاسف والاعجاب !



ومن الغرائب أنني لما دخلت في قصر الصحة ، أعجبت كثيراً بما حواهُ من وسائط الوقاية من الامراض وحفظ صحة الاجسام . ولا يخفى ان الذي لهُ الفضل الاكبر على جميع بني الانسان ، في درء كروب المكروب ، هو رجل

الدنيا وواحدها «باستور» Pasteur ولذلك جعلوا أهم غرفة في القصر باسمه.
ولكن ماذا ينفع العلم بلا عمل ، أو ما هي ثمرته اذا لم تحقق نتائجه في الوجود ؛ كيف لا وان اهل فرنسا لا يزالون يشكون من توالي النقص في عدد السكان، ويسعون بكل الوسائل للوصول الى زيادة نموهم ، حتى ان رئيس الجمهورية السابق المرحوم فيلكس فور لم يأنف من التوجه بنفسه ، وبموكبه الرسمي ، الى احد المستشفيات لتشجيع احدى العذارى على ٠٠٠٠ إتيانها بمولود ، لم تعدمه الحياة كأمثالها ولم تتركه في الطرقات ، عرضة للاخطار وتحت رحمة البوليس ، عساهُ يأخذهُ حياً الى دار اللقطاء . بل غالبت الحياء وخضعت لعواطف الامومة . ولذلك رأى الرئيس المذكور وجوب تشجيعها ليأتي هذا المثال الصغير بالفوائد الكبرى في زيادة عدد السكان . فنفحها بصلة كبيرة من المال ، أملا في استئصال العادة الجديدة التي تمكنت منهم ورسخت في نفوسهم : وهي عادة قطع النسل التي شاعت الآن في اوروبا ، ولكن بطريقة جديدة مبتكرة منكرة ، تنطبق على رذائل المدنية الحاضرة .

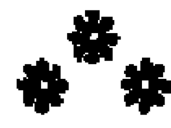
ذلك ان التنعم والرفاهية قد أخذا من القوم كل مأخذ ، حتى كثرت حاجاتهم فأصبحوا يخافون العيلة والعيال ، ويخشون الاملاق ، على ما هم فيهِ من كثرة المال والنوال . فاما الطبقات العالية ، فيخشى السيدات فيها آلام الحبل واوجاع الولادة . ولكن هذا الخوف اقل عندهنَّ مما يتفانين في تحاشيه من ذبول زهرتهنَّ ، وضياع بهجتهنَّ ، بضخامة خصورهنَّ وذهاب نحو ذلك من المحسنات التي اذا أتت عليها الطبيعة مع توالي الاعوام ، أعادتها لهنَّ زخارف الصناعة ، بما فيها من البهارج والتضليل . فاستعنَّ بتقدم الطب الحديث

على ... « تطويش » انفسهنّ ! فبعد ان كانت الخصيان من خصوصيات الرجال في الايام القديمة وبلاد المشرق، أصبح النساء في بلاد المغرب يستأصلن المِبيض وبيت الولادة ، بواسطة الاطباء في آخر القرن التاسع عشر! وبذلك يمتنع الحبل والولادة على الاطلاق ، ويبقى للمرأة رواؤها وبهاؤها ما شاء الله. كان السابق في هذا الميدان اولئك اللائي يتخذن عروضهنّ تجارة لاكتساب القوت . وسَرَت هذه العادة الى نساء الطبقة العليا ، للمحافظة على الجمال . ثم انتقلت الى الوسطى ، خوفاً من الاملاق . وبقيت الطبقة الدنيا ، ولا شك انها ستدانيها عما قريب .

— ما لنا ولهذا الاستطراد ؟

— قد جرّ اليهِ الحديث وهو شجون . ولكنني اعود الى سراي الصحة فأقول : انني رأيت فيهِ بين جهازات الصحة واسباب الشفاء وموجبات العافية ودواعي إطالة الاعمار ثلاثة شمعدانات من المعدن على طاولة بسيطة ، فيمر امامها الناس ولا يلتفون اليها ، منذهلين بما يرونهُ من ترويق البطاقات ، وتنسيق القوارير والجهازات ، والوان المكروبات ، وغير ذلك مما يستوقف الانظار ، ويحبس الافكار . ولكنني من باب الصدفة ، نظرت اليها ، فاذا هي واردة من المانيا : وهي على هيئة برج إيفل المشهور في باريس . وليس عليها نقوش ، أو بجانبها زخارف ، بل ترى على كل واحد منها ورقة بسيطة . ففي الاول بيان عدد سكان المانيا في سنة ١٨١٦ وفي الثاني مقدار عددهم في سنة ١٨٥٥ وفي الثالث عددهم في سنة ١٨٩٥ . والاوّل اصغر من الثاني وكلاهما لا يداني الثالث في الارتفاع . وكان عدد القوم في السنة الاولى لا يزيد عن ٢٦ مليون من النفوس . فتضاعف في

مدة ٧٤ سنة : إذ بلغ ٥٢ مليون وزيادة . مع ان الامة التي ظهر فيها پاستور لا يزال عددها آخذاً في النقصان ! ! ! فاعجب، إن كان بقي في نفسك مكانٌ للإعجاب ! أليس أن هاته الشمعدانات وحدها افضل من كل تلك التجهيزات والتحضيرات والاستعدادات والاقرباذينات ؟ لعمري ! كان لالمانيـا ان تكتفي بهذه النتيجة ، دلالة على توخيها الفائدة العملية في كل اعمالها . بل انها اظهرت فوق ذلك مقدار عنايتها بالصحة العمومية : ففيها مدارس خصوصية للصحة بلغ اساتذتها ٤٠ أستاذاً لكل واحد منهم دار مخصوصة ومعمل مستقلّ ، وتمدّهم الدولة باعانات مالية جسيمة . وللالمان ملاجئ صحية لمعالجة الداء الخنازيري وليس في فرنسا كلها ملجئ واحد من هذا القبيل . ولذلك ترى هذا الداء الخبيث يحصد وحده من ابنائها في كل عام ١٥٠,٠٠٠ إنسان : منهم ٢٠٠ نفس في كل اسبوع بمدينة باريس وحدها ! ! ! وبجانب الشمعدانات المذكورة تماثيل ابراج واهرام واساطين ومخاريط (تذكر الضحامة ! الضخامة ! حتى في التمثيل !) تختلف في الارتفاع وتدل على عدد سكان المدائن الكبرى في تلك البلاد . وبجانبها قوارير أو اشكال هندسية ترتاح لها النفوس وتبتسم الثغور باختلاف الالوان . وفيها بيان الامراض السائدة في تلك البلاد وطرق مقاومتها والوقاية منها .



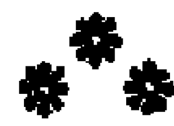
وقد رأيت في قصر الجيوش البرية والبحرية تمثيل احد المستشفيات العسكرية الالمانية . ومساحته تبلغ ٨٤٦٦١٠ من الامتار المربعة ، ويسع ٣٠٩ من لاسرة : منها ثلاثة برسم الضباط . ولا يقل المسطح الذي يخص كل سرير فيها عن ٩ أمتار مربعة و ٥ سنتي ، ولا تقل كمية الهواء الخاصة به عن ٣٨

متر مكعب و٥ سنتي. وكمية عموم المباني هي عبارة عن ١/٨ مساحة عموم الارض، والسبعة اثمان الباقية مخصصة للطرقات والمماشي والعرصات والفسحات والحدائق والبساتين . وقد بلغت اكلاف البناء (بخلاف ثمن الارض) عن كل سرير واحد ٤,٦٠٢ مارك، ويدخل في هذه القيمة مايخص كل سرير من عموم الاثاث والمفروشات . فاذا صرفنا النظر عنها كان ما يخص السرير الواحد من البناء ٤,٤٦٩ مارك وقد وضعوا في المستشفى جهازات ميكانيكية وآلات بخارية يكون بواسطتها التسخين والتدفئة والتهوئة ورفع الماء من الآبار العميقة والاضاءة بالكهرباء وتشغيل المطابخ والمغاسل البخارية والجهازات في الحمامات وجهازات التبخير والتطهير بالبخار. وفيه أيضاً انابيب تأتي بالهواء النقي المفيد بنسبة ٦٠ متر مكعباً لكل سرير؛ فاذا كان فصل الشتاء ارسلته الآلات ساخناً الى الغرف، فتكون حرارتها مناسبة لحالة العليل . وهنالك طلمبات تمتص الهواء الفاسد وتقذف به الى الخلاء، بعيداً عن المستشفى. والساعات كلها تديرها الكهرباء . وفيه التلفون للمخاطبة بين اجزائه مع بعضها، وبينها وبين الخارج في المدينة وما يرتبط بها من الجهات. وهنالك ايضاً معمل صحي كيماوي لاجل الابحاث البكتريولوجية والكيماوية . واما غرفة العمليات فقد انتهت اليها براعة اهل الفن واصبحت مثال الكمال. وفيه ايضاً غرف لما يسمونهُ «المعالجة الطبية الميكانيكية» وللتكييس وللمعالجة بالكهرباء . ولهُ صيدلية خاصة به .

هذا هو مستشفى الحامية العسكرية في مدينة پوتسدام Potsdam ولا اظن له مثيلاً عند الامم المتمدنة الاخرى. ولذلك ترى الالمان يباهون به ويفتخرون .

وقد اندهشت كثيراً من المانيا لانها لم تعرض في هذا القصر شيئاً من

ادوات الحرب وآلات الهلاك بل أبقتها مثل الامم الكبرى سرًّا مصونًا وخبراً مكتوماً . فلا ترى هنالك الا تمثيلات السفائن والدوارع الحربية كأنها ملكة البحار أو كأنها ارادت ان تعارض انجلترة في هذا المعرض العام . ومما يدل على ذوق الالمانيين وحسن مجاملتهم لضيفاتهم انهم لم يفعلوا مثلهم ولا مثل الامم الاخرى في عرض مزايا وآثار انتصارهم في حرب السبعين حتى لا يجرحوا خواطرهم ويثيروا اشجانهم . وقد اعترف لهم اخصامهم والناس اجمعون بهذه الكياسة وهذه المحاسنة في المعاملة !



ولا بأس من الاستطراد في هذا المقام، بسرد بعض احصائيات تقابل فيها بين المانيا وبين فرنسا على الخصوص، وبينها وبين اوروبا بطريق العموم، لاظهار درجة تقدمها العجيب .

(١)

السكان

يبلغ عدد السكان في المانيا ٥٢،٢٧٩،٩٠١ نفس في سنة ١٩٨٥ أي يخص الكيلومتر المربع فيها ٩٧ ساكناً . وبلغ عدد زيادتهم ٥٫٥٧٠ في المائة من سنة ١٨٨٥ الى سنة ١٨٩٠ . وفرنسا عدد سكانها ٢٨،٥١٧،٩٧٥ في سنة ١٨٩٦ يخص الكيلومتر المربع منهم ٧٢ ساكناً . وعدد سكان برلين ١،٧٦٦،١٣٥ يقابلهم في باريس ٢،٥١١،٦٢٩ ولكن ألمانيا تحتوي على ٢٦ مدينة كبيرة يزيد عدد السكان في كل منها عن ١٠٠،٠٠٠ نفس وليس في فرنسا الا ١١ مدينة من هذا القبيل .

(٢)

الجيوش وصحتها والانتحار فيها

	في السلم	في الحرب
عساكر المانيا سنة ٩٩	٥٨٥,٢٦٦	٣,٩٧٥,٠٠٠
« فرنسا سنة ٩٨	٥٨٩,٥٤١	٣,٠٠٠,٠٠٠

وكان عدد عساكر الالمان الذين لا يعرفون القراءة والكتابة في سنة ١٨٨٣ بنسبة واحد وربع في المائة (٠٫١٦ ٪) اي اربعة انفار في كل خمسمائة عسكري . ولكن هذه النسبة اخذت في النقصان بطريق التدريج، تبعاً لزيادة ترقي هذه الامة المتوالي ، حتى وصلت الى اقل من ربع جزء في المائة (٠٫٢٤) أي اقل من نفر واحد في كل اربعمائة نفر : اي ثلاثة انفار في الالف . مع ان عددهم في فرنسا هو ١٢٣ في الالف .

وبهذه المناسبة أقول انهم حسبوا مقدار خطوة العسكري الالماني بنسبة غيره من جنود الدول الاخرى فوجدوا انهُ في الدقيقة الواحدة يقطع ٩١ متراً و ٢ سنتي، مع ان الروسي يقطع ٨٠ متراً و ٩٤ سنتي، والنمساوي يقطع ٨٥ متراً و ٥ سنتي، والفرنساوي والطلياني يقطع كل منهما ٩٠ متراً . فانظر الى هذا التقدم الالماني المادي ايضاً !

وقد اعتنت كل دول اوروبا بصحة الجنود ، حتى نزل عدد الوفيات فيها نزولاً كلياً. ولكن الفائزة عليهن كلهن في ذلك ايضاً انما هي المانيا. واكتفي بسرد الجدول الآتي عنها وعن فرنسا فقط لتظهر المقابلة :

		عدد الوفيات في الالف
فرنسا	من سنه ١٨٦٢ الى سنه ١٨٦٩	١٠,١٠
	« « ١٨٨٠ « « ١٨٨٤	٠٨, ٤
	« « ١٨٨٥ « « ١٨٨٩	٠٦, ٣
المانيا	« « ١٨٤٦ « « ١٨٦٣	٠٩,٦٩
	« « ١٨٧٣ « « ١٨٧٧	٠٥, ٧
	« « ١٨٨٠ « « ١٨٨٩	٠٣,٠٠

وفي نظير ذلك بلغ عدد الذين ينتحرون من كل ٣٠ ألف جندي الماني ، ١٩ جندياً ؛ وامثالهم بنسبة هذا العدد في فرنسا ١٠ جنود فقط . فانظر الى تقدم الالمان حتى في الانتحار!

البحرية

	بخارية	حمولتها بالطن	شراعية	حمولتها بالطن
مجموع سفائن المانيا (سنة ٩٠٠)	١٢٠٩	٢,٨٥٩,٩١٩	٥٠١	٤٩٠,١١٤
« « فرنسا «	٦٦٢	١,٠٥٢,١٩٣	٥٥٢	٢٩٨,٣٦٩
السفائن المستجدة بالمانيا سنة ٩٨	٧١	٢٢٠,٩٣١	٢١	٦,٩٦٧
« « بفرنسا «	١٦	٢١,٧٣٢	٣٩	٤٨,٢٠١

السفائن التجارية بالمانيا (سنة ٩٨) ٣٠,٧١٣ حمولتها ١,٦٣٩,٥٥٢ طولانوطة

« « بفرسا « ١٥,٦١٥ « ٠,٤١٤,٦٧٣ «

واكبر شركات الملاحة في الدنيا على الاطلاق شركة الخط بين هامبورج وامريكا ومقرها في هامبورج بالمانيا ثم تليها شركة المانيا الشمالية ومقرها في بريمن Bremen من أعمال المانيا وتأتي بعدها شركة الملاحة البريطانية الهندية

ومقرها في لوندرة ثم شركة البننسولار الشرقية (P. & O.) ومقرها بلوندرة ايضاً ثم شركة ايلدر ودمستر وشركاهما ومقرها بليفربول من اعمال انكلترة ثم شركة الميسا جيرى ماريتيم الفرنساوية ومقرها في باريس .

واكبر سفائن العالم الباخرة اوسيانيك لانجلترة حمولتها ١٧,٢٤٧ طونولاطة

ثم الباخرة دوتشلاند لالمانيا	١٥,٥٠٠
« « پوتسدام لهولندة	١٢,٥٢٢
« « سان لويس لامريكا	١١,٦٢٩
« « لالورين لفرنسا	١١,٢٠

(٤)

السكك الحديدية والتلغرافات والتلفون

مجموع طول السكة الحديد بالمانيا (سنة ٩٨)	٢٩,٢٢٦ ميلاً (١)
« « « « بفرنسا «	٢٦,٠٣٨ « (٢)

والتلغرافات فيهما بهذه النسبة .

ايراد السكك الحديد بالمانيا من الركاب والبضائع (سنة ٩٨) ٨٣,٨٦٠,٠٠٠ جنيه انكليزي

« « « « يفرنسا « « « « ٥٥,٩٦٠,٠٠٠ « «

ومن دلائل الترقي الهائل في المانيا اتساع نطاق التليفون بها : ففي سنة ١٨٩٤ كانت ٢٥٠ بلداً من بلدانها مرتبطة ببعضها باسلاك التلفون مع العاصمة الكبرى (برلين) . وقد بلغ طول احد الخطوط ١٠٠٠ كيلو وزيادة ؛ وعدد مكاتب التلفون

---

(١) تسعة اعشارها للحكومة وبلغ مجموع اكلافها ٢٠,٢٨٠ عن كل ميل ومصاريفها (سنة ٨٩) ٤٧,٥٨٢,٠٠٠ جنيه انكليزي وعدد عمالها ١٦٨,٠٠٠ نفس

(٢) أغلبها لشركات مالية والقليل الطفيف للحكومة وبلغ مجموع الركاب فيها (سنة ٩٨) ٤١٠,٠٠٠,٠٠٠ نفس

في هذه البلاد يزيد على ١٠٠,٠٠٠ مكتب : منها في برلين وحدها ٢٣ الف مشترك اي بقدر عدد المشتركين في فرنسا كلها !

(٥)

الثروة العمومية

أما ثروة الامم الكبيرة في سنة ٩٣ فكانت كما يأتي :

الولايات المتحدة بامريكا	٣٢٥ مليارأ من الفرنكات
بريطانيا العظمى	٢٦٠ » » »
فرنسا	٢٢٥ » » »
المانيا	١٦١ » » »
روسيا	١٢٧ » » »
النمسا والمجر	٠٨٢ » » »
اسبانيا	٠٦٣ » » »
ايطاليا	٠٥٤ » » »

وكان بناء على ذلك متوسط الضريبة التي يدفعها كل فرد في فرنسا ٩٠ فرنكاً في العام ، وفي انكلترة ٥٩ ، وفي المانيا ٥٧ ، واقل الامم روسيا (٢٩ فرنكاً). ولكن اهل النعيم في هذا الموضوع هم اهل امارة موناكو في جنوب فرنسا ، فانهم لا يعرفونها ولا تعرفهم . وفي نظير ذلك فان متوسط ثروة كل فرد من اهل فرنسا ٢١٨ فرنكاً وفي المانيا ١٠٢ من الفرنكات وفي روسيا ٣٠ فرنكاً فقط .

أما مصاريف الدخان في سنة ١٨٩٣ فكانت باعتبار ثمانية فرنكات و ١٠ سنتيم عن كل واحد من اهل فرنسا ؛ وفرنك واحد وربع فرنك عن كل انسان في ارض المانيا .

(٦)

الميزانية العمومية والديون الاهلية

	ايرادات	مصروفات
في فرنسا بالجنيه الانكليزي (سنة ٩٠٠)	١٨٣,٧٠٩,٣٨٢	١٣٨,٠١٨ ٨٦١
في المانيا « « «	٧٦,٣٠٩,٠٠٠	٧٧,٥٨٥,٠٠٠

مجموع دين المانيا (سنة ٩٨) ١١٥,٢٤٤.٠٠٠ جنيه انكليزي وفوائدها ٣,٧٨٠,٦٦٠ جنيه

« « فرنسا[1] (٩٩) ١,١٩٧,٩٣٣,٢٥٢ جنيه انكليزي « ٣٢,٣٨١,٢٦٩ جنيه

(٧)

التجارة بين المانيا وفرنسا

الصادر من المانيا الى فرنسا (سنة ٩٩) ١٣,٧٨٥,٦٤٠ جنيه انكليزي

« « فرنسا « المانيا « ١٧,١٣٧,١٦٠ « «

ومن الغريب ان فرنسا مع كونها بلاد النبيذ فانها تحتاج كثيراً الى البلاد الأخرى . والدليل على ذلك ان الوارد لها من هذا الصنف يزيد كثيراً على الصادر منها .

(٨)

الاستعمار

دخلت فرنسا في هذا الميدان منذ قرون طوال، بخلاف المانيا فانها حديثة العهد به . ومع ذلك فانظر الى الجدول الآتي :

	المساحة	السكان
المستعمرات الفرنساوية (سنة ٩٧)	٢,٩٨١,٩٠٠ كيلو مربع	٣٢,٠٨٣,٢٧٣
« الالمانية (سنة ٩٩)	١,٠٢١,٥٧٥ ميلاً مربعاً	٩,٨ ٠,٠٠٠

(١) لا تدانيها اية أمة اخرى في كثرة الديون الباهظة التي عليها

(٩)

العلم والصناعة بالمانيا

كان بها (سنة ١٨٩٥) ٢١ مدرسة كلية جامعة فيها ٢,٤٣٠ استاذاً ومدرساً و ٣١،٥٥٦ من الطلبة الرسميين . والتعليم في هذه البلاد الزامي وشائع شيوعاً لا نظير له عند امة اخرى . وقد انفرد الاغريق (اليونان) بالعلوم الفلسفية في العصور الخالية ، والعرب في القرون الوسطى ، والالمان في هذا الزمان . ولا تزال هذه البلاد تتقدم في الصناعة تقدماً اوجب الخوف والاضطراب في نفوس الامم التي كانت تعولها قبل ٢٠ سنة من الزمان .

وفي سنة ٩٥ كان ٣٦ في المائة من اهاليها يشتغلون بالزراعة و ٣٩ في المائة يعيشون من عملهم في المناجم والصنائع و ١١ في المائة من التجارة ونقل الارزاق . وفي سنة ١٨٨٣ كان مسطح ارضها منقسماً بهذه الكيفية : ٤٨،٧ في المائة مخصصاً للفلاحة والزراعة ، و ٢٠,٣ في المائة للكلاء والمراعي ، و ٢٥،٧ تعطيه الغابات .

(١٠)

انتشار اللغة الالمانية

واذا نظرت الى الجدول الآتي ، علمت مقدار تقدم الالمان في نشر لغتهم وزيادة عدد المتكلمين بها وان كانوا اقل من الانكليز والروس بكثير :

	القرن السابع عشر	القرن الثامن عشر	القرن التاسع عشر
اللغة الانكليز	٠٨ ملايين	٢٠ مليوناً	١٢٥ مليوناً
« الروسية	١٧ مليون	٣١ «	١٠٠ مليون
« الالمانية	٢٢ «	٢٩ «	٠٧٠ مليوناً

	القرن السابع عشر	القرن الثامن عشر	القرن التاسع عشر
اللغة الفرنساوية	٢٠ مليون	٣٠ مليون	٠٥٠ ملايين
« الاسبانية	١٨ «	٢١ «	٠٤٥ «
« الطليانية	١٢ «	١٥ «	٠٣٢ «

تنبيه — هذه الاحصائيات منقولة كلها عن المصادر الفرنساوية والانكليزية الوثيقة واخصها تقويم هاشيت لعام ١٩٠٠ (Almanach Hachotte 1900) وكتاب العلم العام Le Tout Savoir Universel وتقويم ويتكر الانكليزي لسنة ١٩٠١ Whi-taker's Almanach 1900 وغيرها من الجرائد والمجلات. وقد عرف القراء انني لا ادري شيئاً من الالمانية (انظر صفحة ٢٣٧ من هذا الجزء). وحسبي هذا القول برهاناً على وجوب الثقة بهذه الارقام والاعتماد على هذا الاحصاء فان الفضل ما شهدت به الاعداء.

خصوصيات على المعروضات الالمانية

١

« تجارة الكتب »

في المانيا شركة تسمى « شركة صناعة الكتاب الالمانية » قد احتكرت كافة الصنائع والاعمال التي تتعلق بظهور الكتاب. وكان تأسيسها في سنة ١٨٨٤، فتقدمت ونجحت حتى انها امتلكت ارضاً فسيحة في ليبسك Leipzig ، بلغت قيمتها ٢٠٠,٠٠٠ مارك [١] . واقامت فيها دار وصلت اكلافها الى ما يزيد عن مليون ونصف مليون مارك . وقد اتسع نطاق اعمالها في البلاد الاجنبية حتى وصل عدد اصحاب المطابع غير الالمانيين المشتركين فيها الى ١٠٢ مع ان مجموع اعضائها هو ٥٢٠ . وهذا يدلك على مقدار اهميتها في غير المانيا .

(١) المارك يساوي خمسة قروش صاغ تقريباً

ولكي تعرف ايها القارىء الفطين رجحان المانيا على سائر امم الدنيا في تجارة الكتب ، انقل لك الاحصاء الآتي نقلاً عن اصدق المصادر الفرنساوية وهو انما يدل على التجار الالمانيين فقط في سائر انحاء المعمور :

ففي المانيا	منهم ١٣٥٢ مدينة فيها	٧٠٨٣ تاجر كتب
وفي اوستريا	٠٢٥٣ » »	٠٨٢٢ »
» اوروبا باسرها	٠٢٢٥ » »	١٠٠٨ »
» امريكا كلها	٠٠٥٠ » »	٠١٥٩ »
» افريقا المسكينة	٠٠٠٧ »فقط فيها	٠٠١٢
» اسيا »	٠٠١٢ مدينة »	٠٠٢٢ »
» اوستراليا	٠٠٠٦ مدن	٠٠٠٧ »

وهاك جدولاً آخر ببيان الكتب التي طبعها التجار الالمانيون :

في سنة ١٨٩٤	طبعوا	٢٢,٥٧٠ كتاباً
» ١٧٩٥	»	٢٣,٦٠٧ كتب
» ١٨٩٦	»	٢٣,٣٣٩ كتاباً
» ١٨٩٧	»	٢٨,٨٦١ »
» ١٨٩٨	»	٢٨,٧٣٩ »

وكل كتاب يطبعون منهُ عشرات ومئات آلاف من النسخ . وهذا بخلاف الكتب الخاصة بالتلحينات الموسيقية ، فانها لم تدخل في هذا الاحصاء : بل لها جدول خاص بها ، وها هو :

في سنة ١٨٩٤	طبعوا	١٠,٨١٤ تأليفاً موسيقاً
» ١٨٩٥	»	١٠,٩٣٦ » »
» ١٨٩٦	»	١٣,١١١ » »
» ١٨٩٧	»	١٢,٢٧٤ » »
» ١٨٩٨	»	١٢,٥٩٦ » »

وقد بلغ عدد المشتغلين بالعمولة في نشر وترويج هذه الكتب من اهل ليبسك وحدها ١٥٨ : يتعاملون مع ٨٫٣٨٥ تاجراً . ومن اهل برلين ٤٢ وكيلاً (قومسيونجيا) : يتعاملون مع ٤٤٠ تاجراً . ومن اهل ستتوتجارت Stuttgard ١٥ وكيلاً : يتعاملون مع ٦٦٦ تاجراً .

وقد سارت جرائدهم ايضاً في طريق التقدم على هذه النسبة : فقد بلغ عدد المجلات الدورية والجرائد السياسية المطبوعة والمنشورة في المانيا ٧٫٥٠٠ مجلة في آخر سنة ١٨٩٨ ومنها جريدة « الفرانكفورتر جورنال » كان اوّل ظهورها في سنة ١٦١٥، وجريدة « مجدبورج زيتونغ » ، في سنة ١٦٢٦ وجريدة « ليبسكر زيتونغ » في سنة ١٦٦٠ .

واليك جدولاً آخر ببيان المطبوعات من الكتب العادية والتلحينات الموسيقيّة في كل عام بالممالك الكبيرة ، ليظهر الفرق العظيم في جانب المانيا :

فرنسا	١١,٠٠٠	كتاب	بريطانيا العظمى	٦,٠٠٠	كتاب
ايطاليا	٩,٠٠٠	»	الولايات المتحدة	٥,٠٠٠	»

ومما امتازت بهِ الطباعة الالمانية انها احتكرت تقريباً الكتب الشرقية . ونحن أعرف الناس بان هؤلاء القوم ينقّرون عن آثار اسلافنا التي لا نكاد حتى الى الآن نسمع بها ، أو نتصوّر وجودها . وهم يطبعونها و يستفيدون منها مالاً وعلماً وفضلاً . واما نحن . . . نحن ابناء العرب الكرام، وسلالة الشرقيين الاماجد، فقد قنعنا بالافتخار بالعظم الرميم، واصبحنا في هذا الامر الخاص بنا، عالةً عليهم نستقي من بحرهم ونتناول من فضلاتهم . نعم فقد طبع الالمان اهم كتب ائمتنا في التاريخ والجغرافية والادب وسائر العلوم . ثم تجيء بعض مطابعنا فتسرق عنهم

ولا تخجل من عدم نسبة الفضل اليهم في هذا الباب . ويا ليت اصحاب المطابع في مصر يعادلونهم في صحة الطبع ودقة التصحيح وتقريب التناول وتسهيل المأخذ . بل ان الكتاب المطبوع اولاً في المانيا ثم في مصر بعد عشرات من السنين لا يزال يساوي في القيمة (حساً ومعنى) عشرة أمثال تلك الهذيانات التي يطبعونها في مصر. (انظر كتاب تاريخ ابن الاثير ، ونفح الطيب، وكتاب الكامل للمبرد، وسيرة صلاح الدين، والفخري،وكشف الظنون، وفصل المقال فيما بين الشريعة والفلسفة من الاتصال لابن رشد ، وكتاب الحيوان والانسان من رسائل اخوان الصفاء ، وغيرها وغيرها تجد الفرق عظيماً يوجب لهم الفخار ويقضي علينا بالعار :)

واليك اسماء كتب عربية نفيسة طبعوها ونحن لا نعلم ولا ندري :

الآثار الباقية عن القرون الخالية للبيروني
عجائب المخلوقات للقزويني
تاريخ الطبري الكبير (تاريخ الامم والملوك)
احسن التقاسيم في معرفة الاقاليم وهو المعروف بجغرافية المقدسي
الاحكام السلطانية للماوردي
الاخبار الطوال للدينوري
اخبار العصر في انقضاء دولة بني نصر (ببلاد الاندلس)
الاعتبار لابن منقذ
رحلة ابن جبير
الالمام باخبار من بارض الحبش من ملوك الاسلام للمقريزي
البيان والاعراب عما بارض مصر من الاعراب للمقريزي ايضاً
منتخبات له
أنساب الاشراف واخبارهم للبلاذري
كتاب البلدان لليعقوبي
تاريخ الاصفهاني
« اليعقوبي
تواريخ مكة : للازرقي والفاكهي وابن الفاسي وابن ظهيرة وابن النهرواني (ونحن احق بها !)
كتاب الجبال والأمكنة والمياه للزمخشري
صفة جزيرة العرب لابن الحائك
فتوح البلدان للبلاذري

تاريخ الوزراء السلجوقيين للاصفهاني
شرح قصيدة ابن عبدون لابن بدرون في تاريخ الاندلس
عجائب الهند
الفتح القسي في الفتح القدسي للعماد
الفهرست للوراق
تجارب الامم لابن مسكوية
اخبار المغرب لابن عذارى المراكشي
مراصد الاطلاع
مسالك الممالك الاصطخري
المسالك والممالك لابن خرداذبة
معجم البلدان لياقوت الحموي
المشترك له
التنبيه والاشراف للمسعودي
المعارف لابن قتيبة
تلخيص اخبار المغرب للمراكشي
احسن التقاسيم في معرفة الاقاليم
مختصر كتاب البلدان لابن الفقيه
المكتبة الصقيلة : وفيها منتخبات من ٨٥ كتاب عربي على جزيرة صقيلة Sicile
النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة للمحقق المصري تغري بردي
جغرافية الادريسي (صفة جزيرة العرب والاندلس ومصر والسودان والمغرب)
اثولوجيا ارسطاطاليس في الفلسفة
اختصار رسائل اخوان الصفاء
رسالة حي بن يقظان (١)
كتاب الامانات والاعتقادات
اسرار العربية للانباري
الاضداد له
شرح مفصل الزمخشري لابن يعيش
تهذيب الاسماء في اللغة للامام يحيي النووي
فصيح ثعلب (كان اول طبعه في ليبسك سنة ١٨٧٦)
لب اللباب في تحرير الانساب للسيوطي
معجم ما استعجم للبكري (طبعه رجل من علمائهم بخطه في مطبعة حجر • وليس فيه غلطة واحدة من حيث الشكل والضبط والدقة)
الحادي والعشرين من الاغاني
ديوان علقمة الفحل
« صريع الغواني
اشعار الهذليين
طبقات الشعراء لابن قتيبة
الموشي في الادب
المفضليات في المختار من اشعار العرب

(١) طبعت في مطبعتي وادي النيل والوطن بمصر منذ ١٨ سنة ثم طبعت في ليدن منذ ١١ سنة ولكن نحن في الثرى وهم في الثريا كما هو شأنهم وشأننا حتى في الكتب التي سبقوا فطبعوها ثم تطفلنا عليهم فيها

هذا قليل من كثير من الكتب التي طبعت في المانيا وحدها . ولا حاجة لنا في هذا المقام بالاشارة الى الجم الغفير من المصنفات العربية النفيسة النادرة التي طبعت في باريس وايطاليا ولوندره وغيرها .

واذا التمسنا عذراً لإقدام الالمان وغيرهم من اهل اوروبا على طبع هذه المؤلفات المفيدة لتعلقها بالجغرافية والتاريخ والفنون المتنوعة بل وبلغتنا وادابها ؛ وقلنا ان حالة تقدمهم هي التي ساقتهم الى ذلك ؛ وتأسينا عن تأخرنا عنهم في هذا الميدان بمثل هذا الكلام ؛ فكيف نغتفر لانفسنا ، سبقهم لنا في أخص الدعائم التي يقوم عليها ديننا ؟

نعم قد طبع الالمانيون التوراة والانجيل ، باللغة العربية في بلادهم . وربما كان لهم شبه حق في السبق الى ذلك ، لعلاقة العهد العتيق والعهد الجديد بدينهم . ولكننا نراهم ايضاً طبعوا التوراة السامرية . ولنا ان نقول ان لهـا علاقة بدينهم وبتاريخ دينهم وبالخلافيات في مذاهبهم .

ولكن . . . ما قول سادات المشرق الاعلام ، وجهابذة علماء الاسلام ، الذين لا صفة لهم في الوجود ، الا بخدمة الدين الحنيف ، واعلاء كلمة الايمان الشريف ؟ ألا يخجلون امام انفسهم ، وامام وسيلة ارتزاقهم وسبب جاههم ، وامام نبيّهم وإلههم ، اذا قلت لهم ان هؤلاء الالمان قد طبعوا تفسير القاضي البيضاوي في ليبسك سنة ١٨٤٦ ميلادية ؛ واردفوه بفهرست جامع لبيان ما فيهِ من اللغات والاصطلاحات واسماء الرجال والنساء والاماكن وبيان الملل والنحل والشواهد . فجاءت طبعتهم اكثر فائدة واسهل تناولاً وأيسر استخداماً بما لا يقدر ؛ اما دار الخلافة ومقر السلطنة الاسلامية الكبرى ، فقد بقيت متأخرة عنهم بنحو

٢٢ سنة ولم تطبع هذا الكتاب النفيس الا في سنة ١٢٨٥ وجاءت نسختها قاصرة عن نسخة الالمان ؛ مع انها كانت احق بالزيادة في العناية والاتقان ، لمجيئها متأخرة واظهورها في عاصمة عواصم الاسلام ؟

بل ما قول سادات المشرق وجهابذة علماء الاسلام ، الذين لا صفة لهم في الوجود ، الا بخدمة الدين الحنيف ، واعلاء كلمة الايمان الشريف ؟ ألا يخجلون امام انفسهم ، وأمام وسيلة ارتزاقهم وسبب جاههم ، وأمام نبيّهم وإلههم ؛ اذا قلت لهم ان هؤلاء الالمان قد طبعوا صحيح البخاري سنة ١٨٦٢ ميلادية اي منذ ٣٨ سنة شمسية ؛ مع ان القاهرة لم تطبعه على الحجر الا في سنة ١٢٧٩ وبولاق لم تطبعه بالحروف الا في سنة ١٢٨٠ أي منذ ٣٩ سنة هلالية فكأنهم باشروا طبعه معنا أو بعدنا بقليل والفرق بين الطبعتين يشهد لهم بالفضل ويعود عليهم وحدهم بالفخار ؟

بل ما قول سادات المشرق الاعلام ، وجهابذة علماء الاسلام ، الذين لا صفة لهم في الوجود ، الا بخدمة الدين الحنيف ، واعلاء كلمة الايمان الشريف ؟ ألا يخجلون امام انفسهم ، وامام وسيلة ارتزاقهم وسبب جاههم ، وامام نبيّهم وإلههم ، اذا قلت لهم ان هؤلاء الالمان قد طبعوا كتاب الله الكريم ، طبعاً متقناً جميلاً جدًّا ؛ وانهم استنفدوا فيما بينهم جميع نسخ الطبعة الاولى ، فاضطروا امام تيار تقدمهم واندفاعهم المستمر في طريق العلم الى طبعه مرة ثانية ثم ثالثة ورابعة [1] بلغوا فيها النهاية والاتقان . ونحن قد روينا عن اشياخنا عن صاحب

---

(١) ولا بأس من زيادة البيان في هذا المقام فان الالمانيين طبعوا المصحف الشريف سنة ١٦٩٤ ثم في ليبسك في سنة ١٨٣٤ ثم فيها في سنة ١٨٣٧ ثم فيها في سنة ١٨٣٧ ثم

دیننا « ان الله يحب من عبده اذا عمل عملاً ان يتقنه » ؟

يحزنني وأيم الله ان اقابل بين جمال النسخ المطبوعة عندهم بما ظهر في بلادنا ؟

لعلّ ساداتنا العلماء الاعلام ، وحماة دين الاسلام ، يجيبون بان الله قضى على هذا الدين ، بان يكون رفع شأنه واعلاء كلمتـه ، على يد اعاجم الغرب في هذا الزمان ، كما قضى بذلك لاعاجم الشرق في صدر الاسلام :

فيا ضيعتاه ! ويا ضيعتاه ! ! !

٢

الفوتوغرافيا في المانيا

شاع التصوير الشمسي اليوم بين كل الطبقات ، شيوعاً لا نظير لهُ في أي امر آخر من اعمال الناس . ولذلك تقدم هذا الفن وسهل تناولهُ على كل انسان. فتراه في يد الصانع المنقطع لهُ والعالم الذي يتمعق في البحث والتحقيق والغاوي والرائح والغادي . وبناء على ذلك تألفت مصانع خصوصية لـكل ما يتعلق بالفوتوغرافيا ، في جميع انحاء العالم. ولكن الفائزة على الجميع في هذا السبيل هي ايضاً مصانع المانيا . فانهـا تصنع وتصدّر عدداً يخرج عن حد المعقول من

فيها في سنة ١٨٤١ ثم فيهـا ايضاً في سنة ١٨٥٣ وقد سبق بعض علماء اوروبا فطبعوه ايضاً في غير المانيا في سنة ١٥٣٠ وفي سنة ١٥٤٣ وفي سنة ١٦٩٨ أي ان اول طبعه في بلاد اوروبا كان منذ ٣٧٠ سنة شمسية . أما بلاد المشرق فكان السابق فيها الى طبعه اعجام شيراز ولكن في سنة ١٢٧٠ هجرية ثم اهل الهند في سنة ١٢٨٣ اما بولاق فجاءت على اثرهم في سنة ١٢٨٩ أي منذ ١٩ سنة هلالية فقط وكانت اول طبعة له بالمشرق قد ظهرت منذ ٤٨ أي نصف قرن الا قليلاً مع ان اوروبا بدأت بطبعه منذ اربعة قرون الا قليلاً فتأمل وتحسر !

الجهازات والآلات والادوات والمتحصلات الكيماوية . وامتازت الجرائد الالمانية المصورة على امثالها في سائر انحاء المعمور بالاستفادة من المحسنات المصرية في هذا الموضوع واخصها ما جادت بهِ قرائح الامريكيين وبالنظر لتقدم الكيميا الالمانية تقدماً باهراً قد ارتقى هذا الفن عندهم بما لا تضارعهم فيهِ أمة اخرى خصوصاً فيما يتعلق باصطناع الورق الفوتوغرافي حتى اصبحوا كلهم عالة عليهم يؤدون لها الاتاوة عنه . فهكذا يكون الارتقاء

٣

الصناعة الزراعية في المانيا

بلغ عدد العارضين من اهل الصنائع الزراعية في المانيا ثلاثمائة وخمسين نفساً منهم نحو الثلث (١٠٠) عرضوا كل ما يتعلق بالتعليم الزراعي ووسائل الاستغلال الزراعي وعلم الزراعة وانشاء دور التجارب والامتحان فيما يعود بزيادة المحصولات وتعددها وتنوعها. ومما شهد به الزائرون لهذا القسم ، اجتهاد الالمان وصرف عنايتهم الكبرى لتحسين آلات الزراعة وادواتها والوسائط التي يستغلون بها كل ما يمكن للارض ان تدرّه على المشتغلين العاملين ، من صنوف الخير ومصادر البركة : بشرط ان لا يتناولها الضعف وان تعود لها قوتها وترجع اليها عناصرها الاساسية ، كأحسن ما كانت . ويظهر من معروضاتهم انهم يتوصلون دائماً للحصول على الثمرات والمحصولات السليمة الخالية من المفاعيل الكيماوية لانهم يعملون في كل احوالهم طبقاً للاحكام التي يقرّرها اساتذة مدرسة الطب العليا فيما يتعلق بتنظيف الجهازات والآلات على اختلاف انواعها.

واهم صناعة زراعية عندهم هي عمل السكر الذي يستخرجونهُ من البنجر فقط. ومن المعلوم ان علماء الكيمياء بفرنسا هم الذين اكتشفوا منذ قرن تقريباً كيفية استخراج السكر من هذا النبات وكأني بهم (مثل پاستور بعدهم) انما ارادوا ان يخدموا الالمان !!! فانهم صاروا يجاورنهم ويزاحمونهم في صناعة السكر حتى كادوا يفوقونهم في ذلك لان كافة علماء الزراعة بالمانيا يهتمون اهتماماً زائداً بهذا النوع من الزراعة. فتحسنت تحسناً عظيماً جداً كما تدل عليه الاوراق والاحصائيات التي عرضوها في رواق الآلات وفي قصور شان دومارس. والدليل على ذلك انهم توصلوا لاستخراج السكر من البنجر بمقدار ١٤ بل ١٨ في المائة بل ١٩ في الاعوام التي يجود فيها المحصول ويكون الموسم طبق المرام.

واهم معامل السكر واكبرها عندهم هي التي امتازت بها مملكة سكسونيا ففيها اكثر من ٤٠٠ فابريقة بلغ مقدار ما عصرته في سنة ١٨٩٨ من البنجر ١٣ مليون طونولاطة وذلك هو محصول ٤٣٧,٠٠٠ هيكتار من الارض فبلغ مقدار ما استخرجتهُ من السكّر المختلف الانواع ١,٨٥٤,٤٠٠ طونولاطة.

وعدد العمال في هذه الفابريقات يبلغ ٩٥,٠٠٠ ذكوراً وأناثاً، وجهازاتها وآلاتها من احدث الاختراعات واكملها اتقاناً.

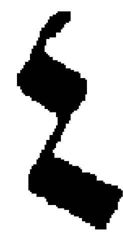
ولذلك فلا غرابة في كون الصادر من سكر المانيا الى الخارج تبلغ قيمته ٢٠٠,٠٠٠,٠٠٠ من الماركات. بل ان تصدر ايضاً الى البلاد الاخرى عدداً عظيماً من الآلات والمرشحات والمعاصر اللازمة لاستخراج السكر من البنجر.

واغلب الفابريقات تصنع السكر «الخام» ثم تتولاه معامل التكرير الخصوصية فتصفيه وتنقيه ثم تسلمه للتجار.

وبعد صناعة السكر في الاهمية ببلاد المانيا تجئ صناعة الارواح الكحولية (الكؤلات) وهم يتحصلون عليها من المواد الزراعية فقط ولا يلتجؤون مثل بعض الامم الاخرى للحصول عليها بوسائل التقطير الصناعية وتبلغ كميتها في العام الواحد ٣٬٢٨٧٬٠٠٠ هيكتولتر منها : ٢٬٢٥٨٬٠٠٠ يستهلكونها في نفس المانيا للقيام بالاحتياجات الاهلية العادية ، و٨٨٩٬٠٠٠ للوازم الصناعة فيها والباقي وقدره ٣٢٬٠٠٠ هيكتولتر يصدّرونهُ في تجارتهم مع الامم الاخرى ٠

وبعد هاتين الصناعتين ، تجئ صناعة تجفيف « رغاوي » البيرة[1] وقيمتها في السنة الواحدة ٣٠ مليون من الماركات ؛ ثم صناعة النشا (٦٠ مليون من الماركات) ؛ ثم تحضير الجعة اي البيرة (٣٨٥ مليون من الماركات) ؛ ثم ان الفضلات والثفالات الزراعية المرتجعة من هاتيك الصناعات يستفيدون منها مبلغاً لا يقل في العام الواحد عن ٩٣ مليون من الماركات ! ! !

وليس في الارض انسان يجهل اهمية البيرة الالمانية وعموم انتشارها كيف لا وهنالك ٨٠١ معمل لاصطناع الشعير الخاص بها وحشيشة الدينار اللازمة لها و ١٢٬٠٠٠ معمل لاصطناع هذه الجعة المشهورة فيها اكثر من ١٠٠٬٠٠٠ عامل ٠ وقد بلغ محصول البيرة في المانيا في سنة ١٨٩٧ اكثر من ٧٠ مليون هيكتولتر ٠



﴿ الكيمياء الالمانية ﴾

اكثر الفرنساويون من تعبير الذين قالوا ان معرضهم العام سيكون ـنوان الفحار

(١) يجففون الزَبَد الذي يطفو على هذا المائع ثم يبيعونه للخبازين فيستخدمونه بدل الخميرة

لصنائع الالمان ، واكتفوا بالتعبير والتشهير والتحقير ، وعقلوا عن المباراة والمجاراة والمنافسة والمناظرة . حتى اذا فتح المعرض ابوابه للناس جاء الحكم منطبقاً ومترتباً على القياس . ولكن كان اهل العقول الراجحة منهم اول المعترفين بهذه الحقيقة . ولذلك جاهروا بين قومهم بأن المعرض الصناعي الالماني هو اعجوبة الاعاجيب . نعم فقد أجهد الالمان انفسهم ، وتوسعوا في صرف وقتهم ومالهم ، واشتركوا فيه عن بكرة ابيهم ، من الامبراطور حتى احقر العمال . ولذلك فازوا بالقدح المعلى في كل ميدان ، ونالوا قصب السبق في كل رهان : خصوصاً فيما يتعلق بالكيمياء والكهرباء . ولقد شهد الناس قاطبة بأن قسم الكيمياء الالماني كان من اعجب عجائب المعرض العام ، وعاد الذين شاهدوه من العوام حيارى منذهلين . اما العلماء والعارفون من ابناء فرنسا فقد اقروا بهزيمتهم الادبية امام هذا الاجتهاد الفائق . ولا شك انهم يداخلهم (رغماً عنهم) الاعجاب بهؤلاء القوم مع الخجل امامهم والغيرة منهم ، خصوصاً اذا تذكروا ان الذي اخترع الكيمياء الحديثة هو احد اجدادهم الامجاد ، واعني به لافوازييه *Lavoisier*(١) وان هذا العلم الجليل النافع ارتقى الى هذه المكانة العالية بفضل الاغيار والاضداد ! كما حصل استخراج السكر من البنجر !

هذا القسم الالماني كائن في وسط البهو المخصص لما عرضته الامم كلها من صنائعها الكيماوية . ومعروضات اصحابنا مرصوفة في ٢٨ صندوقاً من الزجاج كلها تشاكل بعضها في حسن الذوق وجمال الصناعة وفي وسطها هرم كبير من الملح (تذكر الضخامة !) وهي تنقسم الى ثمانية فروع :

---

(١) حتى لقد اكتفى العلامة وورتز (*Wurtz*) بان عرفها في قاموسه بانها «علم فرنساوي» ولكن اصبح هذا التفريق قاصراً عن الحقيقة : بل بعيداً عنها

[illegible]

[illegible] من المركبات [illegible] كان [illegible] هذا الفرع ايضاً ذلك السائل الاسمر الذي تذوب فيه المعادن كلها (ما عدا الحديد فعيه بأس شديد !) كما يذوب السكر في الماء . أعني به الكلور السائل الذي يحصلون عليه بالطرق الكهربائية ؛ وذلك بتحليل الملح البحري المعبر عنهُ في اصطلاح اهل الكيمياء بكاورور الصوديوم ، فترسب الصودا في قاع الاواني ويعلوها الكلور في حالةٍ غازيةٍ . وحينئذٍ فليس أسهل من تحويله بعد ذلك الى حالة السيولة . وفي هذا الفرع ايضاً رواميز كثيرة لمعادن متنوعة ، تمتاز بما وصلت اليه من نهايات الصفاء والنقاء ، وتشهد للالمان بحسن الاسلوب الذي ابتدعوه لاجل تمام الانتفاع بدرجات الحرارة العالية ، في صهر المعادن وتنظيفها : وبيان ذلك انهم يسخنون احد الأكاسيد المعدنية المعروفة بجانب المعدن الجديد المشهور باسم الالومنيوم فتحدث في داخل البوتقة حرارة فائقة الحد بحيث لا يقاومها شيء من المواد . وبهذه الطريقة يتحصل القوم بكل سهولة على تنظيف المعادن من كل شائبة وعلى لحامها ببعضها ايضاً ، مهما كانت درجة تنافرها !

ومما امتاز بهِ هذا القسم ايضاً صناعة الحامض الكبريتيك . ولكي يفهم القارئون مقدار اهمية هذا الحامض ، يلزمنا ان نأتي لهم بشرح قليل : فقد اجمع العلماء وتطابق اهل الرأي والمعرفة على أن « درجة تقدم الامم وارتقائها في سلم الحضارة

والعمران تقاس بمقدار ما تنتجه مصانعها من الحامض الكبريتيك ». ولذلك وجب علينا ان نظهر مقدار التحسين الجسيم والتسهيل العظيم اللذين فاق بهما الالمان امم هذا الزمان ، مع الاشارة الى ما كان لاجدادنا العرب الكرام من سابق الفضل في هذا المقام . فان أول من اكتشف هذا السائل النافع هو ابو بكر الرازي : فكان الحجوبة عند اهل الكيمياء وطُرْفة يتحدثون بها في زمانهم . فلما ارتقى هذا العلم الى الدرجة التي وصل اليها الآن ، صار هذا السائل العجيب من ألزم لوازم الحياة والعمران : لانهُ اصبح الاصل الفعال في كثير من الصناعات . لذلك عُني القوم بالاجتهاد في تيسير الحصول عليه حتى نزل ثمن الكيلو منه بفضل اولئك الالمان الى مليمين اثنين فقط (اي اقل من نصف قرش صاغ) بعد ان كان ثمنه الى عهد قريب لا يقل عن جنيه وربع جنيه . فتأمل ! بل ان الطرق الالمانية ستسمح بتقليل ثمنه عن ذلك ايضاً . فهل بقي مجال للقول بتقدم الالمان ؟

اما الفرع الثاني — فيشتمل على المتحصلات الكيماوية . وفي هذا المقام ، تشهد الامم كلها بالسبق ايضاً لاولئك الالمان . فقد فاقوا في هذه المصنوعات من ادناها الى ارقاها : من القلويات الى الانتيرين الى السكّرين لغاية ذلك المصل العجيب Serum المنسوب الى بهرنغ وكوخ (من اكبر علمائهم ومن اكبر علماء العالم في هذا الزمان) بل لغاية تلك المواد العجيبة التي تستعمل بواسطة اشعة رنتجن ، في تصوير بواطن الاجسام واختراق ما وراء الحجاب .

اما الفرع الثالث — فقد عرضوا فيه محصولات الصناعة الكيماوية الصغرى : فيه رواميز من لوازم التصوير الشمسي ومن الاتربة النادرة التي تتولد بها

الحرارة البالغة منتهى الدرجات .

والفرع الرابع — فيه الألوان والاصباغ المعدنية والمواد الهلامية التي يستخرجونها من العظام مثل الجلاتين والغراء .

ماذا يقال عن هؤلاء الالمان الذين توصلوا لاختراع عظلم صناعي (نيلة صناعية) وألفوا للاتجار بهذه النيلة شركة كبيرة من اغنيائهم جعلت اسواق النيلة النباتية الواردة من الهند في اضطراب وارتباك ، وانزلت على اسعارها التزول الذي لا يلبث ان يتلوه الانحلال ؛ فيزول هذا الصنف من النبات ، كما دخلت الفوة من قبله في خبر كان .

ومما يحسن ذكره في هذا المقام ان الفرنساوية والانكليز كانوا السابقين الى استخراج الالوان والاصباغ من الفحم الحجري ؛ ولكن هذه الصناعة قد تلاشت عندهما ، بل هجرت ديارهما ، واستوطنت المانيا حيث رسخت قواعدها وعلا بنيانها ، وتأصلت عروقها : فزهت وازهرت واثمرت ، وجنى منها ابناء الالمان الخير العميم ، لقاء اجتهادهم المتواصل في كل ما يعود على بلادهم بالرفاهة والسعادة . لذلك كثرت عندهم معامل الانيلين ، واهمها (معمل الانيلين والصودا) في مدينة بادن ؛ فان عدد العمال فيه لا يقل عن ٦,٥٠٠ يدير أمورهم ١٥٠ عالم كيماوي حائز لشهادة الدكتورية . فتأمل !

وليس يسمح لنا المقام بتعداد النتائج التي حصل عليها الالمان ، بواسطة علم الكيمياء . ولكن لا بد لنا من الاشارة الى انهم اصبحوا يستحضرون الروائح والاعطار الزكية بطرق صناعية جعلتنا جميعاً في غنىً عن المحصول القليل من الازهار الطبيعية . وليس لهم من مناظر في هذا المجال : فهم السابقون فيه ايضاً

بلا جدال ! ورواميزها معروضة في الفرع السابع .

اما الفرع الثامن — فقد كان فيه عجيبة ولا كالعجائب : عجيبة تستوقف الابصار وتحار فيها الافكار واعني بها تلك الآلة الحديثة التي اخترعها احد علمائهم وهو الدكتور ليندة Linde لصناعة الهواء السائل . وسيكون لهذا الاكتشاف شأن عظيم في مستقبل الصناعة ومقتبل الايام . فان العلماء حينما توصلوا لجعل الغازات سائلة ، كان الناس يظنون ان لا فائدة ترتجى من وراء هذا الاكتشاف ، سوى ترويح النفوس في المعامل بعد المتاعب اليومية . ولكن ما لبث اهل الجد والاجتهاد في اوروبا ، حتى عرفوا بهذه الواسطة المواد التي تتركب منها الغازات ، فاستخدموها في الصناعات بما عاد على التجارة بالنفع الجسيم ، على ما هو مشاهد الآن : ونكتفي في التمثيل لذلك بما اشرنا اليه من سيولة الكلور ، وهنالك غازات اخرى اسالوها ، وفائدتها معلومة عند اهل الفن وارباب الاطلاع .

أظن القارىء الكريم يوافقني بعد هذا البيان ، على ما قررته من تقدم اولئك الالمان ، وبراعتهم في كل ميدان ، وانهم استفادوا من هذا المعرض العام ، اكثر من سائر الانام . ولكن لا تسمح لي نفسي بختام هذا الفصل الطويل ، بعد ما شحنته بالشواهد والارقام والتفاصيل ، قبل ان استميحه الاذن الشريف ، في التنويه بامر يستحق التعريف :

فمن أعجب العجائب ، أني لما زرت القسم الخاص بالعلوم والمعارف في المعرض العام ، رأيت لالمانيا ايضاً اليد الطولى ، والكعب الاعلى . وما لكَ ولحكمي ؟ بل اسمع ما حكم به نقاة الفرنساويين انفسهم في هذا الباب ! وانت

تعلم ان « الفضل ما شهدت به الاعداء » خصوصاً اذا كان الخصم هو الحكم، كما هو الشأن في هذه الحال . ولست اريد ان اذكر لك الا امراً واحداً يهمنا جميعاً : وهو تعلم اللغات الحية ، اي التي لا تزال مستعملة بين الناس ، لا التي أبادها الحدثان بانقراض اهلها الاقدمين من صحيفة الوجود . وذلك لان اللغات الحية هي أس التواصل وواسطة الرواج الآن في التجارات والمعاملات. فاعلم ، وفقك الله ، ان نظارة المعارف الفرنساوية ، انتدبت لجنة من اكابر الاساتذة القائمين لديها بالتعليم الثانوي ، لتنظر في البيانات والمعروضات التي قدمتها الامم كلها في هذا المعرض العام ، دلالةً على درجتها في التربية وتثقيف الاذهان. فجاء في تقرير الاستاذ الفرنساوي المكاف بالبحث فيما يتعلق بتعليم اللغات الحية (ومن جملتها العربية وان كان اهلها ...) ما ترجمته بالحرف الواحد : « ان المانيا فاقت الامم طرًّا في حسن التعليم بطريقة عملية توصل الطالب الى المرام ، في اقرب وقت ومن أيسر طريق » !!!!

هذا وقد برعت المانيا ايضاً ، في القصر الذي اعدته ادارة المعرض العام للهندسة الملكية ووسائط الانتقال ، بما قدمته من نموذجات القناطر و« الاهوسة » والترع والخلجان والسفن ونحو ذلك . فقد رأيت هنالك آلة لرفع مياه المصارف والمجارير ، تطردها بقوة هائلة الى مكان سحيق ، لكي تعالج هنالك بعيداً عن المساكن والسكان ، بما يعيدها صالحة للزراعة وري المحصولات ؛ ورأيت سفائن مخصوصة لكسر ركائم الثلوج التي تصادفها اثناء سيرها في منجمد البحار؛ ورأيت اصناف النباتات التي يستعملونها في تثبيت تلال الرمال ، حتى لا تنهال على ارض المزارع ومجاري المياه ؛ ورأيت مثالاً لقطار بخاري مخصص لارتقاء الجبال التي

تكاد تكون قائمة عمودية : وهذا القطار التمثيلي الصغير يتحرك فيصعد في ثنايا الجبال وتضاعيفها ، ثم ينزل عنها ، كما صعد ، « بامان وطمان » ، مع انه في الحالتين يوجب الدهشة في الافكار والاقشعرار في الابدان . فسبحان من سخر البخار والكهرباء لاهل هذا الزمان !

يجدر بنا الآن ان نحبس اليراع ، بعد ان اكثر الجولان ، بين معروضات الالمان ، راخياً العنان ، للاعجاب والاستحسان . وحسبنا ان نقول ان مشاهدتنا هي عشر معشار ، ما اعترف لهم به الاغيار قبل الانصار ؛ وعسى ان يكون لاقوالنا صدى او بعض صدى في هذه الديار ، فتعود على اهلينا بالنفع والفخار ، ان شاء الله !

وليمة مشايخ البلاد

قال احد فلاسفة اليونان : « الناس صنفان : فالاكثرون يأكلون ليعيشوا والاقلون يعيشون ليأكلوا » وعلى كل حال فالطعام هو قوام الاجسام . فلذلك ترى كافة احوال ابن آدم ، تنتهي بالولائم

وبمناسبة هذا المعرض ، دعت الحكومة الفرنساوية عمد البلاد ومشايخ القرى لوليمة كبيرة في ٢٢ ستمبر سنة ١٩٠٠ . واختارت هذا اليوم لقيام اول جمهورية فيه لفرنسا ، منذ مائة عام وثمانية اعوام . وكانت قد دعت في مثل هذا اليوم من سنة ١٨٨٩ في اثناء المعرض الماضي ١٥،٠٠٠ رجل منهم . ولكن عددهم وصل في هذه السنة الى ٢٢،٩٩٥ شيخاً . ومدت لهم الموائد والاسمطة

والحوانات ، في خيام وصواوين وفسطاطات، ضربتها في ساحة بستان التويلري . ولكي يتصور القارئ مقدار هذه الموائد نقول له' انها لو صفت متلاصقة بجانب بعضها لبلغ طولها سبعة كيلو مترات اي مثل المسافة بين محطة القاهرة ومحطة شبرا بحيث اضطر القائمون بنظام الموائد لاستخدام التلفون والدراجات والسيّارات (اي عربات الاتومو بيل المتحركة بقوة الكهرباء) ، في نقل الاوامر «وتشهيل» الطلبات . واستخدمت مائة وخمسين رجلاً مدة يومين كاملين .... فقط في ترتيب « السفُرَ » ووضع لوازمها من الفوط والشوك والملاعق والسكاكين والصحون ونحوها . وبلغ عدد الطهاة ٣٠٠ رجل في ١٢ مطبخاً . واذا اضفنا الى الطباخين، الانفار المستخدمين بصفة «مرمتون» وخادمي الموائد وساقي الشراب، لتضاعف العدد عشرة مرات وصار ٣٠٠٠ انسان .

حيّا الله المشايخ ! سواء كانوا في مصر او في باريس . فهم دائماً المتصدرون في الولائم ، الخبيرون بالمطاعم ؛ بل هم الذين « يعرفون من اين تؤكل الكتف » وهم العالمون باساليب الاستدراج الى الدعوة لتحق لهم المأدبة . فان لم تحقق عمدوا الى الضيافة ليصح القرى لهم . والا عمدوا الى الزيارة فتعجب لهم التحفة . وتراهم اذا بنى الرجل داراً ، طالبوه بالوكيرة [1] ؛ فاذا ملك عقاراً ، وجبت لهم الشندخة ، فاذا تزوج صحت لهم الوليمة ؛ فان رزق بمولود ، انطلقت السنتهم بالخُرْس؛ فاذا حلق شعر المولود ، وخاف منه العقوق لزمته لهم العقيقة ؛ فان ختنه ،

---

(١) غير ان اشياخ فرنسا سبقونا في زيادة التفنن فهم يطلبون من الباني ان يرش او يفرش عمارته بالشمپانيا Arroser ou sabler de Champagne وهم انما يرشون بها حلاقيمهم . ثم انتقلوا من البناء ففرضوا الشمپانيا على سائر الاحوال ... آه! لولا انها حرام !

فلا يقبلون معاذيره ، الا اذا دعاهم للعذيرة ، والا طلبوا من القاضي تعزيره . فان هرب منهم ثم عاد لوطنه فلا مخلص لهُ الا بالتقيمة ؛ فاذا ركن الى الممات ، حقت على ورثته الوضيمة . ثم دار الدور عليهم حتى تدور عليهم الدائرة . ولذلك لا غرابة في كونهم « أهل خبرة » بالبلع والسرط واللدق والجرع والسف والحسو . كما انهم برعوا في التطعم والتلمظ والتذوّق ، وفي القضم والخضم ، وخصوصاً الغذم والقشم ، وعلى الاخص اللوس والقش والتقشّش والتمشّش ، والزمزمة والمهمهة ، والقعقعة والطعطعة . واللفلقة واللعمظة والكظكظة .

فلا غرابة اذن في نزول هؤلاء المشائخ المتقبعين على الموائد حتى لم يدعوا مجالاً لجائل ولا مأكلاً لآكل . وهذا بيان بعض ما استهلكهُ حضراتهم من الاصناف .

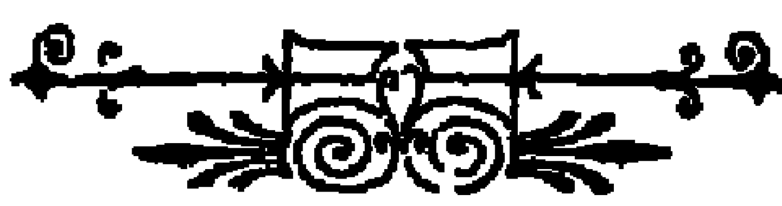
٦٦٠٠٠٠ رغيف ، و٢٢٠٠٠ زجاجة نبيذ معتاد ، و ١١٫٠٠٠ من النبيذ العال ، و٧٫٠٠٠ من الشمبانيا ، و١٠٫٠٠٠ زجاجة ماء ، و١٫٥٠٠ دجج Faisans و٢٫٥٠٠ بطة و٢٫٥٠٠ كيلو من السمك و٣٫٠٠٠ كيلو من اطايب اللحم البقري و٤٫٠٠٠ قطعة من اصناف الطير وغير ذلك . وهنا يلزمنا الوقوف عند هذا الحد ، فان مجرد ذكرهُ يكفي لمنع تطرق الجوع الى البطون عدة شهور .

وقد يبالغ الافرنج وكثير من المتفرنجين منا بتعيير الفلاحين واهل الارياف في بلادنا . ونحن نذكر ما أتاه هؤلاء المشائخ في بلاد المدنية والرفة من اساليب التنطع . وانما نسرد حادثة واحدة : وذلك انهم كانوا يجلسون على الموائد بحسب المقاطعات والمديريات ولكي لا يضلوا السبيل في وقت البطون ولا تضيع منهم العقول ، امام المشروب والمأكول ، وُضعت على الموائد قواعد رشيقة من النحاس

وفوقها بطاقة باسم المديرية او المقاطعة ليهتدوا بها في هذا الزحام الشديد ؛ فلما اكلوا هنيئاً ، وخصوصاً لما شربوا مريئاً ، ودارت الخندريس بالرؤوس ، ولعبت الشمول بالعقول ، اخذوا هذه القواعد ببطاقاتها ، ثم ثبتوها فوق قبعاتهم (برانيطهم) وساروا صفوفاً في الشوارع يصيحون ويصخبون ، ويتغنون ويترنمون ، ويتمايلون ويترنحون ، حتى دخلوا المعرض على هذا الاسلوب ؛ وكان في مقدمة كل طائفة المديرون والمحافظون ، بملابس التشريفة الكبرى ، تزدان صدورهم بكل وسام ونشان ، يحيط بها الوشاح المثلث الالوان . فكانوا الاعجوبة بل اضحوكة في المعرض العام .

تمام !





الخـاتمة

لقد مثلت للقارئ الكريم الفاضل ، في هذه الصحائف القلائل ، شيئاً طفيفاً مما رسمه الناظر ، على صفحات الخاطر ، وأودعه العيان ، في خزانة الوجدان . أما الاحاطة فليست في الامكان ... لاي انسان. ومع ذلك فلا تزال عندي اشتاتٌ من البيانات والمعلومات ، وطرائفٌ من المعلّقات والمفكرات ، يستغرق نشرها المجلدات والمجلدات ، ويستوجب صرف الوقت الكثير ، والمال الوفير ؛ وهما (بحمد الله) ليسا متوفرين الآن . ولكن ربما ساعدت الايام على ابرازها بطريق الجمع او التفريق ، وهو أمر موكول للتوفيق .

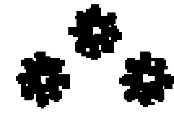
ناهيك بهذا المعرض العام ، الذي استنفد ملايين القناطير ، من الدنانير ، واستجمع كل ما وصل اليه اهل التفكير ، من التدبير ، وتعاون فيه اهل العلم والعمل ، من كافة الملل والنحل ، حتى فاق المنظور والمأمول ، وحارت فيه العقول ، وضلّت الافهام ، وكلّت الاجسام ، واختتم به القرن التاسع عشر أيّما اختتام !

وقد جريت في التعبير على اسلوب جديد ، قد لا يروق المتمسكين بقديم التقاليد ، الغافلين بمنهاجهم القديم العقيم ، عما حدث في العالم من التقدم العظيم . ومن المعلوم عند الخاص والعام ، ان رأي هذا الفريق العتيق ، لا يهمني على الاطلاق : فانما الحكم للاستقبال ! وحسبي انني فتحت هذا الباب ، وستقرعه الناشئة التي عليها وحدها مدار الآمال ! فانما الزمان سائر الى الامام ،

وكل أمة لا تجاري حركة التقدم في مضمار الافكار ، وقفت في سبيل الحياة والعمران ، وحاق بها الخسار والبوار .

تلك لعمرك ! أيها القارئ الكريم ، علة الشرق والشرقيين . فالواجب على اهل الفطانة من ابنائه ان يتنبهوا بعد طول السهاد ، لملافاتها بناجع العلاج ، حتى يعودوا الى مجد ابائهم الصحيح ، ويرجع الى شرقهم العزيز ، رجحانه القديم ، وتكون بلادهم مشرقاً لشمس المعالي والافكار ، كما هي مظهر لسلطان النهار . وغاية الامل ان تتوصل الشبيبة المصرية الى محاربة تلك المادة السقيمة القديمة ، التي تميل بقومنا الى التنميق والتزويق ، وجعل المعاني مسخرة للالفاظ ، تدور معها اينما دارت ، وتسير ذليلةً وراءها أينما اجتذبها الهوى ، وأنى اقتادتها الحذلقة . فاذا ما وصل اصحابنا ، اهل البراعة والادب ، لجعل الكتابة بمثابة الخطابة والكلام المألوف المفهوم ، مع جعل الالفاظ لباساً للمعاني لا يزيد عليها ولا تجرر اذياله وراءها على غير طائل ، ومع اختيار الاساليب المستجادة المقبولة القريبة من الاذواق والعقول (كما هو الشأن في اللغات الحية الراقية بأهليها وكما تقضي به حاجتنا في العصر الحاضر) صح لنا ان نعتمد على مستقبل تبتسم لهُ الثغور ، وتنشرح منهُ الصدور . وتلك لعمرك ! هي عين البلاغة الصحيحة . والا فالوقوف عند ما رسمه الاسلاف الكرام ، بمناسبة حاجاتهم في زمانهم ، او الاصرار على المحاولة في تقليدهم (بغير جدوى) في أساليبهم التي انقضى دورها بانقضاء ايامهم ، يكون تقصيراً منا امام أنفسنا وامام لغتنا وامام مستقبلنا ؛ بل اننا بذلك نسجل بيدنا أننا قضينا على وطننا ومعارفنا بالانحطاط والانحلال .

نعوذ بالله من شر المنقلب وسوء المآل !



هذه نفثة مصدور ، رأيت أن أختم بها هذه السطور ، عسى ان يتفكر فيها أولو الالباب !

. . . .

أما هذه الرسائل ، فكما يراها الناظر ، مجردة عن النقل والتعريب ، اللهم الا فيما دعت اليه الحالة من احصاء أو استقصاء ، ممـا لا مفرّ من اخذه عن أهله . وفيما سوى ذلك لم يجر قلمي الا عن مشاهدة واختبار . وكانت وجهتي مصرية عربية شرقية ، في كل سطر خطه اليراع ، أو فكر أملاه الجنان . وحسبي انني وفيت كل موضوع دخلت فيه حقه من البحث والبيـان ، حتى جعلت القارئ مشاركاً لي في الشعور والاعجاب ، او في النفور والاستغراب . فهذا هو الاسلوب الذي اعتقده متشبعاً بالحياة ، منطوياً على حقيقة احساس وصحـة وجدان . وهذا هو الطريق الذي ادعو اليه فضلاء الكتاب ، خصوصاً اذا ذهبوا الى بلاد الغرب ورأوا ما رأوا من عظم المـدنية وجلالة الحضارة ، حتى يتأتى لنا التأثير على الجم الغفير من القارئين والسامعين : فتتولد في قومنا حركة في الافكار يكون من ورائها عظائم الاعمال ، ونال بها المجد الصحيح ! ويحق بعد ذلك لابنائنا ان يفاخروا بنا ، كما قد اكتفينا بالتحدث بما كان عليه اجدادنا ، وما وصل اليه اسلافنا ، وما فعله الاوّلون السابقون : وهو منتهى التحقير لانفسنا ! فعسى ان يكون لهذه الكلمات صدى في النفوس وتأثير في القلوب ، فنطرّح السفاسف والهذيان ، ونركب متن الجد والاجتهاد ، فيكون لنا لسان صدق في الآخرين . ان شاء الله !

احمد زكي

فهرست

﴿ الجزء الاول ﴾

من كتاب

الدنيا في باريس

صفحة

المقدمة

١ دهليز السفر لباريز ومحادثة الطبيعة ومخلوقاتها

٥ تشاؤم اهل الشرق والغرب من يوم الجمعه ومن عدد ١٣

٦ صفاء البحر والتبكير في القيام

٨ وداع مصر باكلتين بلديتين

٩ وصف سروق الشمس في البحر

١١ غدر البحر ووصف الزوبعة والإسراف على الغرق

١٥ وصول مرسيليا والاستهلال بطعام الافرنج

١٦ السفر من مرسيليا والانتقال بالخيال الى الاوطان

١٨ مدينة ڤيلفرانش ووصف الارياف بفرنسا

٢٠ خيلاء اهل فرنسا بانفسهم وطموحهم لاعالي المعالي وسبب ذلك

٢١ مدينة سنس وكنيستها المعظمة وآثارها المعدودة وذكر شيء من شيوع الكفر بفرنسا

٢٣ وصول باريس والاستفتاح باكل ... الضفدعة وذكر اسمائها العربية

٢٥ وصف هذه الاكلة واشتراك القراء مع الكاتب

٢٧ اشارة فلسفية لبعض المأكولات الشائعة عند بني الانسان مع ان اسماءها توجب التقزز والاشمئزاز

٢٨ بدء الانبهار والانسحار برؤية عموم المعرض العام كأن الانسان في منام

٣٠ خطأ القوم في افتتاح المعرض قبل التمام واضطرار المؤلف للتجول في الخلوات

صفحة

وخصوصاً قرية تريل Teriel

٣٣ بقاء الحرارة بدرجة غير معتادة في باريس وفي اوروبا وتعليل العلماء لذلك

٣٥ كثرة الحركة في باريس ووجوب عناية الانسان بنفسه من الحوادث

٣٨ العجلة تورث الندامة . ذكر فاجعة كبرى في المعرض العام

٤٢ فاجعة اخرى

٤٤ تأفف المؤلف من عدم تمام المعرض بعد فتحه بثمانية عشر يوماً

٤٥ شذرات تاريخية على ا معارض العامة عند الامم المتمدنة قديماً وحديثاً

٥١ معلومات اجمالية مفيدة عن نظام المعرض العام

٥٥ تجوال في فرنسا حتى يتم المعرض حقيقةً

٥٦ اقترابهُ من الكمال . وتنبيهات على غرض المؤلف وبيان خطته في الوصف من الكتابة وابتعادهُ عن التشيع لامة دون اخرى

٥٧ منظر عموم المعرض بحيث يراهُ القارئ . وذكر خرافة افرنكية مستملحة

٦٧ استكمال تمثيل المعرض للقراء

٧٣ وصف البوابة الاثرية الفخيمة La Porte Monumentale

٧٨ « بساتين المعرض ورياضه

٨١ « تمثال الزوبعة

٨١ « تمثيل العطش

٨٣ مجيء المؤلف لباريس للاستشفاء ووصف حالته مع حضرات الحكماء !

٨٤ الاحتفال بافتتاح القسم المصري بالمعرض العام — جمال المكان ورذ ئل السكان — والاشارة بلطف الى نقائصه ومعايبه وعودته بالعار . . . وبالافلاس على القائمين به

٩٣ دعي سوري بالقسم المصري يسمي نفسه الشيخ توفيق الازهري

٩٩ معرض الكلاب

١٠٤ « الصور الخاصة بالصيد والقنص

١٠٦ وصف القصر الكبير Le Grand Palais وبيان عظمته وعظمة ما فيه من الآثار

١١٤ مسترك يسمي نفسه ادجار جاهين

صفحة

١١٥ وصف القصر الصغير Le Petit Palais وما فيه من التحائف واللطائف

١١٨ ساعة بلغ ثمنها ٦٠٠٠٠ جنيه ولم يبعها صاحبها !

١٢٣ قنطرة اسكندر الثالث وجمالها وغرائبها

١٢٨ المماشي والقناطر المعلقة والتي تحت الارض لتسهيل المرور في المعرض العام

١٣١ وصف الرصف المتحرك Le Trottoir roulant وتقريبه لكافة العقول

١٣٧ « السير عليه وغرائبه وعجائبه وتفنن ولوع الناس به ونفور السكان المجاورين له وهروبهم من مساكنهم

١٤٠ وصف القطار الكهربائي ومزاياه

١٤٣ عجائب الكهرباء : المطبخ الكهربائي

١٤٤ « الميكانيكا : آلة اصطناع الاحذية (الجزم)

١٤٥ « « : « مسح « «

١٤٦ « « : « ضرب الاعداد في بعضها

١٤٦ « « : « حل المعادلات الجبرية

١٤٦ زيادة البيان على المطبخ الكهربائي

١٤٩ تمثيل ليالي الزينة والوقود وفيها شيء من عجائب الكهرباء

شارع الامم

١٥٣ وصف اجمالي لهذا الشارع النادر المثال

١٥٤ قصر ايطاليا

١٥٦ القصر العثماني

١٦٠ المحرات البحاري (اختراع مصري جديد مفيد)

١٦٢ القصر الامريكاني — وفيه ذكر جائزة للانقاذ من الغرق وتبكيت لاهل الثروة في مصر — غرائب الآلات الزراعية الامريكية — مزايا الذرة في الغذاء وبيانها بطريقة مجانية لكل زائر — هرم من الذهب الابريز قيمته ٢٠٠,٠٠٠ جنيه مصري

١٦٧ القصر النمساوي وفيه معرض الصحافة والبريد والتلغراف

صفحة

١٦٨ القصر التيرولي وفيه مصنوعات تشابه المصرية العربية من كل الوجوه والتساؤل عن العلاقة بين مصر و بين التيرول في هذا الموضوع
١٦٩ امتياز النمسا في الآلات الجراحية وفي فنون الطب وفي صناعة الكراكات
١٧٠ قصر البوسنه والهرسك وما فيه من البدائع والاشارة الى انحطاط العربية والتركية في تلك البلاد
١٧٤ قصر هنكاريا · وبيان غيرتها على استقلالها وانفرادها وذكر ما فيه من التحائف والمخلفات والمؤلفات
١٧٤ القصر البريطاني وبيان عظمته في بساطته
١٧٥ المستعمرات الانكليزية — نظرة عمومية
١٧٦ قصر الهند وغرائبه وعجائبه — ملك من ملوك المشرق وهو سمو النظام صاحب حيدر آباد الدكن
١٧٧ قصر سيلان · والاشارة الى آلهتها واشجارها وازهارها ووحوشها وطيورها واحجارها الكريمة · وذكر شجرة النارجيل · والاشارة الى البن · وتفصيل عن الشاي
١٨٠ قصر كندا — وبيان تقدمها العجيب
١٨١ قصر اوستراليا الغربية وبيان تحقيق الاحلام في ارتقائها الذي لا تتصوره الاوهام — الفحم الحجري — الاسواف — اللحوم وحفظها بالتبريد والاتجار بها في البلدان القاصية — بعض المعامل — الذهب — الذهب ! الذهب ! كنوزهُ ورؤ ستها بالعيان وتأثيرها على العقل — مروج الذهب — ركازهُ الطبيعية — التفاني في طلبه — اكوام الذهب · محصول الذهب في هذه المستعمرة — اللؤلؤ وطرق القاطه الحديثة · مجموعة لآلئ طبيعية على شكل الصليب يسمونها صليب الجنوب وهي من الغرابة بمكان عظيم
١٨٨ نظرة عمومية ختامية على المستعمرات الانكليزيه — امتيازها بالجد والفائدة — المطمع الاستعماري
١٨٩ قصر بلجيكا — غرابة النقش والنحت في الاحجار — عدم امكان زيارته الا بعد فتح المعرض باثنين وتسعين يوماً و بعد افتتاحه الرسمي بستة وخمسين يوماً ! ·

صفحة

نشاط هذه الامة الصغيرة

١٩٣ قصر النروج — غيرة هذه الامة على استقلالها وانفرادها — الاقتصار في بنائه على الاخشاب باسلوب بديع مهارتهم في السباحة والملاحة — ذكر الرحالة نانسن المشهور. كلمات على هذا الرحالة قالها امبراطور المانيا الحالي لاولاده وتستحق ان تكتب بماء الذهب او تنقش على حبات القلوب — وصف شيخ البحر المعروف بالعقمة — غرابة المدارس وشيوع التعليم — امتيازها بحفظ المأكولات وتصديرها في التجارة . غرابة صناعة الطنافس والسجاجيد

١٩٧ قصر النرويج — امتياز اهلها بالترقيم والوشي والتدبيج واقترابهم من الذوق الشرقي او مشاكلتهم له في اصطناع الحلى والجواهر ومثلهم اهل النرويج وفلندة والبلغار — اشتغال امرائهم بالعلوم والفنون . وتحسر مكتوم على امراء الشرق ومنهم — وصف الشتاء والصيف بتلك الاصقاع — شيوع التامون عندهم وانفرادهم باتقانه واحتكاره — خطبة ماسونية على صفيحة من الفضه الخالصة

٢٠٢ عود لجائزة انقاذ الغرقى

٢٠٣ جوائز لاهل العرفان بالمعرض العام وتبكيت لاهل الثروه في المشرق

تشخيص المعرض العام

و بيان عظمته بالارقام

٢٠٧ جسامة وكبرة ما فيه بحيث تتعذر على اي انسان ان يحيط به علماً — اوقات الاكل ووجوب المحافظة عليها . حالة المعرض في ساعة الاكل — كثرة الداخلين وعدم كفاية وسائل الانتقال منه واليه وفيه نظراً لكثرة الازدحام عليه — سكان المعرض — احتواءهُ على كل شيء

٢١١ اهتمام الامم الحية به — توافد الجماهير عليه — احصائيات عن بعض اعمال ادارة المعرض — عدد العمال فيه بباريس ولاجله في سائر انحاء المعمور — اقتلاع الصحور واستنفاد مناجم الفحم والحديد . احصاء كميات الحديد وطرق نقلها اليه — طلاء برج ايفل وما استلزمهُ من الاصباغ والنفقات والعمال والاوقات . القنوات والمجارير تحت ارض المعرض لسير الماء والبخار والكهرباء - الرشاقة والخلاعة في

صفحة

نظام المعرض وجماله بواسطة الحدائق والازهار

٢١٣ توليد قوة الكهرباء ومقاديرها — انوار المعرض — مصابيح البوابة الاثرية . قوة النور في ليالي الزينة

٢١٤ مقادير الفحم الحجري والماء التي يستهلكها المعرض وتقريب التمثيل للافكار

٢١٤ حراس المعرض واعوانه

٢١٥ استيقاظ المعرض من المنام وتدرج الحركة الى الدرجة النهائية الهائلة بتوافد العمال ثم الزوار وبيان بعض اعداد القائمين عليه — غرائب الوسائل في المجيء الى المعرض من اقطار الارض واطرافها

٢١٧ بيان المأكول والمشروب في المعرض في شهر واحد

ثروة المعرض ومقدار جزء قليل منها دلالة على العظيم الباقي . وذكر مقادير التأمين الباهظة على بعض المعروضات الثمينة والنفيسة والنادرة — إحجام الشركات عن التأمين على بعض المعروضات

٢١٨ ايرادات المعرض ووصولها لدرجة هائلة من بعض الاشياء التافهة

عود للمحراث البخاري

٢١٩ أسف على عدم اهتمام صحف مصر واهل مصر بما يخترعه ابناء مصر ويعود بالفائدة العميمة على مصر وسائر البلاد الزراعية

عود الى آلة مسح الجزم

٢٢٠ سبق المؤلف جريدة دبا الفرنساوية في الاشارة الى هذه الآلات بثمان وار بعين يوماً وبيانه مزاياها وفوائدها — شكواه من شركة بعض الكتاب

القصر الالماني

٢٢٢ كلمة ثانية على المعارض العمومية ومزاياها

٢٢٢ اغتنام المانيا لهذه الفرصة لاظهار فوقانها في عالم العلم والسلم كما سبقت ففازت في ميدان الحرب والضرب . قيام الامة عن بكرة ابيها واستعدادها للظهور امام الامم في اجمل المظاهر

صفحة

٢٢٣ مصدر هذه الحركة الهائلة كلها رجل واحد وهو امبراطورهم المظيم

٢٢٣ وصف غليوم الثاني وتشبيهُ بهارون والمأمون — مشاركتهُ لاهل البحث والنظر ورجحانه عليهم بالدليل والبرهان

٢٢٤ الغرض الذي قصده بالاهتمام بالمعرض العام موالاته العناية بنفسه بمعروضات المانيا كليها وجزئيها

٢٢٤ ارسال العمال الالمانيين الى باريس لتشييد القصر الالماني· استجماع كافة اساليب البناء الالمانية في هذا القصر — جلاله ووقاره · هو معرض العقول والافكار او معرض الكتاب — هرم من حروف المطابع فوقه تمثال غوتمبرغ مخترع فن الطباعة — تمثيل اطوار الانسان : الحقد، الحسد، الحرب، الدين، الوطن والعدل — غرف الاستقبال وما فيها من التحف الفرنساوية التي يتحسر عليها ابناء فرنسا ولا يفرغون من الاعجاب بها · رمي الامبراطور طائرين بحجر واحد — استمرار حركة العقل

عموميات على المعروضات الالمانية

٢٢٩ الضخامة ! الضخامة ! في كل شيء من معروضاتهم مع حسن الذوق وكمال الاتقان في الليل وفي النهار الحكم بالاجماع بافضليتهم ورجحانهم على كل من عداهم خصوصاً اذا كان الحكم صادراً من عموم العامة ومن أخص الخاصة ومن المحنكين المحكمين المختارين من جميع الشعوب — تدفق ينابيع الثروة عليهم — تحية اليهم

شذرات على بعض المعروضات الالمانية

٢٣٣ تمهدهم بانارة القسم الاعظم من معرض باريس !

٢٣٣ احتكارهم للكهرباء في سائر الارجاء — آلة لتوليد الكهرباء قوتها ٢٠,٠٠٠ حصان

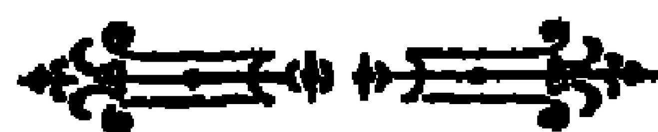
٢٣٤ هي اول دولة انجزت اكبر آلة ميكانيكية استعانت بها الامم كلها في نقل الكتل الضخمة التي تتألف منها الآلات الهائلة المعروضة في رواق الآلات · لطافة هذه الآلة ورشاقتها — ضخامة آلات اخرى لهم

٢٣٥ مقارنة بين مطبعة فرنساوية واخرى المانية

صحيفة
٢٣٦ آلة جديدة لخياطة الكتب قبل تجليدها واضطرار بيت من اكبر البيوتات التجارية
بباريس لاستخدامها
٢٣٧ الوقاية من الامراض — منع النسل بتطويش النساء — علاج ذلك — مقاومة
هذه العادة الذميمة — فائدة الوسائل الصحية في اطالة الاعمار بالمانيا وكثرة
المواليد فيها
٢٤٠ مستشفى عسكري الماني — مجاملة المانيا في عرض آلات الدمار والهلاك
٢٤٢ احصائيات ومقارنات بين المانيا وغيرها من امم اوروبا عموماً واهل فرنسا خصوصاً
(١) السكان — (٢) الجيوش وصحتها والانتحار فيها — (٣) البحرية —
(٤) السكك الحديدية والتلغرافات والتلفون — (٥ الثروة العمومية — (٦)
الميزانية العمومية والديون الاهلية — (٧) التجارة — (٨) الاستعمار —
(٩) العلم والصناعة — (١٠) انتشار اللغة

خصوصيات على المعروضات الالمانية

٢٤٩ تجارة الكتب — احتكار المانيا لطبع الكتب العربية — (١) بعض كتب عربية
نفيسه نادرة طبعوها في المانيا — (٢) اول ما طبع القرآن في اوروبا ثم في بلاد
الاسلام
حسرة وأسف
٢٥٦ الفنوغرافيا في المانيا
٢٥٧ الصناعة الزراعية فيها
٢٥٩ الكيمياء الالمانية وتقدمها و بعض شذرات مفيدة عنها
وليمة المشايخ
خاتمة الكتاب



فهرست

الصور والرسوم

صفحة	
٣٩	منظر سقوط القنطرة المعلقة في الهواء
٥٧	صورة الموسيو پيكار مدير عموم المعرض
٦١	منظر عموم المعرض في جهة شان دومارس
٦٣	« « « « « التروكاديرو
٦٥	« آخر « « «
٦٨	منظر عموم المعرض في شارع نقولا الثاني
٧١	منظر عموم ساحة الانواليد
٧٣	منظر عموم المعرض في شان دومارس (صورة كبرى)
٧٥	البوابة الاثرية الفخيمة
٧٧	التصاوير البارزة على البوابة الفخيمة (من جهة اليمين واليسار)
٨٩	الواجهة البحرية للقسم المصري
٩٣	« الغربية « «
٩٤	« القبلية
٩٦	« الشرقية
١٠١	انواع الكلاب في معرضها
١٠٣	بقية انواع « « «
١٠٧	القصر الكبير للفنون الجميلة
١١٩	ساعة ثمنها مليون ونصف من الفرنكات
١٢٥	قنطرة اسكندر الثالث
١٢٩	القصر الصغير (وفيه خلاصة المتاحف ونفس الذخائر)
١٣٦	الرصيف المتحرك
١٤٨	مجموع قصور موناكو ورومانيا واسبانيا والمانيا
١٥٧	صورة القصر العثماني
١٩٠	قصر بلجيكا
١٩٨	قصر السويد وتمثال الجمال في اقاصي الشمال
٢٢١	صورة شيخ البحر او الفقمة (Phoque)

(خاتمة الكتاب)

جدول الخطإ والصواب

طبع معظم هذا الكتاب بغير مباشرة صاحبهِ فلذلك وقعت فيهِ اغلاط مطبعية كثيرة وجب التنبيه عليها وهي

صفحة	سطر	خطا	صواب	صفحة	سطر	خطا	صوا
٩	١٢	اجرى	جرى	١٢١	٩	والمجرى	والمدى ولل
١٦	٧	معرقة	معرفته	١٢٧	١٣	وزوايا الثلاثي	وزواياها
٢٠	٨	تصور	تصور لهُ	١٣٣	١٦	فلا يشعر	فلا يشعر ا
٢٢	١٤	تاج الشوك	خشب الصليب	١٣٨	٥	ويشجهُ	ويشبهه
٢٣	٥	الكتابة	الكفاية	١٤١	٥	تجرى	تسير
٢٦	١٦	الملجوم	المخدع او الملجوم	١٤٣	١٤	واقفون	واقفين
٢٦	١٩	زهي :	فهي : القرة او اللقاقة	١٤٥	١٣	تحقيقها	تحقيقها
٢٩	٦	مقدما	مقدما وعرف ان	١٥٢	٣	الفضاء	في الفضاء
			مقصودي الضفدعة	١٥٤	١٦	الارع	الارض
٤٠	١٢	ممشى	ممشاة	١٥٦	١٥	النفس	الروح
٤٠	١٠	ممشى	ممشاة	١٥٨	٧	تشتغلهُ	تستغلهُ
٤١	٣	ممشى	ممشاة	١٧٤	٩	صور الرسوم	صوراً مرسو
٥٢	٨	مطمعا	مطعما	١٧٧	١٤	عين	في عين
٥٢	١٢	البوركة	البنوركة	١٨٠	١١	حكوماتهم	حكومتهم
٥٨	٧	نقل	ثقل	١٨٤	٧	لا يجمده	لا يجمد
٦٢	١٢	مارتن	مارين	١٨٧	١٩	اكوتشج	الكونشع
٦٣	١٤	التيارات	التيآرات	١٨٨	١٣	قل	فلا
٦٤	١٦	والسنغال وداهوماي	والسنكال والدهمي	٢٣٤	١٧	عمل	معمل
٧٩	٢٠	بلدة باريس	بلدية باريس	٢٣٦	١٨	بطبعه	بطبعهُ
٨٨	١٠	حجم	صميم	٢٤٢	١٣	١٩٨٥	١٨٩٥
٩٧	٨	يمذر	يبزر	٢٤٨	١٨	الانكليز	الانكليزية
٩٩	١٠	بستان	بستان التويلري	٢٤٩	١٧	دار	داراً
١٠٠	١٠	او الضباع	او الضباع او الآساد	٢٥٠	٤	ففي المانيا منهم	ففي المانيا
١٠٢	٣	التل	التَّل	٢٥٠	٤	مدينة فيها	مدينة فيها منهُ
١٠٦	٨	باشتراك	باشراك	٢٦٠	١٤	استخراج	في استخراج
١١٣	١٩	وسودا	وسواد				